دولـــــــــــــــــــة ليبـــــــــــــــــــــيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة طرابلس

كلية الآداب

قسم التاريخ والآثار

التاريخ الإسلامي (العصر الوسيط)

الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى في عصر المرينيين

(668-869 هـ / 1269-1465 م)

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية – الماجستير-في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب: -

صلاح عبدالسلام عبدالله موسى

إشراف الدكتور: -

عبدالجواد الصادق الشيباني

السنة الدراسية

2016-2017 م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَـالَ تَعَـالَى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{1}خَلَقَ الْإِنْسَـانَ مِنْ عَلَقٍ{2}اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3}الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4} عَلَّمَ الْإِنْسَـانَ مَا لَمْ يَعْلَم {5}﴾

صَدقَ اللهِ العَظيمْ

من سورة " العلق " الآيات: من1-5.

الإهـــــــداء

إلى والديَّ العزيزين.

إلى زوجتي وأبنائي.

إلى إخوتي وإلى كل من أسهم ولو بكلمة طيبة تجاه هذا العمل.

إليهم جميعاً أهدي ثمرة الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان، إلى أستاذي الفاضل الدكتور: عبدالجواد الصادق الشيباني، الذي تفضل بقبول الأشراف على هذه الرسالة مُنذ أن كانت فكرة إلى أن اكتملت، وكان لاهتمامه وحثه المتواصل وتوجيهاته القيمة ورحابة صدره الدور الكبير والأثر في هذه الدراسة.

وأتقدم ببالغ الرحمة والثناء للأستاذ الفاضل المرحوم " عيسى منصور سعد الحقيق" وأبنائه الذين أمدوني بما تحتويه مكتبته الخاصة من مصادر ومراجع متعددة، كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من الأستاذ "محمد عبد السلام الشئابي"، لمساعدتي في الكثير من مناحي البحث، والدكتور:عبد الكريم محمد خليفة عمارة ومحمد محمود حسن الفلسطيني، اللذان كان لهم الدور في طباعة هذا البحث.

كما أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، والتي سيكون لملاحظاتهم القيمة الدور الكبير في إثراء الرسالة وإخراجها في ثوب جديد.

وأتقدم بشكري إلى أساتذتي بقسم التاريخ كافة، وموظفي المكتبات، التي تعاملت معها سواء داخل ليبيـــا، و الدول العربية الأخرى مثل:الجمهورية تونس، والمملكة المغربية.

الرموز المستخدمة في الدراسة

الكلمة	الرمز
الصفحة	ص
الصفحات	ص ص
الطبعة	ط
عدد	ع
نشر	ن
تحقيق	تح
تعليق	تع
ترجمة	تر
مراجعة	مر
تقديم	تق
مجلد	مج
تصحيح	تص
دون تاريخ.	(د. ت)
جزء.	ج
توفى	ت
هجري	هـ
ميلادي	م
بين التاريخ الهجري والميلادي	/
لتوضيح فكرة أو إعطاء نبذة	*
بدون دار نشر	(د. ن)

قائمة المحتويـــــات

ت	الموضـــــــــوع	ص
1	الآية القرآنية.	ب
2	الإهداء.	ج
3	الشكر والتقدير.	د
4	الرموز المستخدمة في الدراسة.	هـ
5	قائمة المحتويات	و
6	المقدمة	21-1
7	**الفصل الأول: قيام دولة بني مرين بالمغرب الأقصى.**	22
8	المبحث الأول: مراحل تأسيس الدولة المرينية.	28-23
9	المبحث الثاني: لمحة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية ـ الزراعة والتجارة نموذجاً بالدولة المرينية .	38-29
10	المبحث الثالث: دور السلاطين في النهوض بالحركة العلمية والثقافية.	44-39
11	المبحث الرابع: الرحلات العلمية ومساهمتها في إثراء الحياة العلمية والثقافية.	52-45
12	**الفصل الثاني: المؤسسات العلمية ودورها في النهوض بالدولة علمياً وثقافياً.**	53
13	المبحث الأول: الكتاتيب والمساجد والأربطة.	64-54
14	المبحث الثاني: الزوايا والمدارس.	76-65
15	المبحث الثالث: المكتبات ودور العلماء و القصور.	84-77
16	**الفصل الثالث: نظام التعليم في دولة بني مرين وأبرز علمائه.**	85
17	المبحث الأول: مراحل التعليم ومناهجه.	102-86
18	المبحث الثاني: العلوم النقلية وأبرز علمائها.	127-103
19	المبحث الثالث: العلوم العقلية وكيفية تطورها.	139-128
20	**الفصل الرابع: العلاقات العلمية والثقافية للدولة المرينية.**	140
21	المبحث الأول: العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية ومصر والمشرق الإسلامي.	147-141
22	المبحث الثاني: العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينيية و الحفصية وبني عبد الواد ومالي.	164-148
23	المبحث الثالث:العلاقة العلمية والثقافية بين الدولة المرينية الأندلس.	169-165
24	الخاتمة.	174-170
25	الملاحق.	188–175
26	قائمة المصادر والمراجع.	216–189

المقدمة

على الرغم من أهمية الدور الذي أدته هذه الدولة الفتية في تاريخ بلاد المغرب، فإنها لم تحض بدراسة متكاملة، تظهر وجهها الحضاري المشرق، وعطاءها العلمي الثقافي الفياض، حيث لم يكن عطاء المرينيين الحضاري، بأقل من عطائهم السياسي والعسكري.

ومما لاشك فيه أن للحياة العلمية والثقافية في العصر المريني أثراً واضحاً وبالغ الأهمية، فقد اكتسب المجتمع المريني ثقافةً واسعةً وتقدماً حضارياً أخرجه من طور البداوة إلى طور الحضارة، وأساس هذه الحركة العلمية والثقافية التعليم الذي كانت له أهمية بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات، وبه تنمو المدارك وتتسع المعارف وتُفتح الآفاق، وهو الوسيلة المثلى لإحداث أي تغيير في المسار الحضاري، ولقد تضافرت عدة عوامل ببلاد المغرب الأقصى في عصر المرينيين، أعطت للمنطقة مكانة علمية ثقافية مرموقة، من أهمها الاستقرار السياسي النسبي الذي نعمت به والحالة الاقتصادية الميسورة، بالإضافة إلى تشجيع سلاطين الدولة المرينية للعلم والعلماء، لذلك عرفت بلاد المغرب الأقصى حياة علمية و ثقافية على قدر كبير من النضج، استمرت قائمة لأكثر من قرنين من الزمان، ومازالت أثارها العلمية والثقافية باقية إلى وقتنا الحالي.

وهذا التطور أعطى للحركة العلمية والثقافية أهمية كبيرة، حيث انتشرت المعرفة في الأوساط الشعبية بفاس وغيرها، ورسخت بفضل التعليم والرحلات العلمية والثقافية والاحتكاك العلمي والثقافي بين العلماء القاطنين والوافدين، والمناظرات العلمية المتعددة بين العلماء، وكثرت المجادلات والمناقشات الشفوية والمكتوبة بين علماء فاس وغيرهم، مما أدى إلى تطور العلوم النقلية والعقلية، وبرز فيها علماء من فاس تميزوا بعمق التفكير وغزارة التحصيل، فكانت لهم إسهامات جادة في النهضة العلمية والثقافية في بلاد المغرب وخارجه.

ونظراً لما تمثله هذه المرحلة من أهمية بالنسبة للحركة العلمية والثقافية في المغرب الأقصى، من نمو وإشعاع حضاري نبغ فيه عدد وافر من العلماء والأدباء في سائر المجالات، فإنني جعلنت عنوان هذه الدراسة هو: **(الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى في عصر المرينيين) (668-869 هـ/ 1269-1465م).**

أما أسباب اختياري لهذا الموضوع ، فإن مرده إلى الوضعية التي تميزت بها الدولة المرينية في المجال العلمي والثقافي، ومن هنا جاء اختياي لهذا الموضوع وخوض غمار البحث والتنقيب فيه، وبفضل توجيهات الأستاذ المشرف على هذه الدراسة ونصائحه المتكررة وتشجيعه المستمر والدءوب من أجل خوض البحث في الجوانب العلمية والثقافية بشكل عام، والابتعاد عن الجانب السياسي، لذلك عزمت

على القيام بهذه الدراسة، والتي أم أن تسد فراغاً في مجالها، وأن تنير طريق للأخرين للكتابة في جوانب من تاريخ بني مرين.

لقد واجهت الباحث العديد من الصعوبات ، منها المشكلة التي تواجه كل باحث يخوض الدراسة في الجوانب الحضارية، وبالأخص في تاريخ المغرب الأقصى، وهو قلة المصادر وشح المعلومات التاريخية بالنواحي العلمية والثقافية، مع كثرة ما كانت عن تاريخ هذه الدولة من الجانب السياسي، فإن المادة العلمية كانت متفرقة في بطون الكتب و المصادر المختلفة مثل كتب التاريخ والطبقات والجغرافيا والرحلات والنوازل وغيرها، بالإضافة إلى هذا فإنها لا تعطي الصورة الكافية عن النظام التعليمي و الثقافي ومسيرة الحركة العلمية والثقافية في الدولة المرينية، فأغلبها جاء في ثنايا الأسئلة والأجوبة، أو في إطار الحديث عن مناقب عالم، لذلك فقد تطلب مني السعي في جمع المادة العلمية المتفرقة في مختلف المصادر والمراجع وترتيبها على النسق الذي أعطى صورة واضحة حول النواحي العلمية والثقافية في الدولة المرينية.

وقد اتبعنت في دراسته هذه المنهج التاريخي التحليلي من حيث الاعتماد على أكبر قدر من المصادر الأصلية وجمع المادة منها ومقارنتها وتحليلها ونقدها، وتقييم هذه المصادر والمراجع توخياً لاستنباط الحقائق التي يمكن أن تدور عليها الرسالة ومن هنا نستطيع تتبع الحياة العلمية والثقافية والتي تكمن في الدولة المرينية بالمغرب

الأقصى للوصول إلى أهمية الموضوع أو الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة: في إماطة اللثام عن فترة مهمة من تاريخ المغرب الأقصى وتحديداً فترة الدولة المرينية، والتي كان لها الأثر الكبير في دعم وترسيخ الحضارة العربية الإسلامية، وتفاعلها في هاتين العاملين في العالم الإسلامي.

إشكالية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى حل الإشكالية التي تدور حول معرفة أوجه وأنماط الحياة العلمية والثقافية بالدولة المرينية (668-869هـ/1269-1465م)، وما مدى حجم عمليات التأثير والتأثر العلمي الثقافي بينها وبين الدول المعاصرة لها في تلك الحقبة الزمنية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق عدة أهداف يمكن إجمالها فيما يلي:

1-الكشف عن جانب مهم في تاريخ الدولة المرينية وهو الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى في عصر المرينيين.

2-التعرف على أهم الأعلام ورجال الفكر الذين كان لهم الدور الفاعل في تعزيز التواصل العلمي الثقافي بالدولة المرينية.

3-تحديد المجالات العلمية والثقافية التي كانت موجودة بالدولة المرينية.

4- معرفة المساهمة الحضارية التي قدمتها الدولة المرينية، والتي كان لها دور في بناء صرح الحضارة الإسلامية في تلك الفترة.

5- معرفة قدر التأثير والتأثر الناتجة عن التواصل العلمي والثقافي، خلال فترة تزيد عن قرنين من الزمن.

وللوصول إلى تلك النتائج، فأنني نطرح مجموعة من التسأولات الدراسة التي سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الرسالة، وأهم هذه الأسئلة هى: -

- ما هى أهم أسس ومقومات الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى في عصر المرينيين؟
- هل الحياة العلمية والثقافية في عصر المرينيين هى وليدة العصر المريني أم لا؟
- هل كانت هناك اتجاهات للحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى في عصر المرينيين؟
- ما هي أهم المعاهد أو المؤسسات التي احتضنت الحياة العلمية بالعصر المريني؟
- ما مدى تشجيع السلاطين المرينيين للحركة العلمية والثقافية وتأصيلها؟

- ما مدى تأثر وتأثير مراكز بلاد المغرب الأقصى العلمية مع غيرها من المراكز العلمية الأخرى؟
- هل كانت هناك علاقات علمية وثقافية بين الدولة المرينية والدول المجاورة والمعاصرة لها؟
- ما هى أهم النتائج التي سيتم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة ؟

أما بخصوص الخطة العامة لموضوع البحث، فقد تم تقسيمها إلى: (1) مقدمة (2)أربعة فصول(3) وخاتمة(4) الملاحق(5) قائمة المصادر والمراجع، ففي المقدمة تناولت أهمية الموضوع وأسباب اختياري للموضوع، والمنهج المتبع خلال هذا البحث، واستعرضت فيها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الرسالة.

حيث خصصت الفصل الأول: للحديث عن قيام دولة بني مرين ، وقد بدأته بالتعريف لقبيلة بني مرين الزناتية، و المراحل التي مرت بها هذه الدولة من نشأتها بصورة مختصره، ، ثم استعرضنت الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لهذه الدولة، وحلت ذكر أهم الفئات التي يتكون منها المجتمع المريني، مبينين لبعض الصور من الحياة اليومية لهذا المجتمع، أما اقتصادياً فقد تكلمت عن أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في ذلك العصر، والحركة التجارية، والتركيبة الاجتماعية لمعرفة الفئات وأصول الناس التي عاشت في تلك الفترة.

وخصصت الفصل الثاني: لدراسة المؤسسات التعليمية، ودورها في النهوض بالحركة العلمية والثقافية، وتعرضنا منها إلى ثمانية مراكز، رأيت أنها كانت رائدة في المجال العلمي والثقافي، وأسهمتْ في تطورهما ورقيهما وهي: المسجد، والرباط، والزاوية، والكتّاب، والمدرسة، والمكتبة، وبيوت العلماء، والقصور، ومدى مشاركتها في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بفاس وغيرها من المدن المرينية والأرياف كذلك.

أما الفصل الثالث: الذي جاء تحت عنوان نظام التعليم و أبرز العلماء ، فقد تحدث في مبحثه الأول عن التعليم ومراحله وطرق تطوره، حيث تطرقت إلى دراسة مراحل التعليم وطرق التدريس في تلك المراحل، وإلى نظام الدراسة في تلك الفترة وكيفية اختيار المعلم وراتبه لقاء تعليمه، وأشرت إلى عقوبة الأطفال في التعليم، استدللت فيها برأي العديد من العلماء، منهم إبن خلدون، وختمت هذا المبحث بالحديث عن الإجازة العلمية في ذلك العصر، أما في المبحث الثاني فقد تحدث عن العلوم النقلية من علوم القرآن، وعلوم اللغة، والعلوم الاجتماعية، وعلم التاريخ و التصوف وأوضحت أهم العلماء الذين نبغوا في هذا المجال، واتبعت الدراسة بنفس النسق بالمبحث الثالث، حيث تطرقنا إلى دراسة العلوم العقلية كعلوم: الحساب (الرياضياتُ)،علم الفلكُ والهندسةُ والكيمياءُ والطب والفلسفة والمنطق وعن أشهر النابغين في هذه العلوم.

أما الفصل الرابع: فقد خصص للعلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية، والدول المجاورة والمعاصرة، حيث تعامل المرينيون مع سائر الدول الأخرى، سواء تلك التي تربطها بها حدود مباشرة، أو التي تبعد عنها، وقد كان لهذه العلاقات أثرها الكبير في دعم دولة بني مرين علمياً وثقافياً، حيث حرص المرينيون على إظهار تميزهم العلمي والثقافي.

ففي المشرق كانت لبني مرين علاقات قوية حاولتُ الحديث عنها مع مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، وفي المغرب مع الحفصيين، وبني عبدالواد، وكذلك مع بلاد السودان الغربي(مالي)، وبلاد الأندلس، وما فيها من قوى إسلامية تتمثل في بني الأحمر، حيث تحدث على العلاقات العلمية الثقافية بينهم ومدى التأثير والتأثر الذي حدث نتيجةً لذلك.

وأنهيتُ الرسالة بخاتمة بينتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال كتابة الرسالة ورفقناها ببعض الملاحق المتعلقة بالدراسة وقدمت في أخرها فهرس بالمصادر والمراجع التي استفدتُ منها في إنجاز هذه الرسالة مبرزاً حدود الاستفادة منها، وبالرغم أن الرسالة مٌدينة للكثير من المصادر والمراجع العربية والمعربة التي تناولت الموضوع من قريب أو من بعيد، وأسهمت في إثرائه والتي شكلت الركيزة الأساسية، سأقتصر على ذكر أهمها وعلاقة أقربها ومعاصرته للرسالة، ونستهلها بـ:

أولاً: –المصادرالتاريخية: –

1. "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**"، لمؤلفه أبوالحسن علي بن عبدالله الفاسي بن أبي زرع، ويعد هذا المصدر من كتب التاريخ العام للمغرب الأقصى وتاريخ مدينة فاس بشكل خاص يبدأ الكتاب من سنة (172هـ/ 788م)، حيث يتناول هذا الكتاب فترة خمس دول قامت في بلاد المغرب الإسلامي، وهي دولة الأدارسة، وزناته (اليفرنيين والمغراويين)، ثم المرابطين والموحدين، ودولة بني مرين، وتحديداً سنة (726هـ/ 1325م)، وكان ابن أبى زرع كاتباً للسلطان المريني أبي سعيد عثمان فهو يبدأ بمعلومات عن السلطان وحكومته، وقد اتسم الكتاب بوفرة أخباره نظراً لمعاصرة المؤلف للمرينيين، وقد أعتمد المؤلف على شهود عْيان، ومما يؤخذ على الكتاب الإسهاب بعرض الأحداث وفائدته للرسالة فتتجلى في ذكر معلومات وردت حول جامع القرويين، وأهم الإصلاحات التي تمت داخله باعتباره من مؤسسات التعليم الهامة في العصر المريني، كما تم ذكر إضافات أيدي بني مرين للجامع بالإصلاح والترميم ، وذكر المصدر كثيراً من المساجد التي انشئت بوجده وتازا، وكل ذلك خدم المادة العلمية والثقافية المتعلقة بالمؤسسات التعليمية و الثقافية في عصر بني مرين، وزوايا مثل زواية

تافرطست ويؤخذ على المؤلف أنه لا ينسب في معظم الأحيان المعلومات إلى المصادر التي أخذ منها معلومته.

2. **أما كتاب" الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"**، فيُنسب لابن أبي زرع أيضاً صاحب كتاب الأنيس المطرب، وترجع أهميته إلى أن مؤلفه عاصر كثيراً من أحداث الدولة المرينية، حتى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق (ت685هـ/1286م)، وقد كانت الفائدة من وراء هذا الكتاب لموضوع هذه الدراسة هو التعرف على أصل بني مرين وذكر مواطنهم قبيل دخولهم إلى المغرب الأقصى ناسبهم إلى العرب، وأشار إلى بعض المؤسسات التعليمية حتى عهد السلطان المذكور والأوقاف التي أوقفت على المؤسسات كما تكلم عن أحداث رآها رأي العين، وذلك حين قال:" **إنني كنت معتمداً في جميع ما أذكره على ما شهدته، وقيدته، وما رويته عمن أثق به من الأشياخ والثقاة من أهل العلم بالتاريخ وأيام الناس والمعرفة بالإنساب**"، وقسمه مؤلفه إلى عشرة أبواب، يبدأ الباب الأول بذكر بني مرين وقبائلهم وقيامهم، وينتهي الباب العاشر بعهد السلطان يعقوب المريني، أي أواخر أحداث سنة (679هـ/ 1279م) وألف الكتاب بطريقة الحوليات أي يبدأ المؤلف بذكر الوفيات والأحداث حسب السنوات، ثم يورد المعلومات عنهم، كما يثبت نصوصاً وثائقية وأشعاراً موضوعية، ومما يؤخذ على مؤلف الكتاب التكرار لما جاء في كتاب الأنيس

المطرب لبعض الأحداث، والتوسع في عرض الأحداث، وفائدة الكتاب للرسالة تكمن في الحديث عن بناء مدينة فاس، وارتباط ذلك بالمؤسسات العلمية والثقافية.

3. كتاب:" **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**"، تأليف أبي عبدالله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت 781هـ / 1379م)، ويُعد هذا المصدر من أهم المصادر التاريخية عن الدولة المرينية إذ عاش المؤلف في ظل الدولة المرينية، وشغل فيها عدة وظائف ولعب دوراً مهماً في حياتها السياسية وشؤونها الثقافية ونال حظوة من بعض السلاطين وخاصة السلطان أبي الحسن المريني والسلطان أبي عنان و السلطان أبي سالم. وقد قسم المصدر إلى قسمين، القسم الأول، دراسة ابن مرزوق وحياته وآثاره، والقسم الثاني: قسمه ابن مرزوق إلى مقدمة وأبواب تناول في كل باب صفة من صفات السلطان أبي الحسن وأثرها في حياته، وتأتي أهمية هذا المصدر في أن مؤلفه معاصر لدولة بني مرين، وتقلد مناصب عديدة مثل السفارة، ووظيفة المؤدب لأولاد السلطان، مما مكنه من الاطلاع على كثير من الحقائق والأحداث عن قرب، والاطلاع على حياة القصر الداخلية، وانتماء مؤلف المصدر لأسرة عريقة في العلم، خدم الرسالة من ناحية أخرى في تعرفه على شخصيات علمية، كان لها الأثر في إثراء المجال التعليمي الثقافي، أمثال: عبدالمهيمن الحضرمي أبي عبدالله

الفشتالي، وأبو العباس الزواوي وغيرهم. وقد أفاد الرسالة في النقاط المتعلقة بالتربية الأولى للسلاطين، ومجالاتهم العلمية والثقافية، وعلاقتهم بأهل العلم، ووصفه لكثير من المؤسسات التعليمية التي أنشئت بفضل السلطان أبي الحسن من زوايا ومساجد ومدارس ومارستانات، و تمهيده لطريق الحج في أعماله و إنشاء المحارس.

4. "**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**"، لمؤلفه علي الجزنائي و ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين الأول : تحدث فيه عن تأسيس مدينة فاس، ممهداً له بالتعريف بالمغرب و سكانه البربر، ثم الفتح الإسلامي، و قيام دولة الأدارسة وبعدها تأسيس مدينة فاس، ذاكراً بعض أعلام المدينة و أشرافها من الأدارسة و الثاني : تناول البناء المعماري للمدينة، فتحدث عن أسوارها، وما أضيف إليها من زيادات، ثم يتوسع في التعريف بجامع القرويين وجامع الأندلس، و يبرز مكانتها.

واعتمد المؤلف على عدد من المؤلفات التي روجت لمدينة فاس والمغرب والأندلس، وقد كان ينسب هذه المعلومات إلى المصادر التي أخذ منها، إضافة على ما رآه شخصياً.

وأفاد الكتاب هذه الدراسة –خاصة وأن مؤلفه يعد من المؤرخين المعاصرين للأحداث التي جرت في الدولة المرينية ـ في الحديث عن المؤسسات التعليمية،

والمواد التي كانت تدرس فيها، وبعض المدرسين الذين قاموا بالتدريس فيها وتطرق إلى المارستانات والمكتبات وخاصة مكتبة جامع القرويين مع الإشارة إلى بعض ما أوقف عليها من الأوقاف.

5. ويلي هذا المصدر في الأهمية مصدر **بعنوان** " **فيض العباب وإفاضته قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**"، لأبن الحاج النميري (ت 768هـ / 1463م)، وهو مصدر من مصادر تاريخ المغرب الأدبي والحضاري في العصر المريني وتأتي أهميته للرسالة في أن مؤلفه كان أحد رجال الإدارة في العصر المريني، فقد شغل منصب رئيس ديوان الإنشاء والسفارة للسلطان أبي عنان مما أتاح له رسم لوحة لحياة السلطان أبي عنان بجوانبها الحضارية والأدبية. كما أفادنا بمعلومات وردت حول الرحلة من فاس إلى الرباط، والعودة، وأيضاً في ذكر الآثار الحضارية للسلطان أبي عنان مثل الزاوية المتوكلية، وإنشائها، كما أنه تعرض لذكر ملابس العلماء في حديثه.

6. كتاب " **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، وكتاب اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية**"، لمؤلفها لسان الدين محمد ابن الخطيب التلمساني، ولد سنة (713هـ / 1313م)، و(ت 776هـ /1381م)، وقد عاصر إبن الخطيب بعضاً من أيام الدولة المرينية، وكتب عنها في كتبه

هذه، والتي تعكس ثقافته الواسعة، فضلاً عن المناصب الهمة التي تقلدها أيام المرينيين، حيث استفدنت منه في مواطن كثيرة في هذه الرسالة.

7. **(العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)**، لمؤلفه عبد الرحمن إبن خلدون، (ت808 هـ/ 1406م)، ويشتمل هذا الكتاب على سبعة مجلدات الأول منها المقدمة.

وقد عرض ابن خلدون في المقدمة مشاهداته الشخصية، وكانت علاقته مع سلاطين بني مرين التي كانت مضطربة إذ كان يتقرب مع بعضهم ويبتعد عن البعض الأخر.

وقد أفادت مقدمة ابن خلدون الرسالة في جميع فصولها تقريباَ، وخاصةً في التعريف بالعلوم كالقراءات والفلك والهندسة وغيرها، وأعطت فكرة عن تعليم الصبيان في الكتاتيب وأعمارهم، وأساليب التدريس ونقد ابن خلدون للحفظ والإقراء، ومختصرات الكتب، والشروح عليها وأشار إلى بعض المؤلفات العلمية، وترجمة لبعض العلماء وتناول صلات المغرب الأقصى العلمية مع الدول الإسلامية الأخرى.

أما كتابه **العبر** فقد تحدث فيه عن أخبار العرب ودولهم مُنذ العهود القديمة إلى عهده وعن تاريخ البربر وقبائل زناتة.

وقد سجل حديثه عن البربر وما شاهده شخصياً وليس من مصادر أخرى، إذ كان على اتصال بمختلف قبائل البربر، وتنقل بين دول المغرب والأندلس.

وقد أفاد هذه الرسالة ما قدمه وتناوله أحياناً في بعض الجوانب التعليمية وخاصةً تعليم القرآن الكريم أثناء الدولة المرينية بالمغرب الأقصى وعن الصراع بين الموحدين وبني مرين قبيل قيام دولتهم، ثم تحدثه عن تاريخ الدولة المرينية

8. "**روضة النسرين في دولة بني مرين**"، لمؤلفه أبو الوليد بن يوسف بن الأحمر (ت 810هـ/1407م)، ويعد هذا المصدر من المصادر الهمة لدراسة هذه الدولة، حيث تم تأليفه في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أحمد الثاني (ت823هـ/1420م)، الذي توفي المؤلف أثناء حكمه، مما يعني أنه معاصراً لهذه الدولة وشاهد عْيان لها.

وشمل الكتاب الحديث عن الدولة المرينية، ونسب بني مرين وسلاطينهم حتى أيام السلطان المذكور وتكمن أهمية هذا المصدر في ما ذكره عن سلاطين بني مرين وصراعهم مع الموحدين في بداية ظهورهم.

9. (**اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار**)، لمؤلفه أبو عبد الله محمد ابن قاسم (852 هـ/1421م)، ويعد هذا المصدر من المصادر الأولية، لأن مؤلفه انتهى من تأليفه سنة 825 هـ/ 1421م، وهو من أهل سبته الذين شهدوا الأحداث الأخيرة أيام سقوطها بيد الأسبان، أي أنه كان معاصراً لتلك الحقبة وقد

أفاد هذا المصدر الرسالة بما قدمه من معلومات قيمة عما كان بسبته من المساجد والزوايا والمدارس والخزائن والمحارس والرباط، فهو يعتبر سجل دقيق للحالة العمرانية قبل سقوطها.

10 أ – (جُدوة الأقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس)، لمؤلفه أحمد بن محمد المكناسي إبن القاضي (ت 1025هـ/1616م)، وعلى الرغم من أن المؤلف لم يكن معاصراً للدولة المرينية، إلا أنه نقل معلومات عن مؤرخين سابقين معاصرين لها كعلي الجزنائي وابن أبي زرع وغيرهم. وقد أفاد هذه الدارسة من خلال تراجمه لسلاطين بني مرين، وأشهر العلماء في هذه الدولة ومؤلفاتهم والوظائف التي عملوا فيها، وتبرز أهميته بشكل كبير عند الحديث عن بعض العلماء والمدارس التي كانوا يلقون فيها دروسهم والمواد التي يدرسونها.

ب–كتاب(ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال)، وقد ذيل فيه إبن القاضي على وفيات الأعيان لأبن خلكان، منذ وفاته سنة 681هـ /1282م، حتى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري. وقد أفاد هذا المصدر الدراسة عندما ترجم للعلماء في مختلف العلوم ومن ضمنهم علماء عاشوا في ظل دولة بني مرين، ولكن إبن القاضي لم يذكر مصدره في معظم الأحيان.

11– (نيل الأبتهاج بتطريز الديباج)، لمؤلفه أبو العباس أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1627م)، وهو كتاب حافل بأعلام المالكية وبتراجم لعدد من الأدباء

كما يحتوي على معلومات عن المذهب المالكي وحركة التعليم المتمثل في مواد التدريس والإجازات التي تمنح من الشيوخ المدرسين لطلابهم. وأفاد المصدر الدراسة في تناوله لترجمته للكثير من العلماء في حقبة الدراسة، في مختلف مجلات العلوم، كما أفاد الدراسة في معظم فصولها وبخاصة الفصل المتعلق بالتعليم والمؤسسات التعليمية.

12-وسفر " **الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى**" وهو تسعة أجزاء لمؤلفه أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري، الذي ولد في سلا سنة (1251هـ / 1835م)، (ت1315هـ/1897م) رحل إلى معظم أنحاء المغرب، وعمل في السلك الحكومي المغربي، يتضمن كتابه تاريخاً عاماً للمغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى عصر المؤلف، معتمداً بشكل واضح على كتاب العبر لابن خلدون في أسلوبه وتسلسل ترتيب معلوماته زمنياً.

ثانياً: -كتب التراجم: -

1. كتاب "**درة الحجال في أسماء الرجال**"، لمؤلفه أبوالعباس إبن القاضي (ت 981هـ/ 1636م)، وهو أحد الكتب التي تعنى بتراجم كثيرة من الأعيان المشهورين الذين عاشوا ما بين أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن العاشر، وتكمن ميزة الكتاب في ترجمته لأعلام الفترة التي أشرنا إليها، فقد زودنا بمعلومات وافية عن بعض علماء العصر المريني.

ثالثاً: -كتب النوازل: -

1. ومصدر أخر وهو "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**"،لمؤلفه أبوالعباس أحمد بن يحى الونشريسي (ت 914هـ / 1508م)، وهو من ثلاثة عشر جزءاً، وقد أفادنا في الجانب التعليمي والثقافي بوجه عام من خلال القضايا التي عرضت فيه حول الكتاتيب وأجور العلماء، وفتاوى حول الكتب والمكتبات، وشروط الحبس، كما أفدنا بمعلومات حول العملية التعليمية والثقافية وتفاصيلها.

رابعاً: -كتب الجغرافيا: -

1."**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**"، لمحمد بن عبدالله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت779هـ/1377م). المعروفة برحلة إبن بطوطة: وهي الرحلة التي قام بها سنة 723 هـ / 1323م، وقد تحدث فيها عن الكثير من البلاد التي زارها، ولكنه لم يدونها إلا بعد عودته إلى مدينة فاس إذ كتبها له الكاتب المعروف إبن الجزئي.

وهذه الرحلة لها أهميتها كمصدر من مصادر هذه الرسالة، حيث أشار إبن بطوطة إلى الكراسي العلمية التي كانت تدرس في مساجد مدينة فاس، وذكر أسماء بعض العلماء المغاربة الذي وجدهم أثناء رحلته والصلات العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى في عصر بني مرين.

2. كتاب " **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**"، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيدالله البكري (ت 487هـ/ 1094م)، حيث أعطى فيه تفصيلات عن مدن المغرب ونشأتها وأفاد الرسالة بتعريف بعض الأماكن الخاصة بالدراسة.
3. " **الروض المعطار في خبر الأقطار**"، لمؤلفه أبي عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري، (ت 727هـ/ 1326م)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه فضلاً عن كونه معجماً جغرافياً لمدن المغرب والأندلس، فهو يحتوي على معلومات تاريخية مصدرية، بالإضافة إلى أنه يتضمن أسماء الحصون والقلاع والأماكن بالمغرب وغيره.
4. كتاب " **وصف أفريقيا**"، لمؤلفه الحسن بن محمد الزيات الوزان (ت960هـ/ 1552م)، وهو كتاب مهم في الرحلات يعرْف بالقارة الأفريقية من نهر النيل شرقاً، حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومعلوماته موزعة على تسعة أبواب عن مراكش ومدن الجنوب و مدينة فاس ومدن الشمال، كتاب واضح الأسلوب سلس في عرض الأحداث، وفائدة الكتاب للرسالة تتجلى في احتوائه على معلومات في الجوانب العلمية والثقافية، فقد قدم لي معلومات قيمة عن مدن المغرب وخاصة مدينة فاس وعن سير الحياة فيها، وقد استفدنتُ منه في مواضع كثيرة من الرسالة.

أما المراجع الحديثة: فهي كثيرة، فقد اقتطفنتٌ منها ما كان له الأثر بالرسالة، والتي عالجت تاريخ دولة بني مرين بأساليب مختلفة، وأسهمت في إثراء مادته التاريخية الحضارية، والباحث منا لا يستغني عما جاءت به كتب المحدثين لأهميتها في إعطاني الخطوط الأولى للدراسة والبحث وأهمها: كتاب ورقات عن حضارة المرينيين، لمؤلفه محمد المنوني، يأتي هذا الكتاب في مقدمة المراجع المهمة، والكتاب عبارة عن دراسات رصينة وموثقة ومنسجمة لمؤلف يتميز بغزارة معلوماته، وبدقة تحليله وابتعاده عن الأحكام المتسرعة، وبراعته في استخدام اللغة المقتصدة التي هى اللغة العلمية المتينة التي تمتاز بالوضوح والسلاسة وبأسلوب بعيد عن الحشو، وقد أفادني الكتاب بجوانب متعددة.

أما كتاب "**المغرب عبر التاريخ**"، لمؤلفه إبراهيم حركات وهو كتاب شامل للمغرب الإسلامي في ثلاثة أجزاء، ورغم أن دراسته مختصرة بعض الشئ، فأنه تميز بالعمق والتحليل، في عرض الأحداث والوضوح، وتتجلى أهميته في معرفة لبعض الجوانب الحضارية.

وكتاب " **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**"، لمؤلفه محمد عيسى الحريري، الذي يتحدث عن الدولة المرينية من جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وأخذت عليه الإطالة في المعلومات،

الأمر الذي أدى إلى تكرار بعض المعلومات في أبواب دراسته، ولقد استفدنت منه في كثير من جوانب الدراسة.

وكتاب " **فاس في عصر بني مرين**"، ومؤلفه روجيه لوتورنو، وهو من الكتب المترجمة، وفيه ذكر معلومات هامة حول مدينة فاس، وخصوصاً في جانبها الحضاري.

وموسوعة المغرب العربي (ستة أجزاء)، لمؤلفه عبدالفتاح الغنيمي، تحدث فيه عن تاريخ بلاد المغرب ابتداءً من الدولة الفاطمية (296-567هـ / 909-1171م) ثم المرابطية الموحدية (454-668هـ / 1062-1269م)، حتى انهيار دولة بني حفص وبني زيان وبني مرين في كل من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وضمن المؤلف تاريخ هذه الدول في الجزء الخامس من كتابه، وفي معرض حديثه عن دولة بني مرين، فقد أتى على تاريخها منذ البداية حتى السقوط سنة (869هـ /1465م)، وتميز سرده للأحداث بالدقة والشمول، واستفدنا منه في أماكن عدة عند كتابة الرسالة.

الفصل الأول

قيام دولة بني مرين بالمغرب الأقصى.

المبحث الأول:مراحل تأسيس الدولة المرينية.

المبحث الثاني: لمحة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة المرينية.

المبحث الثالث: دور السلاطين في النهوض بالحركة العلمية والثقافية.

المبحث الرابع: الرحلات العلمية ومساهمتها في إثراءالحياة العلمية والثقافية.

المبحث الأول
مراحل تأسيس الدولة المرينية.

أصل المرينيين والمراحل التي مرت بها دولتهم قبيل تأسيسها.

أولاً: أصل المرينيين:

ينسب المرينيين إلى فخد قوي من قبائل زناته فجدهم هو " مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن فاتن بن بدر بن نجفت بن عبدالله بن ورتبيض بن المعز بن إبراهيم بن رجيك بن واشين بن يصلين بن مشد بن أكياس بن ورسيك بن أديدت بن جانا وهو زناته"[1].

يعتبر المرينييون أنفسهم أعلى قبائل زناته حسباً وأشرفها نسباً[2]، إذ يرجعون جذورهم القبلية إلى أصول عربية[3]، ويؤكد انتماء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى زناته ما قاله ابن رشيق " أصل زناته من الشام وكانت دارهم بفلسطين وملكها جالوت فلما قتله داوود عليه السلام أتوا إلى المغرب فانتشروا إلى السوس الأقصى"[4]، ويقول ابن أبى زرع في هذا الشأن : "فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناته فهم عرب صريحون"[5] ،يمثل المرينييون عراقة وسطوة مقارنة بقبائل زناته الأخرى ، فهم "أعلى قبائل زناته حسباً ونسباً وأعزها كرماً وأحسنها شمماً وأرعاها ذماماً وأرجحها سلاماً وأشدها في الحروب بأساً وإقداماً "[6].

ويرفع البعض نسبهم إلى أمير المؤمنين الخليفة الراشدي علي بن أبى طالب [7]، وهناك من نسب المرينيين إلى قبيلة زناته ، وهم عرب من مضر، ويصل نسبهم إلى نسب الرسول ﷺ في مضر وهم ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[8].ومن خلال ما سبق ذكره نرجح الرأي الأخير الذي يعيدهم إلى مضر للاتفاق في إرجاع نسب المرينيين إلى عدنان ، كما يتبين لنا من خلال ذلك

---

(1)أبوالعباس أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج5، المطبعة الأميرية ، القاهرة ،مصر، 1968م ، ص194.

(2) علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط،المملكة المغربية، ،ط2، 1972 م ص13.

(3)مؤلف مجهول الأسم ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تح سهيل زكار عبدالقادرزامة، الدار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1399 هـ/1979م،ص186.

(4)ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة،المكتبة التجارية الكبرى ، مصر،(د.ت)،ص13.

(5) علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط ، المملكة المغربية ،1972م، ص199.

(6) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(7) أبوالوليد إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تح ، عبدالوهاب منصور ، الرباط ، المملكة المغربية ،ط1991،2 م ص9 ؛ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م) (869 هـ/1465م) ، دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت ، 1987 م، ص3 .

(8) ابن الأحمر، روضة النسرين، ص5.

مدى إدراكهم واهتمامهم بالنسب والأصول ، وأهمية ذلك في الجوانب القبلية والاجتماعية والسياسية ، وهذا ما نجده عن أغلب زعماء الدويلات التي ظهرت في المغرب الإسلامي حيث أنهم يحاولون إيصال نسبهم بالعرق العربي سواء من حيث الأب أو حتى الأم خاصة لمن كان يطمح في الحكم .

ثانياً:مراحل تأسيس الدولة المرينية: –

ضعفت سلطة الموحدين بعد هزيمتهم في موقعة العقاب*[1]وخسائرهم المتتالية أمام قوة بني مرين ، نذكر منها على سبيل المثال عندما التقى الجمعان –المرينيين والموحدين – عند وادي نكور*[2] بضواحي تازا*[3] ، وكان النصر لبني مرين ، فهُزم الموحدون سنة (613هـ/1216م) واستولى بنو مرين على جميع أمتعتهم ، ودخل جيش الموحدين منهزماً إلى مدينة فاس ، متجردين من ملابسهم ، ساترين عرواتهم بأوراق نبات يسمى (المشعلة) والذي سميت به الموقعة بيوم المشعلة ، ودخل بنو مرين بعدها مدينة تازا[4].

ونظراً لقلة اهتمام الموحدين بتقوية جيشهم بعد وفاة الناصر الموحدي(595–610 هـ/ 1199–1213م)، وإهمال أمور دينهم، تمكن المرينيون من هزيمتهم[5]، يضاف إلى ذلك أن الموحدين منذ قيام دولتهم بزعامة المهدي محمد بن تومرت (515–522 هـ / 1121–1228م)،لم يضعوا نظاماً ثابتاً للحكم ، أدى ذلك للمنافسة بينهم للوصول إلى السلطة مما أدى إلى دفع بعض ولاة الأقاليم إلى

---

(1)* موقعة العقاب : حدثت هذه الموقعة بين الخليفة الناصري الموحدي والقوات الإسبانية بقيادة الفونسو الثامن في سنة (609هـ/1212م) والتي انتهت بهزيمةالخليفة الناصر الموحدي ، وسميت المعركة باسم لاسي نافلس تولاساتسبة ، نسبة على حدوت الموقعة في وديان مدينة تولومسا لأن نافس تعني بالإسبانية الوديان أو الأراضي المنخفضة ، محمد بن أحمد بن محمد العثماني إبن غازي ، الروض الهتون بأخبار مكناس الزيتون ، تح ، عبدالوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية المغرب ، 1988م ، ص32 ؛ أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر، 1968 م ، ص176 .

(2)* وادي نكور: هو وادي ما بين رباط تازا والمقرمدة،للمزيد ينظر إلى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناضري ،ج3، مطبعة الكتاب ،الدار البيضاء،1954المملكة المغربية، ص6.

(3)* تازا: وهو معبر تاريخي بجبال الأطلس وتتمتع بموقع جغرافي هام ،وعلى عهد الموحدين بنيت ببلاد تازا مدينة عرفت برباط تازا ،ووضعت المينة على سفح الجبل ،مما جعلها على مر العصور قاعدة حربية للمزيد ينظر ، سعد زغلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج5 ،منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ،2000م ، ص85.

(4) أبوزيد عبدالرحمن بن محمد إبن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،1971 م، ص170.

(5) أبوبكر علي الصنهاجي البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت وأبتداء دولة الموحدين ، تح ، ليفني بروفنسال ، الشركة الفرنساوية لمدينة إنجى ، 1928 م ، ص73.

الاستقلال بولاياتهم[1]، كالحفصيين بالمغرب الأدنى وبني زيان بالمغرب الأوسط ، وبني مرين بالمغرب الأقصى بمدينة فاس*[2] ، وبنو نصر بمملكة غرناطة*[3] بالأندلس[4]، وهذا ما شجع قبيلة بني مرين ، وحفَّزها على الاستفادة من ذلك الفراغ السياسي فبنو مرين قبائل رُحّل كانت تتنقل ما بين بلاد القبلة من إفريقية إلى سجلماسة*[5] ، وإلى ملوية*[6]،متنقلين من مكان إلى أخر في الصحاري لا يدخلون يدخلون تحت حكم سلطان ، ولا يدفعون ضريبة ،ولا يعرفون تجارة ولا حرثاً ،إنما شغلهم كان الصيد وتربية الخيل والغزو على أطراف البلاد ، يدخلون بلاد المغرب في زمن الصيف فيرعون به أنعامهم ويكتالون منه وصلوا في بعض الأحيان إلى بلاد الزاب*[7]،وفي منتصف فصل الخريف يجتمعوا ببلدة كرسيف آجرسيف*[8].

ومن خلال ما سبق ذكره، يتبين لنا الحرف التي امتهنتها قبيلة بني مرين، وطريقة حياتهم،واعتمادهم على الرعي والتنقل من مكان لأخر.

وسبب انتقال المرينيين إلى المغرب حسبما جاء عن ابن أبي زرع، كان نتيجة لخلاف وقع بينهم وبين بني عبدالواد وبني واسين بسبب امرأة تدعى البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانها، فكثر خطابها فقال بنو عمها: لا

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، بيروت ، لبنلن، 1979 م ، ص 190.

(2)* فاس :مدينة بالمغرب الأقصى بها عدوتين الأولي عدوة الأندلسيين التي تأسست سنة 192هـ / 807م،والثانية عدوة القرويين تأسست سنة 193هـ / 808م ، في ولاية إدريس الثاني ، للمزيد ينظر أبوعبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار، تح ، أحسان عباس ، دار العلم للطباعة مكتبة لبنان ،بيروت،لبنان، 1975م ، ص 434.

(3)*غرناطة: مدينة بالأندلس بينها وبين وادي أش ،وهي مدن البيرة ،وهي مدينة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ،وأنها كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وأنتقل أهلها إلى غرناطة ومدنها وحصن أسوارها ،وبنى فصبتها حبوس الصنهاجي ،للمزيد ينظر للمصدر السابق ،ص45.

(4) ابن الأحمر بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة و الوراقة،الرباط، المملكة المغربية،1972 م ص 54 ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ،ص 54.

(5)* سجلماسة: مدينة بنيت في سنة (140 هـ / 759 م) ، وتقع في أول الصحراء الكبرى جنوب المغرب في طرف بلاد السودان على نهر يقال له زير ، أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي ، البلدان ، المطبعة الحيدرية ، ط 3 ،النجف،العراق، 1957 م ، ص 359.

(6)* ملوية وادي ملوية: يقع بين تلمسان ورباط تازا يصب في البحر المتوسط للمزيد ينظر إلى عبدالواحد بن علي المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح خليل عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998م، ص8.

(7)* بلاد الزاب: وهي منطقة واسعة كانت تشغل المساحة الواقعة في جنوب جبال أوراس ، وتشمل بسكرة وما حولها ، واقعة في المغرب الأدنى على بلاد الصحراء في البلاد الجليدية من عمق إفريقية ومن مدنها المسيلة ونقاوش وطينة ، وهي بلاد واسعة تتضمن دول وأقاليم وقاعدته طينة ، شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر،ج5 ، بيروت لبنان،1957 م ، ص 23.

(8)*كرسيف (أجرسيف): مدينة من أحواز تلمسان واقعة على نهر ملوية إلى الشرق من تازا ، ولها بساتين كثيرة ، عبدالله بن عبدالعزيز المرسى البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، نشر دي سلان ، الجزائر ، 1957 م ، ص 88.

تتزوج ابنة عمنا إلاأحدنا، فخيروها فاختارت براَ، فحسده أخوته عليهافحاولواقتله، فخافت أمه يريغ على ولدها فبعثت إلى البهاء بنت دهمان على الخروج إلى بلد أخوتها مع ولدها بر، وبذلك تزوج بر من البهاء، وذلك في بداية القرن السابع الهجري الموافق للحادي عشر ميلادي في سنة (601هـ/ 1204م)[1].

أنتقل المرينييون بعد ذلك من مواطنهم الأصلية بين تاهرت*[2]وتلمسان*[3]إلى الجنوب الشرقي في المغرب الأقصى وسكنوا منطقة الزاب لجبل يقال له (أيكيجان)*[4].

كما استعان الموحدون كثيراً بالمرينيين في الخدمات المخزنية (الحكومة)، وإرسالهم إلى الأندلس للجهاد ، وهذا يدل على إتقانهم لفنون القتال، وبراعتهم وتميزهم في ذلك ، فلما حلّ الضعف بدولة الموحدين ، بعد موقعة العقاب ،بأغلب أركان الدولة ، ومؤسساتها ، وانتشار الفساد المالي، والإداري ، وتولي الأقارب على الناس ، تحت ذريعة الولاء قبل الكفاءة ، وتولية الأمر لغير أهله ، وضعف الخلفاء، وتردي الأحوال المعيشية لدى العامة، مع الترف الذي كان يعيشه الحكام والمقربين منهم ونتيجة لكل ذلك الضعف الذي وصلت إليه الدولة الموحدية ، ساعد ذلك بنو مرين للوصول إلى سدة الحكم وتكوين دولتهم علىأنقاض دولة الموحدين ، فأرسلوا لمن يتقون بهم لكي يبلغونهم بوضع البلاد ، وفعلاً قاموا بدورهم في استقصاء المعلومات عن أحوال الموحدين بمنطقة المغرب الأقصى ، ومدى الضعف الذي وصل إليه ، ثم أرسلوا الأخبار إلى المرينيين، فأستغل المرينييون ضعف الموحدين وانتقلوا مسرعين إلى المغرب فانتشرت قبائلهم في بلاد المغرب الأقصى كله[5]،ويعبر عن ذلك الملزوزي في أرجوزته:

في عام عشرة وستمائة أتو إلى المغرب من البرية

---

(1) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص279 ، 280 ؛ ابن أبـي زرع ،الذخيـرة السنية ، ص 15-16.

(2)*تاهرت : مدينة مشهورة في مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة في تلمسان ، وكانت تاهرت فيما سلف مدينتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة وهى تقع في سفح جبل يسمى قزول ، وعلى نهر يأتيهما من ناحية الغرب، الحميري، الروض المعطار ، ص126.

(3)* تلمسان: وهي قاعدة الغرب الأوسط، وهي مدينة على أول الصحراء ،وهي تقابل الطريق إلى سجلماسة ، وغيرها من بلاد الصحراء ،للمزيد ينظر لسان الدين إبن الخطيب ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تح ،محمد كمال شبانة مكتبة الثقافة ،القاهرة مصر، 2002م،ص183.

(4)*جبل إيكيجبان: جبل يقع بين سطيف وقسطنيطينية،وفيه حصن ومعقل ، وفيه منازل بني حماد وقبائل كتامة ، المصدر نفسه، ص71.

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص182.

جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجائب[1].

وبذلك حكموا المغرب الأقصى ما يقارب ثلاثة قرون إذا أُضيف لها حكم الوطاسين،وهناك أسباب ساعدت على الانتقال السريع والمفاجئ للمرينيين إلى المغرب الأقصى فبالإضافة للعامل السياسي ، هناك عامل اقتصادي وهو فرض الموحدين على المرينيين الإتاوات والضرائب الباهظة، إضافة كذلك للعامل القبلي ، فقد ضرب الموحدون بني مرين بإخوانهم بني عبدالواد ،وأدى ذلك إلى لقيام تحالف المرينيين مع بعض القبائل و كان ذلك سنة 625هـ/1227م قوى بني مرين بالمغرب الأقصى وطاعت لهم جميع القبائل به حيث بايعتهم هوارة مكناسة وتسول وبطوية وقشتالة وبهلوية وصدارة ومديونة ،وفرض عليهم أبوسعيد الخراج ،كما فرض على فاس وتازا ومكناسة وقصر كتامة*[2]، ضريبة يؤدونها كل عام حتى يكف الغارات عنهم واستعانوا بتلك القبائل أثناء حروبهمضد الموحدين ، لضربهم بهذا التحالف القبلي[3] ، ومن خلال ذلك يتبين لنا أن المرينيين واكبوا جميع مراحل دولة الموحدين ، واستطاعواانتهاز فرصة ضعفهم بإقامة دولتهم على أنقاضها علماً بأنه هناك دويلات–الحفصيين وبني عبدالواد– أخرى بجوارهم لم تقم بذلك ، كما أن المرينيين تمتعوا بصفات ميزتهم عن غيرهم ، نذكر منها على سبيل المثال براعتهم في القتال ، ومقاومتهم للموحدين طيلة اثنين وخمسين عاماً تقريباً.

(1) أبوفارس عبدالواحد بن عبدالعزيز الملزوزي، نظم السلوك في أخبارالأنبياء والخلفاء والملوك المطبعة،الملكية الرباط ،المملكة المغربية،1381هـ/1963م،ص68.

(2)* قصر كتامة: حصن كبير بينه وبين سبته أثنى عشر ميلاً ، وهو على ضفة البحر، تصنع به المراكب التي يسافر بها إلى الأندلس وهو على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس، وبينه وبين طنجة عشرون ميلا ويسمى بقصر عبدالكريم ،للمزيد ينظر إلى الحميري، الروض المعطار، ص487،486.

(3) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المملكة الغربية، 1993 م ، ص11.

المبحث الثاني

لمحة عن التركيبة الاجتماعية والحياة الاقتصادية

– الزراعة والتجارة – نموذجاً بالدولة المرينية.

أولاً: التركيبة الاجتماعية من خلال المؤسسة العسكرية:

1: المجتمع المغربي في دولة بني مرين:

كانت القبائل المغربية أكثر سكان المجتمع المغاربي، والتي يرجح أصلها إلى الأصل العربي، حسب ما يرى البعض، من العرب البائدة التي سكنت باليمن، وهاجر بعضها إلى الشام والبعض الأخر إلى مصر، والتي منها عبروا إلى المغرب واستقروا فيه، وهذا ما جعل القبائل العربية أثناء الهجرات تنسجم مع السكان المغاربة[1]، ومن قبائلهم بنوعسكرو بنووطاس، وبنوجابر وبنو الكأس، وبنو تنالفت وغيرهم[2].

وكانت من هذه القبائل الطبقات الحاكمة، قبيلة بني مرين، إحدى قبائل زناته، وهذا ما جعل قبائل زناته تقدم لها المساعدة، سواء في مراحل تأسيس الدولة أو مراحل أخرى، إذ كانت قبائل زناته تشكل السواد الأعظم من عناصر الجيش المريني[3] .

وهذا ما جعل سلاطين بني مرين يثقون في القبائل الزناتية ويضمونهم للجيش في شتى المجالات، وإبعاد بعض العناصر الأخرى. ولقد كان للمرينيين الفضل في جعل جيش الدولة جيشاً نظامياً، لذلك أتبعوا نفس سياسة الموحدين في بناء الجيش وذلك من خلال توزيع العناصر العاملة به.

كما ضم المجتمع المريني عدداً من الأندلسيين الوافدين من الأندلس ، وأشتغل البعض من هؤلاء في الجيش المريني ، وتحديداً النشابة حملة الأقواس بصفة خاصة ولمهاراتهم وتميزهم في ذلك تولوا قيادة الموكب السلطاني ، ومن أشهر قادة هذا الموكب في الأندلس إبراهيم البطروجي ،وكان عددهم في عهد السلطان أبي الحسن أكثر من ألفي فارس علاوة على فرقة المشاة ويرجع وجود هذا العنصر في الجيش

---

(1) الحسن السائح الحضارة المغربية البداية والاستمرار منشورات عكاظ ، الرباط ،المملكة المغربية، ط2، 2004 م، ص20.

(2) شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل العمري ،مسالك الأبصار وممالك الأمصار،ج4، تح أحمد عباس ،المجتمع الثقافي ، أبوظبي، الامارات المتحدة ،2002م ،ص172.

(3) شارل أندريه جوليان ،تاريخ أفريقيا الشمالية،ج2، تر، محمد مزالي ، والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ،تونس، 1978 م ، ص238.

العربي أيام دولة المرابطين[1] ، أما البعض الأخر – المجموعة الثانية – فهي طبقة العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد سقوط الأندلس ، وهؤلاء كان لهم دورهم في الحياة العلمية الثقافية في الدولة المرينية[2] .

كما كان هناك العرب *[3]، الذين ضم الجيش المريني الكثير منهم، وكان معظمهم من الفرسان،ولكن المرينيين لم يعتمدوا كثيراً على القبائل العربية، خاصة في تأسيس دولتهم، ويعود السبب في ذلك تذبذبها بين ولائها للموحدين، وطاعتها لبنيمرين[4]، وهذا ما دعا السلطان يعقوب بن عبدالحق إلى نقل بعضهم من درعه*[5]إلى مراكش*[6] ليكونوا تحت رقابة عماله[7] ، ويؤكد وجهة النظر هذه إن القبائل العربية في إفريقية هى التي حملت لواء المعارضة ضد الوجود المريني هناك وساهمت في إعادة إفريقية للحفصيين ثانية[8].

وقد ارتبطت الأسر المرينيية الحاكمة ببعض القبائل العربية برابط النسب، فابن مرزوق يروي أن الحاج أباريان سلطان بني مهلهل،وقد كان هذا الشيخ خالاً للسلطان أبي سعيد المريني، هو وعريف من قبيلة سويد العربية ضمن رجالات العرب الذين يشاورهم السلطان أبوالحسن المريني في مجلسه[9]،وهناك عناصر أخرى أخرى تمثل أقليات صغيرة من الغز ، والروم ، واليهود ، والعبيد .

---

(1) أحمد بن خالد الناصري السلاوي ، الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، مصر ،(د-ن)، 1312 هـ ، ص124 ؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج4،ص173.

(2) أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج6 ، تح ، إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، 1388 هـ / 1968 م ، ص106 – 108 ، ج7 ، ص108 – 109 .

(3)* يتكون الجيش المريني فضلاً عن القبائل المحلية من القبائل العربية التالية: بنو هلال وسليم ، وبني حسان ، وعرب سويد ، وبني رباح والشبانات ،والعاصم بن الأشيح وبني عامر وبني سالم وهي الفرق التي انتقلت من إفريقية إلى المغرب ، إبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص97 ؛ عبدالجواد الصادق الشيباني ، الهجرة الهلالية إلى إفريقية الزيرية وأثارها العامة ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس – ليبيا ، 2007 م ، ص20-21.

(4) ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب، ص199.

(5) * مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة عامرة بالأسواق كثيرة الخيرات وجاء أسمها، نسبة لواديها، وهو عبارة عن نهر يجري من الشرق إلى الغرب وينبع من جبل درن، الحميري الروض المعطار، ج3، ص235.

(6) مراكش: بالفتح ، تم التشديد ، وضم الكاف والشين معجمة ، أعظم مدن المغرب وأجلها ، و بها سرير بني مؤمن ، وكان أول من بناها الأمير أبوبكر بن عمرو ثم أختطفها سنة (454هـ/ 1062م)،وبينه وبين جبل درن الذي ظهر فيه إبن تومرت تسعة أميال للمزيد ينظر إلى ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج17، ص94.

(7) مؤلف مجهول الأسم، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تح، محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كوبونل، الجزائر، 1339 هـ / 1920 م، ص 138.

(8) إبن الأحمر ، روضة النسرين ،ص10.

(9) محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تح، ماريا خيسو بيغيرا، تح ،محمود أبوعياد ، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1401 هـ / 1981 م، ص246.

(أ): الغُز أو (الأغزاز):

موطنهم في أقصى المشرق على تخوم الصين ، وقد استعان المرابطون والموحدون بهم في حروبهم[1] ، وأختلف في أصلهم ، فمن المؤرخين من يقول أنهم من المماليك الغز المصريين الذين دخلوا مصر والمغرب الإسلامي على عصر الموحدين[2] ، ومنهم من يرى أنهم أكراد ، ولقد أصبحوا في الجيش النظامي وتكونت منهم فرقة خاصة بلغ عددها في أيام السلطان أبي الحسن (732-749هـ/ 1331-1348م)،ألف وخمسة مائة فارس تقريباً ،وكان شعارهم في أعلى الرمح هو خصلة الشعر وقد تميزوا بشدة بأسهم في القتال ، وكان أيدغدي الشهرزوري*[3]من الغز[4] ورغم كل ذلك لم تكن لهم تلك المكانة التي كانت لهم في الدولة الموحدية ،وكانت هيئتهم تميزهم عن غيرهم من سكان البلاد إذ كانوا يضفرون شعرهم كالنساء[5].

(ب): الروم:

ويقصد بهم الفرنج أو النصارى، وحرص سلاطين بني مرين على جمعهم في مكان واحد عُرف بحي الملاح، وكان لهم دورهم في الحياة السياسية وخاصة خلال عصر نفوذ الوزراء[6].

وقد وصلت مجموعة منهم إلى المغرب سنة (703 هـ/1303 م) للعمل في جيش يوسف بن يعقوب المريني، وهناك الكثير من الانتقادات التي وجهت من الناس للسلطان يوسف (685-706 هـ/1286-1306 م) على وجود جند من النصارى في جيشه ، لكنه كان مسيطراً على تحركاتهم في دولته وكان السبب أن السلطان يوسف كان على يقين بأن هؤلاء النصارى لهم ولاء للأرض التي يعيشون عليها ،

---

(1) أبوعبدالله محمد بن عبدالواحد علي التميمي المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح ، محمد سعيد العريان ، نخبة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ،مصر، 1963 م ، ص 365.

(2) إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن الحاج النميري ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، تح ، محمد بن شقرون ، مطبعة دار الشروق ، بيروت ، لبنان،1990 م ، ص154.

(3)*علاءالدين أيدغدي الشهرزوري : و جاء هارباً أيام الملك المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندر قدراني الصالحي النجمي(658-676 هـ / 1260 -1277 م) إلى السلطان يعقوب وبعد وفاة السلطان يعقوب قربه السلطان يوسف وجعله وزيراً له ، أبوالعباس تقي الدين أحمد بن على المقريزي ، السلوك لمعرفة الملوك ، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصطفى زيادة ،القاهرة ،مصر، 1941 ، ص9 .

(4) ابن خلدون ، العبر ،ط بولاق ، ج7 ، ص208 ؛العمري ،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج4، ص173.

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص302 ، 353.

(6) ابن خلدون ، العبر ، ط بولاق ، ج7 ، ص303 ،315.

وحبهم لها والدفاع عنها ولاحتياجه للجند قام بضمهم للجيش دون إطلاق اليد الكاملة لهم والسيطرة على تحركاتهم وإحصاء سكانهم وتحركاتهم ووضعهم تحت عين المراقبة لاتقاء ما قد يقومون به من أعمال تخريب أو غيرها ولقد بلغ عددهم في الجيش المريني أربعة ألاف فارس ووالده هو من أنشاء الأسطول المريني*[1].

(جـ):اليهود:

وجدت أعداد كبيرة منهم في المغرب الأقصى ، وكان أكثرهم بالعاصمة فاس ، حيث سكنوا حي الملاح مع الروم، وكان لليهود دور كبير في الحياة السياسية في الدولة المرينية ، حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدولة ، فكان خليفة بن حبون بن ذمامه حاجباً للسلطان يعقوب بن عبدالحق [2]وتولت أسرة بني وقاصة اليهودية قهرمة القصر- ويقصد به الخازن والوكيل والحافظ - السلطاني في عهد السلطان يوسف بن يوسف بن يعقوب بنعبدالحق وفي عصر أخر سلاطين بني مرين السلطان عبدالحق بن أبي سعيد المريني ، تولى منصب الوزارة اثنان من اليهود هما هارون وشاويل ، وقد أدى تحكم اليهود في الدولة عن طريق الوزيرين، إلى مقتل السلطان عبدالحق المريني وسقوط الدولة المرينية[3].

(د):شعوب السودان (العبيد):

كانوا يشكلون عدداً كبيراً في بلاد المغرب،وقد تواجدوا بمدينة فاس وأغمات، ويجلبون من بلاد السودان، وتحديداً من مدينة برنو، والتي تعتبر من أهم المدن السودانية – في تلك الفترة – والواقعة جنوب الصحراء[4]، وقد كانوا يشترون أيضاً عن طريق أودغست[5]، وكانوا خدماً للسلاطين المرينيين في قصورهم، وقد اتخذهم بعض السلاطين المرينيين في مناصب الحجابة، نذكر منهم على سبيل المثال السلطان

---

(1)*فكان السلطان أبويوسف يعقوب (656/ 685هـ/1258/1286م)أول المهتمين ببناء الأسطول ،بمدينة فاس دار الصناعة بسلا على يد المهندس محمد بن علي بن عبدالله بن الحاج الأشبيلي ،والتي بنيت قبلي مدينة سلا ، جهة وادي أبي رقراق ، وجعل لها بابان لتدخل مياه الوادي من أحدهما بشكل منتظم ، متصلة بوادي محاذي لجامع حسان ، والذي يزودها بالماء بحيث تصنع السفن ، وترسل إلى الوادي فتتدفق المياه ،وتعوم السفينة ، وتخرج من الباب القبلي محمد بن علي الدوكالي ، الأتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبدالعزيز ، مخطوط بخزانة الرباط ، رقم 42،1320.

(2) أحمد بن خالد الناصري السلاوي،الأستقصا، ج2، ص39؛ شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج2، ص238.

(3) السلاوي ، الأستقصا ، ج2 ، ص 39 – 150.

(4) إبن خلدون ، المقدمة ،ص83 ؛ أبوالعباس أحمد بن يحى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، تح، مجموعة من العلماء بأشراف محمد حجي، دار المغرب الإسلامي ، بيروت،لبنان 1981 م ، ص302.

(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا ،ص158.

يوسف بن يعقوب المريني (685-806 هـ / 1286 – 1306 م) الذي أستعمل العبيد كحُجاب له[1].

ثانياً: لمحة عن الحياة الاقتصادية (الزراعة والتجارة نموذجاً):

أ:الزراعة:

عاشت الدولة المرينية في حالة استقرار نسبي لفترات كبيرة سادت الجبهة الداخلية، وكان ذلك سبباً في إزدهار الحياة الاقتصادية بجميع فروعها ومقوماتها إضافة إلى ذلك الموقع الجغرافي: فقد تمتع المغرب بتربة خصبة صالحة للزراعة، وقد وصف المراكشي أرض المغرب بأنها " أخصب رقعة فيما علمت وأكثر أنهاراً مطردة وأشجارها ملتفة زروعاً وأعناباً "[2]

كما أن المغرب به عدة أنهار تساعد على النشاط الزراعي مثل نهر وادي ملوية الذي يقع بين تلمسان ورباط تازا ونهر وادي أم الربيع*[3] الذي ينبع من جبال الأطلس ويصب عند مدينة أزمور*[4] ، ونهر سبو*[5] القريب من فاس ، ويعتبر من أهم أنهارها لاستفادة عدة مناطق منه[6] ، ونهر السوس في أقصى بلاد المغرب يصب في بحر يسمى وادي ماست ، ونهر تانسفيت*[7] أيضاً على بُعد أربعة أميال من مراكش ، ويستغل أيضاً لطحن الحنطة لوجود الأرحاء عليه ، ونهر بهتا ، ونهر شفشاوة وغيرها من الأنهار التي ساهمت في انتعاش المجال الزراعي[8]،ونهر ورغة وهو يجاور نهر سبو ،وهما يصبان في بحر المحيط الأطلسي ، بعد أن يلتقيا معاً

---

(1) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص375.

(2) أبوعبدالله محمد بن عبدالواحد على التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ج5، تح خليل عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان1998 م ، ص 262؛أبوعبدالله البكري، المسالك والممالك ، نشر تحث عنوان المغرب في ذكر إفريقية و الغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق،1957م،ص161.

(3)*وادي أم الربيع: هو وادي وانسيفن عند قلعت المهدي ببلد فازاز من أرض المغرب ،وبهذا الوادي مات صاحب المغرب أبوالعلاء إدريس بن منصور يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ،للمزيد ينظر إلى الحميري ،الروض المعطار،ص 605،

(4)* أزمور: مدينة في مراكش ، على شاطئ المحيط الأطلسي وهي تبعد 50 ميلاً إلى الجنوب الشرقي من الدار البيضاء، محمد ثابت القندي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج2،دار المعرفة ، بيروت ،لبنان (د.ت)،ص15.

(5)* نهر سبو: هو أعظم أنهار المغرب ومنبعه من جبل في بلاد بني وارتين وتتفرع عنه عدوة أودية تسقي نواحي فاس ومكناس للمزيد ينظر الحميري الروض المعطار،ص606.

(6) مؤلف مجهول الأسم ،الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح ، زغلول عبدالحميد ، جامعة الإسكندرية ، مصر1998 م ، ص185.

(7)*يقع نهر تانسفيت: على بعد ثلاثة أميال من مراكش وكان أمير الؤكنين علي بن يوسف بني عليه قنطرة بعد أن جلب عمالها صناع من الأندلس للمزيد ينظر إلى الحميري، الروض المعطار ،ص127.

(8) عبدالواحد محي الدين بن عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان 1998، ص262.

عند موضع يسمى المعمورة [1]،وهذا ما ساعد سلاطين بني مرين على الاهتمام بالزراعة ، وقطع الأراضي لكبار رجال الدولة ، وتنوعها بسبب طبيعة الأرض وطبيعة استغلالها، واشتهرت بعض القبائل التي سكنت أرياف سلا*[2]، ومكناس بزراعة المنطقة باعتمادهم على أنفسهم ، أما الأخرون من الفلاحين فقد كانوا يعتمدون على كراء الأرض مناصفةً بين الدولة والمزارعين أما العاملين بزراعة الأرض فكانوا يتبعون ظاهرة الأخماس نسبة إلى الخمس الذي تقع عليه خدمة الأرض من بداية الحراثة حتى نقل المحصول إلى التخزين[3] ،وكانت أهم المحاصيل المحاصيل الزراعية في الدولة المرينية ،محصول الزيتون في مكناس ومراكش وفاس وتازا،وكان يباع بأثمان متفاوتة،حسب جودة المحصول[4]،وزراعة قصب السكر وتحديدا في سبته وأغمات ومراكش وسلا[5]،وزراعة الكتان والقطن ،التي انتشرت في سلا ومكناس وفاس ،وتميزت سلا عن باقي مدن شمال المغرب في محصولها[6]،وزراعة الخضروات والفواكه والأزهار، فكانت من أهم الخضروات التي تنتجها الأراضي المغربية هي الجزر واللفت والباذنجان والقرع والكرنب والخيار والشمار وجميع البقوليات[7]،أما الفاكهة مثل التين والرمان والعنب والسفرجل والكمثرى والتفاح والمشمش والبرقوق والخوخ والقراصيا والتوت والجوز واللوز والليمون والبطيخ بأنواعه ، وبعضها يتم استيراده مثل الفستق والبندق،أما الأزهار التي كانت تزرع بالمغرب فهى الأس والياسمين والبنفسج والنرجس والتي كانت السبب الرئيسي لإنتاج العسل ،وهذا يدل على توفره واستعماله كثيراً بدل السكر[8]،وتعد الحبوب من المحاصيل الزراعية في العصر المريني ،كالقمح والشعير والفول، وقد كانت طريقة الري إلى جانب مياه الأمطار نظام الري بالنواعير حيث وجدت بفاس نواعير ،كانت

---

(1) المراكشي ،العجيب ،ص 262.

(2)* سلا: هي مدينة بالمغرب قرب نهر أبي رقراق وفيها نهر كبير تجري فيه السفن،أبوعبدالله ياقوت شهاب الدين الحموي الرومي البغدادي معجم البلدان دار صادر،بيروت،لبنان،1979م،ص606.

(3) مزاحم علاوي الشاهري ، الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين (665 - 709 هـ / 1369 – 1308 م) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001 م ، ص 79 – 80.

(4) ابن غازي الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،ص50.

(5) إبن حوقل، صورة الأرض،ص99.

(6) فتحية محمد، "جوانب من الحياة المغربية خلال العصر المريني" كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء،المملكة المغربية ،العدد الثاني ،1985م ،ص142.

(7) القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5،ص176.

(8) العمري مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج4،ص196،149.

تنقل الماء،فقد انتشرت في طنجة وبلاد السوس سجلماسة ،حيث أن أكثر أموال أهلها من محاصيل الشعير والحنطة والحبوب كمااهتموا بزراعة السمسم والقنب وجميع البقوليات التي زرعت بإقليم أغمات[1].

إلى جانب هذه المحاصيل تعد الغابات مصدرهاماً يزود أهالي المغرب بالأخشاب كوقود ولبناء المنازل ولصناعة السفن وغيرها من الصناعات الخشبية المختلفة[2]، كما ساعدت الغابات على توفير ثروة حيوانية في المغرب في العصر المريني، والتي كانت تتغدى عليها مثل الأغنام والإبل والبقر والبغال والحمير والخيل[3]،واهتموا أيضاً بتربية الطيور كالحمام بشتئ أنواعه والدجاج والإوز والكركي المعروف عندهم بالغرانيق كما وجدت في الصحراء المغربية البقر والنعام والغزال وغيرها من الحيوانات البرية[4].

كما كانت شواطئ المغرب تمد سكانه بكميات كبيرة من الأسماك وكذلك أنهاره تعد مصدراً لكثير من أنواع الأسماك التي تعد نوعاً من أنواع الغداء خاصة لسكان القرى، فكان في مدين فاس نهر الجوهر الذي كان يمد المدينة بأنواع عديدة من الأسماك كالبوري والبوقة واللبيس والسلباح، وكذلك سراطين البحر التي كانت تستخدم في الأدوية [5].

كما أهتم السلطان أبوالحسن (732-759هـ/1331-1348م)،بطبقة الفلاحين حيث قام بتوزيع قطع الأراضي المعدة للحرث على الأيتامفي جميع القبائل [6].

وعندما بسط بنو مرين سيطرتهم على المغرب الأقصى ملكوا الأراضي الزراعية ،كما قام أهل الأندلس بشراء الأراضي بسبب استقرار بلاد المغرب وهذا سبب انتعاش وتقدم الإنتاج الزراعي ،كما استعملوا المحاريث في الزراعة ليتوسعوا في

(1) ابن حوقل ،صورة الأرض، ص80،81،90.
(2) الجزنائي،زهرة الأس،ص26.
(3) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج4،ص196.
(4) القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5،ص177.
(5) الجزنائي،زهرة الأس ،ص35؛ ابن أبي زرع الأنيس المطرب،ص35.
(6)ابن مرزوق ، المسند الصحيح ،ص420؛عبدالعزيز بنعبدالله، معطياتالحضارة المغربية والأوقات المغربية،ج1985،2م،ص85 ؛محمد المنوني ،النظام الإقتصادي ، البحث العلمي،المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط، المملكة المغربية، العدد4،5، السنة1965م ،ص253 .

محاصيلهم لما لها من مردود مادي[1]،ولقد أعد المرينيون المطامير لتخرين محاصيلهم الزراعية ،حيث وجدت بمدينة فاس يسمى المرسى ووجدت بسبته،غير مخازن الفندق الكبير ،وهي موزعة بين الديار والحوانيت ،حيث أشرف على بناؤها متخصصون ،فاختاروا لها مواقع تهوية جيدة فعلى سبيل المثال الهري الموجودة بالقصبة يمكث المخزون في مطاميرها لسنوات ،نظراً لاعتدال طقسها،نظراً لموقعها الجغرافي إذ تقع بالجبال ، وأشهرها ظهر الغدير المعروف بحداء سمع الطير ومطامير جنة اليانشتي[2].

التجارة:

على الصعيد التجاري لعبت الموانئ المرينية دوراً هاماً في عمليات الاستيراد والتصدير، خاصة ميناء سبته*[3] الذي كان يتعامل مع الحمولات التجارية من وإلى دول المشرق ومصر والدول الأوربية من جهة، وبلاد السودان الغربي والأوسط وجنوب الصحراء الكبرى من جهة أخرى[4].

كما ساعدت الراسي المرينية بدور فاعل في حركة التجارة الداخلية والخارجية مثل :(الدار البيضاء)، وأصيلا وطنجة*[5]وغساسة ، سجلماسة، التي يدخل منها التجار إلى السودان بالملح والنحاس ويعودون بالذهب ، وقد ساهمت هذه المراسي في تصديرالخراف والصوف، والجلود والخيل والقطن والشمع، وأستورد المرينيون الأقمشة من الإسكندرية وتونس والعراق والجزيرة الخضراء*[6]، إضافة إلى الذهب من السودان والفضة من جزيرة سردينيا[7] .

يتبين لنا من خلال ذلك ما تتميز به كل منطقة بمنتجاتها التي تصدرها، وما تستورده من المناطق الأخرى وطريقة التعامل بينها عن طريق المقايضة ، أي تبادل البضائع

---

(1) عبدالفتاح مقلد الغنيمي موسوعة المغرب العربي ،ج5،مكتبة الدبولي ،القاهرة، مصر،1994م،285.

(2) السبتي ،اختصار الأخبار،ص42.

(3)*سبته مدينة على ساحل البحر المتوسط ،وهو أول البحر الشامل إلى مدينة صور في أرض الشام ،وهى مقابل الجزيرة الخضراء بالأندلس، ولها بابان أحدهما محدث ولها من جهة البحر أبواب كثيرة والبحر يحيط بها من جميع جهاتها إلا من جهة الغرب للمزيد ينظر إلى ياقوت الحموي ، معجم البلدان 13 ،ص182 ، 183.

(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج5، ص 287، 288.

(5)*طنجة: مدينة مغربية تقع على ساحل البحر المقابل للجزيرة الخضراء ، وهى مدينة كانت قاعدة الحجاز إلى الأندلس، للمزيد ينظر إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج13،ص43.

(6)*الجزيرة الخضراء: هى على ربوة مشرفة على البحر ،وسورها متصل به ، وهى أيسر المراسي وأقربها من بر العدوة ويحاديه مرسى مدينة سبته ،للمزيد ينظر المصدر نفسه،ص 223.

(7) محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ،المملكة المغربية، الرباط ، 2000 م ، ص145.

فيما بينها ، ومن جهة أخرى علاقة المرينيين الودية مع جيرانهم ، والمناطق الأخرى ،كما كان لقوافل الحج دوراً في عمليات الاستيراد والتصدير ،وتشجيعاً للتجار بنيت الفنادق مثل فنادق سبته ، لخدمة النزلاء القادمين من مختلف الأماكن ، كما أقيمت فنادق صغيرة انتشرت على طول الطرق التجارية وعلى مسافات ثابتة قدرت بإنثى عشر ميلاً وحرص المرينيون على احترام الاتفاقيات التجارية مع دول الجوار وتأمين سلامة النقل البحري وحماية خطوط الملاحة واحترام التجار من كافة الأجناس[1] .

(1) المنوني ،ورقات،ص197.

المبحث الثالث

دور السلاطين في النهوض بالحركة العلمية والثقافية.

كونت الحياة العلمية والثقافية في المغرب الأقصى في عصر المرينيين مظهراً مهماً من مظاهر الحضارة الإسلامية، وقد أولى العديد من سلاطين المرينيين اهتماماً كبيراً بالحياة العلمية والثقافية، وهناك عوامل ساعدت على ازدهار الحركة العلمية والثقافية.

أولاً : المراكز الثقافية بالمغرب : ساهمت هذه المراكز بدور كبير في تنشيط العلم والمعرفة ، إذ اهتمت بالعديد من جوانب العلم والمعرفة من تأليف وتدريس وإقامة حلقات علمية وإجراء المناظرات والمناقشات، وأهم هذه المراكز في عصر المرينيين ثلاثة عشر مركزاً أهمها كان في المناطق المرتفعة كفاس، ومكناس، وتازا وعلى حوض البحر المتوسط كباديس وسبته وطنجة والقصر الكبير ثم تليه المدن المطلة على المحيط كسلا وأزمور وأسفي،وفي الجنوب مراكش وأغمات،وقد تميزت مراكش بعلم الرياضيات ومكناس وتازا بالعلوم اللغوية وفاس بالعلوم الشرعية والادبية وبعض فروع الفلسفة ،وتعد فاس زهرة الدولة المرينية ، حيث ساهمت بدوراً مهماً في إشعاعها بالروح العلمية الثقافية، وقد شملت المراكز العلمية الثقافية عدد كبير من الجوامع والمساجد والكراسي وغيرها من الأربطة والزوايا[1] .

ثانياً : تمتع العديد من السلاطين بثقافة موسوعية متنوعة ، وإلماماً بالأدب والمنطق والتاريخ والحديث وأصول الدين وقرضهم للشعر ، نذكر منهم : السلطان أبو يوسف (656هـ/1258 م) ، الذي عرف عنه حبه لأهل العلم والذين ، وكان كريماً جوادً ذا حزم ودين متين ، وقارئ للآداب والتاريخ ، كان يقرّب العلماء والفقهاء والشعراء وحرص حفيده السلطان أبي ثابت (706 هـ/1306م) على مجالسة الفقهاء للنهل من علمهم ، وأيضاً عرف عن السلطان أبي سعيد (710 هـ/1310م) ، إنه أهتم بالعلم والعلماء[1] ، وأبو الحسن سنة (732 هـ/1331م) ، الذي أتقن الطب حتى أصبح من أطباء أبيه الخصوصيين ، كما عرف عنه شغفه بمجالسة العلماء وقرض الشعر ونسخ المصاحف ، كذلك كان أبنه أبي عنان (749 هـ/1348م) ، "محباً للعلم فكان

---

(1)المنوني، ورقات ،193؛ محمد بن أحمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة، الرباط، المملكة المغربية، 1982 م، ص80.

(1) لسان الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن علي بن أحمد السلماني ابن الخطيب ، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تح ،محمد كمال شبانة ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك ، المملكة المغربية والأمارات العربية المتحدة ، مطبعة فضالة المحمدية ، (د.ت) ،ص 380.

فقيهاً يناصر العلماء ، حافظاً للقرآن عارفاً بناسخه ومنسوخه حافظاً للحديث ملماً برجاله "[1].

كما وصف الكتاني أبي العباس أحمد المريني (776 هـ / 1374 م) ، بقوله "كان أديباً شاعراً مجيداً مدركاً بديع التشبيه "[2] ، وكذلك أبنه فارس عبدالعزيز (796هـ/1393م) ، الذي كان له رصيداً ثقافي كبير، كما أتصف العديد من السلاطين المرينيين بالورع والتمسك بالدين ، ويدل على ذلك اهتمامهم بنسخ المصاحف وإهدائها للملوك والوزراء والعلماء في الدويلات التي عاصرتهم ، فعلى سبيل المثال أهدى يوسف المريني (685-706هـ/1286-1306م) ، مصحفاً كتب بخط اليد لملوك الحرمين الشريفين ، فكان مغلف بالذهب ومزخرف بأنواع الجوهر والياقوت ، كما أهدى السلطان أبي الحسن المريني (732هـ/1331م) مصحفاً للبيت الحرام بمكة بخط يده ، ونسخ مصحفاً أخر، وهو الذي ببيت المقدس ، حيث أثنى عليه المقري ومدح ربعته بأنها في غاية الصنعة[3] ، ولم يكتف السلاطين بذلك بل كانوا يرسلون قصائد ورسائل عديدة ، والتي تحمل أشواقهم لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والحج ، ويعلنون ولائهم لملوك الحرمين الشريفين ، حيث فعل ذلك أبوعنان المريني وهذا يدل على ثقافة السلاطين الموسوعية ، وتدينهم ، وحبهم للعلم والعلماء ، كما يبين لنا مدى حرصهم على تبعيتهم لملوك الحرمين الشريفين لمكانتهم الدينية. ولابد لنا أن نشير إلى الأساس الذي تربى عليه هؤلاء السلاطين في صغرهم ووصف ذلك ابن مرزوق قائلاً " إن حسن المرء حسن نشأته وحفظه في شيبته "[4]، فقد تلقى هؤلاء السلاطين والأمراء تعليمهم الأول في القصور على يد مؤدبين من العلماء مثل محمد البطيني اللخمي، الذي كان مدرساً للنحو وقرأ على يده القرآن الكريم جماعة كبيرة من طلبة سبته، (ت 692هـ/1384م) وعبدالله بن محمد بن أحمد الشريف الحسني، لتخصصه في النحو والقراءة ، كما أشتغل ابن مرزوق بتأديب أولاد أبي الحسن المريني ، ويقال أن السلطان أبا الحسن كان يلازم المسجد المقدسي ،

(1) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، ص118.
(2) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، ج3، دار الكتب السلطانية ،الرباط، المملكة المغربية، (د.ت)، ص166.
(3) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص474،477؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، ج4، ص399.
(4) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 127.

ويجلس لسماع من يقرأ فيه ، وأنه كان يذهب كثيراً لزيارة الصالحين وهذا يدل على تدين السلطان أبي الحسن ونشأة السلاطين بجوار العامة ، وقام أيضاً الحجاب والوزراء في جلب المؤدبين لأبنائهم مثل أبي مدين ، الذي عمل مؤدباً لأولاد الحاجب الكتاني ، أولاد الوزير عمر بن الوزير السعود بن خرباش، كما عمل أبناء الإمام كمؤدبين لأولاد الكاتب منديل بن محمد[1].

وكذلك أشتغل بنفس المهنة محمد بن الأصفر، من أهل سبته،"وكان يقرأ عليه أولاد أكابرها"[2]، ومحمد بن أجروم الصنهاجي، الأستاذ النحوي صاحب مقدمة النحو، كان من مؤدبي أهل مدينة فاس، وبذلك لم يكتف السلاطين بالنشأة الدينية لأولادهم على يد المؤدبين، بل كانوا أيضاً يهتمون بتعليمهم أموراً سياسية أثناء ولاية العهد كتدريبهم على الإنشاءات والمشروعات التي تفيد دولتهم مثلما فعل الأمير أبو حفص وهو أخ لأبي الحسن الذي تولى سنة 723هـ/1346م، الذي كلف أبنه ببناء مصورة الخليفة[3].

ثالثاً :اهتمام سلاطين بني مرين بالعلماء وباقتناء الكتب وتأليفها:

شجع سلاطين بني مرين حركة التأليف وشجعوا العلماء وأجزلوا لهم الهبات والعطايا على مؤلفاتهم واختراعاتهم ، تشجيعاً لهم على مواصلة العمل ، حيث كان العلماء يعرضون على سلاطين بني مرين إنتاجهم العلمي والأدبي أولاً بأول ، وكانت جوائز سلاطين بني مرين لهؤلاء العلماء سخية ، ومن أمثلة ذلك الفقيه أبا عبدالله بن أبي زكريا العزفي أهدي إلى السلطان أبي الحسن كتاباً ألفه في ذم الخمر وبيان عيوبها ، فأستحسنه السلطان [4]، وأمر أن يعطي هذا الكاتب وزن كتابه نقوداً ، كما أهدى أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن السبيل التعليمي إسطرلاباً ، لأبي الحسن المريني ، فأعطاه وزنه دنانير من الذهب[5]، وقام السلاطين المرينيون بإحضار الكتب عن

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص833 ؛ أحمد شلبي ، موسوعة الحضارة الإسلامية ، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي جوانب التاريخ والنظم والفلسفة ،ج5، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1987 م ، ص62.

(2) مؤلف مجهول الاسم ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، المطبعة الملكية، الرباط ، المملكة المغربية،1404هـ/1984م، ص14.

(3) عبدالهادي التازي ، الحروف المنقوشة بجامع القرويين ، ج2 (مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية) ،مصر، 1960م، ص312.

(4) انظر الملحق رقم (2) .

(5) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، ص205.

طريق المعاهدات ، حيث قام السلطان يعقوب بن عبدالحق بإرجاع الكتب التي نهبها شانسو ملك الأسبان ، والتي بلغت ثلاثة عشر حملاً ، فكانت نواة للمكتبة السلطانية [1]، وأمر السلطان أبي عنان المريني ، عبدالله بن جزئ بأن يكتب رحلة ابن بطوطة خوفاً من ضياعها والاستفادة منها ، وانتهى العمل فيها سنة (756هـ/1355م) [2]، وقد طلب السلاطين من العديد من كبار العلماء على التأليف وشجعوهم عليه نذكر على سبيل المثال الأرجوزة التي نظمت وقدمت لأبي سعيد عثمان المريني ، كما أهدى قاسم التجيبي السبتي ، أربعين حديثاً من مروياته لنفس السلطان[3].

وأهدى أبي الحسن علي بن أبي الحسن العنسي المراكشي كتابه ، الأمراض السرية وعلاجها وطبائع النساء وما يحمد أو يدم منهن ، للسلطان أبي الحسن المريني ، حيث وضعه في خزانته ، وكتاب إبن مرزوق المسند الصحيح في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، والذي ذكر فيه صفات السلطان أبي الحسن ومحاسنه وأعماله ، وفيه يصف حياة السلطان أبي الحسن المريني[4]، كتاب عمل من طب لمن حب وهو كتاب في وصف الأمراض وكيفية علاجها ، وكان لأبي سالم ميل لعلم التنجيم فألف له ابن قنفد القسنطيني شرحه على رجز الدلالة الكلية على الحركات الفلكية ، كما أقترح ابن عنان على كاتبه ، أبي القاسم بن رضوان أن يكتب موضوعاً في السياسة الملوكية والسير السلطانية الشهب اللامعة في سماء السياسة الجامعة ، وقد وضع أبوالحسن علي بن يوسف بن الحكيم باسم الدوحة المشتبكة لأبي فارس عبدالعزيز الأول (768هـ/1366م)[5] . كما ألف ابن الخطيب أعمال الإعلام في من بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام، للسلطان أبي زيان محمد الثالث (774هـ/1372م) ، وأهدى أبوالحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي الأندلسي ، تم التلمساني نزيل فاس (ت 789هـ/1387م) تخريج الدلالات

---

(1) مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المطبعة الجزائرية والسلامية، قسنطينة، الجزائر،1350 هـ/1931م ، ص388.

(2) ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح، أحمد مختار العبادي وعبدالعزيز الأهواني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص197 .

(3)مؤلف مجهول الأسم ، بلغة الأمنية ، ص28؛ محمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة العربية، ص224.

(4) الحسن الشاهدي ، (الكشف عن الثقافة المغربية في عهد بني مرين) ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، العدد الخامس ، 1396هـ/1976م ، ص66 ؛ الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في المغرب، ، ص339،340.

(5) إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، ص329 ؛ محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، ج2 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،المملكة المغربية، 1403هـ/1983م ، ص473 ؛ المنوني ، ورقات ، ص165،160،132

السمعية على ماكان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعاملات الشرعية للسلطان موسى بن أبى عنان سنة (786هـ/1384م) ، وهي موسوعة لإثبات الأصول الإسلامية لمختلف التنظيمات المعاصرة من إدارية وعسكرية واقتصادية[1]وإن دلت تلك المؤلفات على شيء فإنها تدل على مدى الازدهار العلمي والثقافي الذي وصلت إليه دولة بني مرين ، وعلى تنوع الثقافة الموسوعية للسلاطين في الطب والتنجيم وغيرها من شتى العلوم، وعلى تخليد مآثرهم ككتاب المسند الصحيح وهو دليل كذلك على محبة حكام بني مرين للعلم ، وحرصهم عليه ورغبتهم فيه ، فُقدّر في عصرهم العلماء ، ونال الحظوة المفكرين والفقهاء ، فتنافس الجميع في البحث والاستقصاء ، وتسابق الكل في البدل والعطاء ، فأصبح لا حديث للناس في ذلك العصر، إلا عن الإبداع والإتقان ، فأدلى كل ذي علم بدلوه ، وأطلق كل كاتب العنان لقلمه ، فأثريت المكتبات بالكتب، وتقلد أهل العلم المناصب والمراتب[2].

(1) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج3،تر ، العبادي والكتاني ، ص1 ؛ إبن الأحمر ، روضة النسرين ، ص34.
(2) عبدالهادي التازي ، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، ص498 ؛ الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ص498 ؛ المنوني ، ورقات ص160 ؛ إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، ص178.

المبحث الرابع

الرحلات العلمية ومساهمتها في إثراء الحياة العلمية والثقافية

أولاً: أسباب ودوافع الرحلات العلمية والثقافية: –

مما لا شك فيه أن للرحلات العلمية دور بارزاً وواضح في إثراء الحياة العلمية والثقافية، وحفظ تراث الأمة، وإطلاع الناس على ما كانوا يجهلونه من حياة الغير من عادات وتقاليد، وطقوس وعبادات، وتعريفهم بمجاهل البلدان التي لم يرونها. وأخبارهم عن طباع أهلها وطبائعهم وإظهارهم على أثارها وكنوزها، وما تحويه من عجائب، وما تخفيه من غرائب الغير إننا وقبل أن نتناول هذه الرحلات لابدّ لنا من توضيح أسباب ودواعي ودوافع تلك الرحلات. حيث أتسع نطاق رحلات العلماء إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي بجناحيه الشرقي والغربي من المظاهر الحضارية في مختلف العصور الإسلامية، كما أن الخلافات السياسية لم تكن حائلاً بين تلك الرحلات[1].

(أ) كان طلب العلم والاستزادة منه، من أهم الأسباب التي دفعت العلماء إلى الرحلة.

(ب) أداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة بالمشرق، كالقدس والمسجد الأقصى، وإلى غيرها من أماكن العالم الإسلامي[2].

(ج) كما تنوعت الأسباب، فكان منها سياسي واقتصادي وعسكري واجتماعي، وكان الرحالة يدونون رحلاتهم ومشاهداتهم المختلفة بالمشرق، وتعتبر الرحلات من العناصر القوية لتطور المجتمع، حيث تنوعت وتعددت دوافعها كما أسلفنا الذكر فمنها ما كان الغرض الاستطلاع واكتشاف المجهول والجديد وتعليم ثقافة الغير[3].

وكانت الرغبة الدؤوبة لدى العلماء في ارتياد أماكن العلم في المغرب لحبهم للعلم، ورغبتهم في تثقيف أنفسهم وذلك عن طريق الاتصال والجلوس مع كبار العلماء والفقهاء والشيوخ وقراءة كتبهم ، واستنساخ العدد الكبير منها ورغبتهم في التحقيق العلمي لكتب ظهرت وتحقيق إسنادها ، والتمييز بين طرق التعليم المختلفة

---

(1) عبدالواحد دنون طه ، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2004 م ، ص13،14.

(2) ناطق صالح مطلوب ، الرحلة في طلب العلم والحياة والثقافة في الموصل موسوعة الموصل الحضارية ، ج2 ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق،1992 م، ص351.

(3) أبو الحسن علي القلصادي ، رحلة القلصادي ، تح ، محمد أبوالأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1398هـ/1978م ، ص59.

والوصول من خلالها لأفضل طريقة للتعليم[1].شجع السلاطين المرينيون الرحلات العلمية والثقافية وذلك من خلال توفير الرعاية للطلبة بوجه خاص وللمسافرين بوجه عام ، حيث يجد المسافر المكان الذي يأويه مثل المدارس والمساجد لإيواء الطلبة مجاناً وكذلك كانت الأربطة والزوايا مفتوحة لإقامة المسافرين والقادمين إليها[2].

كما تمتع العلماء من البلدان الأخرى بميزات أسوة بأقرانهم العلماء المغاربة فتولوا المناصب الكبرى مثل ابن خلدون، ابن الخطيب ،وابن الأحمر ، وابن رضوان وابن مرزوق ، والمقري وغيرهم من العلماء الذين، لمعوا في دولة بني مرين[3]وأستقبل سلاطين بني مرين العلماء استقبالاً كبيراً ، وكان لذلك الأثر الكبير في اهتمام العامة من الناس بالرحالة لاهتمام ملوكهم بهم ، فعلى سبيل المثال كان استقبال ابن عنان المريني لأبن بطوطة استقبالاً كبيراً ، وتخصيص العالم ابن الجزئي ليكتب له الرحلة للاستفادة منها[4]،ولم يكتف السلاطين المرينيون بالتشجيع فقط ، بل كانوا يصحبون العلماء لعقد المجالس العلمية والثقافية أثناء رحلاتهم وعند حط رحالهم بكل مصر ومدينة أو قرية وبلدة متتبعين لأخبارهم ، ومقتفيين لأجل العلم لأثارهم ، وبذلك شكلت بلاد المغرب في العصر المريني ملاذاً لكثير من المسلمين الذين أتوا من الأندلس فراراً من الزحف النصراني، واستفادوا من أجواء الاستقرار التي سادت المنطقة ، وكان من بين هؤلاء عدد كبير من العلماء و المثقفين الذين باشروا العمل والتدريس في مدينة فاس ومراكش وسبته وطنجة وغيرها ،فنهلوا من التراث العلمي الثقافي الذي خلْفه المرابطون والموحدون واستفادوا من الانفتاح العلمي الثقافي وظروف التشجيع والإبداع ، خاصة وأن بني مرين لم يقيموا دولتهم على فكر ديني معين ولم يفرقوا بين العلماء على أساس توجهاتهم وأفكارهم الدينية العلمية، ودعم المرينيون مؤسسات التعليم العالي حتى قيل أن جامعة فاس أقدم الجامعات في

---

(1)محمد عادل عبدالعزيز إبراهيم، الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين ،رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ،مصر، 1982 م ، ص76.

(2) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ،ص429 ؛ محمد كمال شبانه،(فاس ، المدن الثقافية الإسلامية)، مجلة دعوة الحق، بالرباط ،المملكة المغربية، عدد 253 ، 1985 م ، ص90 .

(3) عبدالكريم التواتي ، (مظاهر الثقافية الفكرية لعهد بني مرين) ، مجلة دعوة الحق ، المغرب ، عدد 249 ، 1405هـ/1985 م ، ص76.

(4) أبوعبدالله محمد بن عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتب العلمية، ج2، تح ، على المنتصر الكتاني ،دار الكتب العالمية،مصر، 1407هـ/1978م ، ص803-826.

العالم ، وقد ورثت تقاليد مدرسة القيروان[1] ، وقد كان ليعقوب بن عبدالحق وبنيه من بعده تاريخاً حافلاً بالعلم وتشييد المدارس واختطاط الزوايا ومخالطة أهل العلم وترفع مكانهم في مجالستهم ، ومطالعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم[2].

كما شهد عصر بني مرين ظهور فطاحل العلماء والفقهاء والفحول من الشعراء والأدباء الذين انصهروا في هذه البيئة، ومنهم ابن الخطيب (ت776هـ/1374م)، الذي تتلمذ على يد السلطان أبي عنان فارس المريني (749-759هـ/1348-1312م)، والعلامة ابن خلدون (ت808هـ/1405م)[3].كما ظهر من العلماء ابن عذاري المراكشي (ت712هـ/1312م)، وابن البنا (ت721هـ/1321م)، مختص في علم الرياضيات ، وابن أجروم(ت723هـ/1323م) ،محمد بن محمد الصنهاجي ، ولد بفاس سنة (672هـ/1273م) أشتهر برسالته الأجرومية ، وله مصنفات وأراجيز أخرى ، وابن رشد السبتي ، محمد بن علي بن هانئ ، وأصله من أشبيلية، وهو من أهل سبته ، عالم بالأدب ، (ت733هـ/1333م) ، كذلك ابن أبى زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) ، وعبدالمهيمن الحضرمي ، ولد بسبته سنة (676هـ/1277م)،(ت749هـ/1348)، عمل بالأدب والتاريخ وولى كتابة الإنشاء للسلطان أبي الحسن علي المريني، وابن الحاج (ت774هـ/1372م) مؤلف كتاب فيض العباب ، وابن بطوطة (ت779هـ/1377م) ، وغيرهم الكثير ولقد أصطحب الكثير من العلماء في الأسطول المريني الذي غرق في أيام السلطان أبي الحسن على المريني (731-749هـ/1331-1348م) ، في مياه تونس سنة (750هـ/1349م) ، كان يحمل أربعمائة عالم من كبار علماء المغرب ومعهم كتبهم ومخطوطاتهم وقد برزت أسماء مثل أبي عبدالله السطي ، وأحمد بن شعيب الجزنائي ، وهو أحمد بن شعيب ينتمي إلى مدينة فاس ، أشتغل بالطب والأدب ونظم الشعر ، فكان من ضمن علماء

---

(1) عبدالقادر زمامة ، أبوالوليد بن الأحمر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الدار البيضاء ،المملكة المغربية، 1978م ص44.

(2) إبن خلدون ، العبر ، بيروت ،لبنان، 1971 م ، ص105.

(3) ابن الحاج برهان الدين بن عبدالله النميري ، فيض العباب وإقامة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وإعداد محمد شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان، 1990 م ، ص17 ؛ أحمد محمد الطوخي ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، تقديم أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر،1997 م ، ص 331 ؛ الغنيمي ، الموسوعة ، ج5 ، ص281 .

السلطان أبي الحسن المريني في رحلته لتونس وتوفي بها[1]، والرحالة محمد بن محمد بن على أحمد بن مسعود العبدري ، له رحلة سميت برحلة العبدري ، حيث بدأ رحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة في سنة (688هـ/1289م) ، من مدينة حاحة حتى المدينة المنورة ثم رجع وكانت رحلته لأسباب سياسية واقتصادية وعسكرية ، وهى رحلة حجازية سجل المؤلف بها ملاحظاته عن مشاهدات في سفرته ذهاباً وأياباً لبلاد المغرب ومصر والحجاز وبها أشارات لبعض ملامح الحياة الفكرية والاجتماعية للمغرب[2].وقد برز عدد من الرحالة في عصر بني مرين ، منهم الرحالة يوسف بن موسى بن أبي عيسى السبتي أبو يعقوب رحل من المغرب إلى مصر ، والرحالة أبوعبد الله بن عبدالحق السوسي رحل من المغرب إلى الحجاز ، ثم إلى مكة وبها توفي ، والرحالة أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالحليم الدوكالي ، رحل إلى المشرق ودخل مصر، والرحالة محمد بن عبدالواحد الرياضي التازي(ت في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي)[3]، وهناك رحلات كانت لغرض السفارة في عهد السلطان أبي الحسن مثل رحلة الخطيب إبن مرزوق سفير السلطان أبي الحسن المريني إلى قشتالة سنة (748هـ/1347م) ، ورحلة أبي عبدالله السطي الذي ذهب لخطبة الأميرة الحفصية (عزونة) سنة (746هـ/1345م) ، ورحلة ابن أبي يحى التسولي التازي*[4]، الذي أستخدمه السلطان أبي الحسن في سفارات عديدة له سياسية لا تقل أهمية عن رحلات السلطان أبي الحسن ، وقد حققت هذه الرحلات نتيجة طيبة حيث أوجدت علاقة مزدهرة بين السلاطين ورعاياهم ، ويتضح ذلك من خلال بعض الرسائل مثل رسائل ابن الحاج النميري المرسلة للشرفاء والعلماء لكي تقرأ على العامة[5] ، وسفارة المقرئ إلى الأندلس سنة (757هـ/1356م) ، وسفارة

---

(1) إبن خلدون ، العبر ، بيروت ، 1971 م ، ص 283-285.

(2) أبوالفضل عباس بن محمد بن إبراهيم المراكشي ، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام وملوك الإسلام، ج1 ، المطبعة الجديدة ، الرباط ، المملكة المغربية،1937 م ، ص197 ؛ عثمان بن عثمان إسماعيل ، تاريخ شالة الإسلامية ، دار الثقافة ، بيروت،لبنان، 1975 م ، ص275 .

(3) الوزير محمد بن محمد الأندلسي السراج الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق، محمد بن الحبيب الهيلة، ج1،لا.ب،الدار التونسية للنشر،تونس، 1970 م، ص 258؛ وابوعبدالله محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري المسماة بالرحلة المغربية ، تح ، محمد الفاسي، الرباط ،المملكة المغربية، 1968 م، ص 24، 90.

(4)* هو إسحاق إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي يحي التسولى التازي ينتمي إلى بلدة فاس ، كان يدرس كتب القصة مثل التهذيب والرسالة القيروانية وأشتغل بالقضاء والسفارة لدي ملوك الأندلس والشرق وتوفي بمرض الفالج في بلدة تازا عام 749هـ/1348م ، أنظر ترجمته إبن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص834 .

(5) ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 52.

أبي القاسم البرجي إلى مصر سنة (755هـ/1354م) وغيرها، وفوائد تلك الرحلات تعود على المرتحل بتكوين شخصيته،وتدعيم مركزه، وجعل له صلات مع أعلام في المشرق[1] وللبلده تعودعليه بنسخ كثير من الكتب المشرقية على يد الرحالة مما يكون سبباً في شيوع العلم والثقافة بالإضافة إلى أن الرحلة إجازة للعلماء بالتدريس في بلادهم[2].

ولم يكتف الرحالة المغاربة بتلك الفوائد بل استطاعوا نقل الطريقة الموسوعية في الكتابة مما أدى إلى ظهور العديد من الموسوعات في المغرب مثل البيان المغرب في أخبار المغرب لأبن عذاري المراكشي ، وابوعبدالله محمد بن شعيب الرعيني الفاسي صاحب تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث والجامع المفيد في سفرين ، ومحمد الزرعي الجد صيوني السبتي*[3]،الذي كان مؤلفه في نحو أربعين جزءً مرتبة على الحروف الأبجدية ، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجناني ، مؤلف كتاب المنهل المورود في شرح المقصد المحمود في ثلاثة أسفار ، كما ظهر لأبن البنا، أكثر من مئة مؤلف سلك فيه طريقة المشارقة ، علاوة على ظاهرة الكراسي العلمية ، التي نقلها المغاربة من الشرق ، حيث كان الشيوخ يجلسون على كراسي والطلبة حولهم ، وقام المغاربة برحلات تأثيرية أيضاً للمشرق تجلت في إدخال المذهب المالكي من الإسكندرية ، وفي سلطنة مالي ونشر الإسلام هناك مما شجع سلطانها (كمنسا سليمان) في بناء المساجد والجوامع بالإضافة إلى الزي المالي الذي كان يشبه زي أهل المغرب[4] ، فيذكر القلقشندي "إن لباسهم عمائم بحتك مثل المغرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم في نهاية الرقة واللطف تسمى الكميصاء ، ولبسهم شبيه بالمغاربة جُباب ودرايع بلا تفريج"[5].

---

(1) محمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية ، ص185.

(2)عبدالكريم التواتي ، مظاهر الثقافة والفكر ، ص 67 ؛ محمد بن عبدالعزيز الدباغ ، (من مجالات العمل التطوعي في المعدات العلمي والثقافي) ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، عدد 310 ، 309 السنة السادسة والثلاثون ، 1415 هـ/1995 م ، ص124 .

(3)*محمد الزرعي الجدوميوي ينتمي إلى بلدة سبتة عرف عنه شعره البارع وله مكتبة وقد كتب معجم في حوالي أربعين جزءً مرتب على الحروف في أخبار العلماء ، للمزيد ينظر ، مؤلف مجهول الاسم ، بلغة الأمنية ، ص27.

(4) يوسف الكتاني ، (ظاهرة الكراسي العلمية)، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، عدد 244 ، 1405هـ/1985م ، ص102

(5) القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج5 ، ص299.

أما عن رحلات الأندلسيين إلى مدينة فاس ، فكان هدفهم إما الحصول على وظائف في البلاط المريني مثل الأديب الحاج النميري الغرناطي ، الذي تولى العديد من الوظائف منها كتابة الإنشاء للسلطان أبي عنان، وشغل منصب القضاء بالأندلس ، محمد بن جزئ الكلبي الذي عمل كاتباً للسلطان أبي عنان المريني وتولى مهمة كتابة وتسجيل رحلة ابن بطوطة[1]، أو للتدريس في جامعاتها القروية كابن عباد الرندي ، الذي تولى الخطابة بجامع القرويين ، وكان من علماء السلطان أبي الحسن في أثناء رحلته لتلمسان ، وله مؤلفات عديدة منها التنبيه والرسائل ، كما اشتغلوا كمعلمين في معاهدها العلمية وكأطباء في المستشفيات المغربية مثل ابن غيات السلوي وأبوالفضل العجلاني اللذين كانا يديران بمارستان أبي عنان ويقومون بالدراسة فيه، وذلك في سلا سنة(760هـ/1358م) وأما الطب ونقله لبلادهم مثلما فعل ابن شعيب الذي أخذ الطب بتونس على يد يعقوب الدارس ،عندما رجع لبلاده قام بعمل دراسة عن تغيير الأدوية المقررة ومن الذين نهلوا العلم في مدينة فاس ونقلوه إلى غرناطة[2].

وهناك رحلات صنفت داخلية ، والتي تمت داخل المغرب وشملت معظم المدن المغربية فمن هؤلاء المغاربة الذين تنقلوا في ربوع المغرب وبين أقاليمه الثلاثة أبوعبدالله محمد السلوي الذي رحل من المغرب الأوسط إلى فاس لتلقي العلم وبعد عودته من المغرب الأقصى ذاع صيته وأسس له أبوتاشفين الزياني مدرسة ليدرس بها ما حصّله من علوم فاس[3] ، وابوعبدالله محمد بن عمر بن الفتوح، أصله من تلمسان أنتقل إلى فاس ثم إلى مكناسة ، ولسان الدين بن الخطيب الذي وفد على مدينة فاس من الأندلس وأثر في الميدان السياسي والثقافي ، ويدل على ذلك مؤلفاته العديدة والمتنوعة ، وأحمد بن عاشر، المعروف بزهده وتصوفه والذي كان شيخاً يتبرك به الناس حيث تنقل بين أرياف المغرب في سلا وطنجة وفاس ، وقد عرف عن السلطان أبي عنان الاتصال به والاستفادة من نصائحه[4].

---

(1) ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ج2 ،ص137.
(2) النميري، فيض العباب ص 35،25،37.
(3) محمد عادل عبدالعزيز إبراهيم ،الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين، ص76 ؛ الحريري ، المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني،ص221.
(4) محمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، ص37.

وكان هناك أسماء ثلاثة من كبار الرحالة في ذلك العصر ظلوا خالدين بخلود أعمالهم ، وهم ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) بطنجة وصاحب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار ، والعبدري صاحب الرحلة المغربية ، وابن رشيد*[1] (ت721هـ/1321م) ، بفاس صاحب رحلة ملْ العيبة فيما جُمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة، فقد اتفقت الرحلات الثلاث في محركها الأساسي الرغبة في الحج إلا أنه كان لكل من صاحب رحلة صفات شخصية وثقافية جعلت من رحلته متميزة عن الأخرى، فأبن بطوطة كان ضليعاً في الفقه ولذلك أشتغل بالقضاء في جهات مختلفة ، ونظر لرحلته لبلدان كثيرة ومختلفة ومشاهداته عادات وأجناس عديدة غلب على رحلته الطابع الاجتماعي[2]،في حين أن رحلة العبدري غلب عليها الطابع الأدبي لما له من ملكة قرض الشعر ، وتمكنه من القرآن والحديث، فقد كان يستشهد بأحاديث نبوية كثيرة تنم عن رؤية متينة وسند قوي كما كان ينتقد الشعراء مبيناً لهم أحسن الطرق لإجادة النظم، أما عن رحلة ابن رشيد فقد حكم عليها ابن الخطيب مما نصه " .. كان .. واسع السمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث .. وجامعاً للكتب .. عارفاً بالقرآن .. كثير التواضع .."[3]،وإن دل ذلك على شيء فيدل على ثقافته الدينية العالية، مما غلب على رحلته الطابع الديني، وباجتماع الرحلات الثلاثة معاً تكون شبة دائرة معارف أو موسوعة جغرافية وتاريخية واجتماعية، عن البلاد التي رواها هؤلاء الرحالة وتلك المعلومات لم يكن ممكناً الحصول عليها لولاهم فقد أثروا المكتبة العربية والإسلامية بهذه المؤلفات القيمة والتحف الثمينة.

(1)* أبوعبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري ينتمي إلى مدينة سبته تتلمذ على يد الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع في قراءة القرآن وقام بالرحلة للمشرق وزار مدن مثل القاهرة وتونس وبجاية والإسكندرية وتتلمذ على يد أشياخها وله مؤلفات عديدة من أهمها ترجمان الترجمان، المحاكمة بين البخاري ومسلم، ولد بسبته سنة (657هـ/1259م)، ينظر إلى إبن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ج2 ، ص67 .

(2) محمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، ص 90 ، 185.

(3) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، مج1 ، تح ، محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر،1397هـ/1977م ، ص136.

الفصل الثاني

المؤسسات العلمية ودورها بالنهوض بالدولة علمياً وثقافياً في عصر بني مرين.

المبحث الأول:الكتاتيب والمساجد والأربطة.

المبحث الثاني:الزوايا والمدارس.

المبحث الثالث:المكتبات ودور العلماء والقصور.

المبحث الأول

الكتاتيب والمساجد والأربطة.

1-الكتاتيب*[1]:- وهي المرحلة الأولى للتعليم في العصر الإسلامي ومن أهم مراحله، لأنها هي الأساس لوضع اللبنة الأولى لبناء شخصية الفرد المسلم ولذلك أولى بنو مرين مزيداً من الاهتمام لهذه المرحلة، وذلك من خلال توفير قاعات ،يعلمّ فيها مجموعة من الأساتذة الأطفال الصغار القراءة والكتابة على ألواح واسعة يكتب التلاميذ فيها آيات من القرآن كل يوم، ويختمونه في ثلاث سنوات على الأكثر، والكتاتيب يتعلم الصغار فيها كتاب الله فضلاً على الخط ومبادئ النحو والفقه [2].

وقد تعددت الكتاتيب في العصر المريني فكانت إما ملحقة بالمساجد أو بالمدارس، وقد أنشأ السلطان أبي الحسن المريني كتاتيب كثيرة ملحقة بالمدرسة الصباحية، ومن أشهر مؤدبي الكتاتيب محمد بن سالم الحناوي، وكان شغله تعليم كتاب الله للصبيان، وإنتساخ كتب العلم[3].

ويرى بعض الفقهاء أمثال ابن الحاج في عدم اتخاذ المسجد كمكتب، وموضع الكتاب خارج المسجد خوفاً من عبث الصبية، وإزعاج المصلين، إلى بلوغ الصبي سن سبع سنين، وهي سن تكليف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية[4].

ولقد كان نظام التعليم داخل الكتاب ديني وأدبي، فكان التلميذ يقوم بدراسة أجزاء من آيات القرآن الكريم كل يوم، فيحفظه على مراحل، وبعد حفظه يعيدون ختمه إلى أن يحفظوه عن ظهر قلب، فضلاً عن تعلمهم مبادئ قواعد رسم القرآن الكريم والنحو والآداب الإسلامية كالوضوء والصلاة [5]. وعندما ينتهي التلميذ من ختم القرآن يقوم والده بإقامة حفلاً له، ومن الناحية الأدبية فإن التلميذ أو الطالب يحفظ الأجرومية

---

(1)* كتاتيب مفردها كتاب والكُتاب مشتقة من كتب والمُكْتِب بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء أو المُكَتِب بضم الميم وفتح الكاف وكسر التاء مع التشديد، وهو الذي يعلمّ التلاميذ الكتابة ويطلق عليها في المغرب " المسيد"، ولعلها تحريف من كلمة المسجد جرياً على عادة بعض اللهجات العربية التي تقلب حرف الجيم إلى ياء كما في الكويت، أنظر إلى ، علي حامد الماحي، المغرب في عصر السلطان أبو عنان المريني (749-759هـ/ 1348-1358م)، دار النشر المغربية، كلية الآداب، الدار البيضاء ،المملكة المغربية،1986م، ص203.

(2) محمد نوح،(مراكز التعليم في عهد بني مرين)، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد 9، المغرب، 1991م، ص 443-446.

(3) السلاوي، الأستقصا، ج2، ص 87؛ عبدالعزيز الساوري، (تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا)، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب- عدد 293-34 ، 1413هـ / 1992م، ص 95 .

(4) الونشريسي، المعيار، ج8، ص 244؛ نجاح القابسي، (المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب)، مجلة كلية التربية، طرابلس ،ليبيا ،العدد الرابع عشر، 1980-1981م، ص 12.

(5) الونشريسي، المعيار، ج 8، ص 244؛ عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العربية، القاهرة ، 1958م، ص 69.

والألفية وكما كان متعارف عليه حسب الترتيب المغاربي وإضافة لذلك فإن الطالب يتعلم حسن الخط، وفن التجويد، وتصبح لديه ثقافة متنوعة [1].

شروط أختيار المعلم:

وللمعلم مكانة رفيعة، فهو يقوم بتعليم الطلبة وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة، ويشرط في معلم الكُتاب أن يتحلى بالاعتدال في تصرفاته، وأن يكون من أهل الدين والفتوى، حافظ للقرآن الكريم بشكل جيد، وأن يقوم على تعليم الدارسين بنفسه، ولكن إذا تعذر ذلك يقوم فيستعين بمساعد له عرف باسم **العريف**، وأن يكون له نفس الصفات وأن يستعين بغيره من حين لأخر، ويرى الفقهاء إن العقوبة واجبة للطفل سواء كانت لفظية أو بدنية كالسوط والفلقة، ولكن محدودة بشروط أن يكون الضرب غير مبرح[2].

أما عن الأجرة مقابل عملهم حتى يتفرغوا لتعليم الأطفال فكان أجراً أسبوعياً، وأحياناً كان يبيع الشمع لأهالي الأولاد في احتفال الختمة، ويقوم بنسخ بعض كتب العلم، فضلاً عن الهدايا العينية والنقدية التي كانت تحمل إليه في الأعياد الكبرى أو الاحتفالات المدرسية الخاصة ويتضح هذا جلياً في تخصيص المغاربة يوماً للمعلم سواء في البوادي أو الأرياف عرف (بيوم خميس الطالب)[3].

أما فترة الدراسة: تبدأ من الصباح وتستمر حتى الظهيرة، يغادر بعدها الدارسون لتناول الغذاء، ثم يعودون بعدها حتى آذان العصر، **أما الأدوات المستعملة للدراسة:** فكانت لوح من الخشب وريشة ومحبرة صغيرة، ويتدرج الطلبة في الدراسة، وقد أكد ذلك إبن خلدون، لأن التحصيل يكون بصورة تدريجية حتى يكون مفيداً [4].

ويتبين لنا من خلال ذلك إن الكتاتيب هي أساس التعليم، وهي التي تصقل الفرد، ومنها يخرج الطالب متعلماً للغة العربية التي أُنزل بها القرآن الكريم، ويتعلم

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، دار الأحياء التراث العلمي، بيروت، ط4 ،(د.ت)، ص 397؛ عثمان الكعاك، مراكز الثقافة، ص 69.

(2) بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان ،2004 م، ص350.

(3) الونشريسي، المعيار،ج7، ص 164.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ص 477.

الثقافة الإسلامية حتى يتسنى له بعد ذلك الدخول لكافة المؤسسات العلمية، والتي تؤهله بعد ذلك.

2-المساجد: -

المسجد في اللغة: هو المكان الذي يسجد فيه، وهو مفرد المساجد، وهو مصلى الجماعات ومحراب البيوت والموضع الذي يتعبد فيه الإنسان استناداً لقول النبي ﷺ (جُعلت لي الأرض مسجداً والتراب طهوراً)[1].

أما اصطلاحاً: هو كل مكان من الأرض يصلح أن يكون مسجداً إذا توفرت فيه الشروط اللازمة لاتخاذه مسجداً وتأتي بالمرتبة الثانية بعد الكتاتيب وهي مؤسسات للتعليم، ودور المساجد لم تكن مجرد أماكن لأداء المناسك فقط، ولكنها تؤدي مهمتها في نشر العلم والمعرفة وتزويد الناس وتوجيههم التوجيه الصحيح من خلال الدروس الوعظة والإرشادية، وقبل الخوض في الحديث عن المسجد ودوره التعليمي والثقافي، يجب أن نفرق بين الجامع والمسجد ، فالجامع: مقر للصلاة الجامعة كصلاة الجمعة والعيدين، وهو ملتقى أهل العلم والعلماء ومركز أنشطة المسلمين الاجتماعية، كالشورى والإفتاء والتقاضي بينهم، وغالباً ما يكون الجامع في المدن الكبيرة كفاس[2].

أما المسجد: فهو المكان الذي تقام فيه الصلاة اليومية، لقد أهتم المرينيين ببناء المؤسسات الدينية وخاصة المساجد منها وحرصوا على تجميلها وتجديد القديم منها، وبلغ اهتمامهم بالناحية الدينية حيث كانوا يعمرون المساجد بالصلوات والتسبيحات وتلاوة القرآن[3]، وبعثوا بالمصاحف الشريفة إلى المساجد الثلاثة ــ المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوي ــ التي تُشد إليها الرحال[4].

وعلى الصعيد المعماري، فقد قام السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ /1286-1306م)، بتوسعة وإكمال بناء جامع تازا الكبير، وفي سنة

(1) أبو الفضل جمال الدين إبن منظور الأفريقي، لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان ،ج3، (د.ت)، ص 204-205.
(2) أنبية المعلول، المسجد بين الأمس واليوم، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الفاتح،طرابلس، ليبيا، 1995م، ص 21.
(3) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 105.
(4) المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 135- 136.

(693هـ/ 1294م)، عُلقت به ثريا كبيرة من النحاس، وزنها أثنين وثلاثين قنطاراً، وعدد كؤوسها خمسمائة وأربعة عشرة كأساً، وأنفق السلطان في ذلك ثمانية ألاف دينار ذهبي[1].

كما بني السلطان يوسف بن يعقوب سنة(696هـ/ 1296م) ، مسجداً في تلمسان بالمغرب الأوسط أسماه مسجد سيدي أبي الحسن، وفي مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، بني السلطان يوسف بن يعقوب مسجداً أخر، عرف بالجامع الأحمر وأكمل السلطان أبو الحسن بناء المسجد الذي بدأه السلطان بن يوسف بن يعقوب بالمنصورة، كما تم إصلاح الجدار الشرقي للقرويين، وكذلك جددت سائر الأبواب الممتدة على طول هذا الجدار، وقاموا باستحداث باب جديد مماثلاً لباب المدرج بجامع الأندلس، الذي كان قد بناه الموحدون، كما أهتم المرينيين بإعادة بناء الجدار الشمالي والأروقة الخاصة بالنساء وخصصوا مدخلاً خاصاً بهن، وذلك لتمكين النساء من الاستماع للدروس الدينية، كما أضافوا مخزناً لإيداع القناديل والمصابيح وأدوات التنظيف والحصر الخاصة بالمسجد[2].

أما السلطان أبي الحسن المريني فقد أمر ببناء مسجد العباد، قرب ضريح أحد الأولياء ويدعى سيدي بومدين في تلمسان سنة (740هـ/ 1339م)، وزينه بالفسيفساء الخزفي[3] _ وزخرف جدرانه وسقوفه ذات التربيعات بطلاء من الجص المنقوش، وعمل مصلاه من خمس بلاطات، ومحرابه المكون من فجوة ذات زوايا منتظمة محمول قوسها على أسطوانتين بتاجهما الأبيض[4].

وبالقرب من مسجد العباد أهدى السلطان أبوعنان فارس سنة (754هـ/ 1353م)، زاهداً يدعى سيدي الحلوى، مسجداً أطلق عليه أسم سيدي بومدين، أحتوى المصلى على ثمانية أعمدة[5].

---

(1) إبن ابي زرع ، الأنيس الطرب، ص 409.
(2) المصدر نفسه،ص79.
(3)ينظر للملحق رقم(3) .
(4) شارل أندري جوليان ،تاريخ أفريقيا الشمالية ،تونس،الجزائر،المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م ج2 ،تح محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية تونس ،ط2 ،1993م،ص 240،239.
(5) شارل اندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ،ص239.

كما بني المرينيون العديد من المساجد والجوامع في الدروب والأزقة مثل مسجد القفال، ومسجد مقبرة زجلو، ومسجد الغزالين، ومسجد رحبة الوزان، ومسجد زقاق الحرة، وجامع الربض الأسفل، وجامع أفراك، ومسجد أبي الحسن، ومسجد الوراقين، وهذه المساجد والجوامع ألحقت بمكتبات رغبة من بني مرين في تثقيف الناس، ونشر العلم والمعرفة وتسهيل ذلك للجميع، وكان لهذه المساجد الدور الكبير في أداء رسالتها كمكان للصلاة، ومكان تعليمي تثقيفي، وذلك من خلال أمرين أوجدهما بنو مرين لتعليم وتثقيف كافة الفئات الشعبية المختلفة[1] وهما:-

1- المجالس الأرضية:-

ويعني بها تلك المجالس التي لم تصل إلى درجة الكراسي، وطلبتها يجلسون في مكان حول أستاذهم، وعددهم ليس كثير، مقارنة بطلبة الكراسي، ويذكر على سبيل المثال مجلس الإمام إبن الحاجب سنة (646هـ/ 1248م)، وكان يضم العشرات من الطلبة، وعندما يصل العدد إلى مائتين أو ثلاثمائة يلجأ الأستاذ للجلوس على الكراسي، ليستمع له أكبر عدد من المستمعين[2].

2- الكراسي العلمية: -

وقد انتشرت بمسجد مدينة فاس وسبته، ومنها إن ظاهرة الكراسي العلمية من المميزات الثقافية المرينية، ولهذه الكراسي أوقاف خاصة صادرة عن السلاطين، وتعقد حول المساجد وهي كراسي منصوبة بمختلف الأشكال يجلس عليها العلماء والمدرسون لتعليم العامة أمر دينهم ودنياهم، ومنها على سبيل المثال: -

أ ـ كرسي الونشريسي بجامع عدوة الأندلس: -

قامت ببناء جامع الأندلس مريم بنت محمد الفهري، التي هاجرت من الشام إلى المغرب سنة (245هـ/ 859م)، وقيل إن أصلهما من بلاد العراق، وقد نزلت بناحية علوان بالمغرب، وقد بني المسجد الجامع في سنة (245هـ/ 859م)، أي السنة نفسها التي وصلت بها إلى المغرب، وأستمر هذا المسجد قائماً إلى العصر المريني، حيث قام السلطان يوسف المريني بتجديده وأصلحه من مال الأوقاف بعد ما أصابه

(1) شارل اندريه جوليان ، تاريخ افريقية الشمالية ، ص 240 .
(2) أدريس عزوزي ،(الكراسي العلمية بجامعة القرويين أيام ازدهارها وإشعاعها الفكري)مجلة الحضارة الإسلامية بكلية الشريعة ،فاس ،المملكة المغربية ،1414هـ/1993م،ص112،108.

ضرر جراء السيل الذي جرف عدوة الأندلس بفاس سنة (626هـ/ 1226م)، وأصبح هذا الكرسي بعد إصلاحه مختصاً بدراسة الفقه المالكي، وقد أوعز بإصلاحه إلى أبا عبدالله محمد بن أبي القاسم بن حسونة في سنة(695هـ/ 1295م)، وكان من بين المع أساتذة الجامع أبي الربيع سليمان الونشريسي الفاسي (705هـ/ 1306م)، وكان يقرأ بهذا المسجد المدونّة وكتاب التفريع لأبن الجلاب ويعلمها الطلبة فتخرج على يديه الكثير من علماء الفكر والفقه[1].

ب ـ كرسي مسجد الأبارين: –

مختص بتدريس التفسير والحديث وقد شهد مسجد الأبارين حركة علمية ثقافية نشطة، لأنه على مقربة من جامع القرويين ومدرسة العطارين، وقد ألقى فيه كثير من العلماء دروساً في التفسير والحديث في مختلف العلوم والفنون، وكان ابوالقاسم بن محمد التازي القشتالي له كرسي للتفسير فيه (721هـ/ 1321م) [2].

جـ ـ كرسي مسجد الأزدع: –

يُعد من أول الكراسي وهو في أحد المساجد الفرعية بفاس، وكان من أعيانه في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن الإمام أبوالحسن الصغير (719هـ / 1319م)، ومن الكتب التي درسها هنا كتاب تهذيب البرادعي في اختصار المدونة، وفي سبته كان التعليم منتشراً في كل المساجد وكان يدرس فيها جميع العلوم، ومن هذه المساجد المسجد العتيق، وقد تولى الإمامة والخطابة به محمد بن طريف العبدري[3]، فضلاً عن مسجد زكلو الذي درّس به الحافظ التاريخي أبوعبدالله الزرعي الجدومي السبتي، وهناك كراسي سميت بأماكن مشهورة داخل الجامع مثل كرسي المحراب الذي يرجع إنشائه لسنة (651هـ/ 1253م) حيث رأى الشيخ أن يغير الكرسي إلي المحراب لاستيعاب عدد أوفر من الطلاب وكانوا يدرسون عليه تفسير القرآن للثعالبي وحلية الأولياء لأبي النعيم ، ولما تولى السلطان أبوعنان أمر بزيادة كتاب الشفاء لأبن عياض، وكرسي ظهر الصومعة وكرسي

(1) محمد لوح ،(مراكز التعليم في عهد بني مرين)،ص448.
(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة.
(3) أبوعبدالله محمد بن القاسم بن محمد السبتيي الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار، تح، عبدالوهاب بن منصور، ط2، (د،ن)،الرباط،المملكة المغربية،1983م، ص 23.

الركن الشمالي الشرقي الذي كان على مقربة من الباب ذي الخوخة، وكرسي الثريا الكبرى، وهذا الكرسي لم يكن من الكراسي المحيطة بجدار الجامع بل كان يقع على مقربة من الثريا الكبرى بوسط القرويين حيث كان يتجمع حوله المئات من الطلاب، وكان يدرس عليه صحيح البخاري والرسالة للقشيري، وتعد من أصول الكتب الصوفية[1]، وكرسي العنزة وكان مخصص لتدريس الفقه، ومن علمائه منديل بن أجروم، (ت772هـ/1370م)، عبدالرحمن الدوكالي(ت 962هـ/ 1554م)، وهناك ثلاث كراسي بالقرب من كرسي العنزة، وهي كراسي البلاط الأول وهو مخصص لقراءة الكلاعي، وكرسي البلاط الثاني يدرس عليه كتاب الحلية لأبي النعيم، وكرسي البلاط الثالث، وغالبية هذه الكراسي لدراسة كتب الفقه والحديث والتفسير، وهناك كراسي بأسماء أبواب ومنها كرسي باب الرواح الأدنى وهو يقع بين بابي الرواح الأدنى والأوسط، وكرسي باب الشماعين ويوجد عن يمين المدخل الرئيسي للجامع، وكانت تدرس عليه رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/ 996م)[2]،وكرسيّا باب الصالحين وهما كرسيان الأيمن ويوجد عن يمين الصالحين والأخر علي يساره، وكان يقرأ عليه شهاب الأخبار للقضاء والعمدة للعيني كل يوم خميس وجمعة وكرسي مستودع باب الحفاوة يقع علي يمين الداخل من باب الحفاة، وكان مقصد العامة والخاصة معاً، وعرفت أيضاً كراسي بأسماء علماء، مثل كرسي الونشريسي، وكرسي الورياكلي، وكرسي أبي الحسن الصغير، أما باقي الكراسي فهناك كراسي جامع الأندلس ومجالسه الأرضية، فقد كانت كراسيه تشبه كراسي جامع القرويين، ومنها كراسي بأسماء أماكن مشهورة مثل كرسي العنزة والمستودع وهذا يدل على حرص بنو مرين على تعليم وتثقيف جميع الفئات من العامة، ورغبة منهم في إيجاد ثقافة شعبية عامة، والدليل على ذلك موقع بعض المساجد بين المتاجر والمصانع، مثل كرسي مسجد الأبارين، كما يدل علي مدى حب السلاطين للعلم وتشجيعهم عليه، وثقافتهم الواسعة، لأن فاقد الشئ لايعطيه. وتمون تلك

(1) عبدالله التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، ط3، الرباط،المملكة المغربية، 1421هـ / 2000م ، ص 110.

(2) كوتاري، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج29، مادة المالكية، تر، حسين أحمد عيسى، مركز الشارقة للإبداع الفكري،الإمارات، 1418هـ / 1998م، ص 8982-8983.

المؤسسات العلمية، كالمدارس والمساجد وكراسيهم عن طريق الأحباس، للأنفاق عليها، وذلك عن طريق وقف الأوقاف على تلك المؤسسات أو بالصرف عليها من خلال الهيئات والإعانات، حيث خصص بنو مرين عدداً من الفنادق والمصانع والحدائق، كحبس يعود أرادها لتلك المؤسسات سابقة الذكر[1]، وقال السلاوي في ذلك " رتب لقراءة القرآن – السلطان حسن المريني– والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر وحبس الأرباع والضياع"[2]، فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغت أحباس المدارس مبلغاً كبير، حتى قيل أن المبالغ المصروفة على مدرسة في عهد السلطان أبي الحسن المريني مائة ألف دينار وقد مزق اعتماداتها لما عرضت عليه قائلا:

لا بأس بالغالي إذا قيل حسن..... ليس لما تستحسن العين ثمن[3].

وليس أدل على أحباس الجوامع والمدارس، مما ورد في معيار الونشريسي عن حانوت حبس على مسجد لا يدري مصرفه، وسؤال القاضي أبو عثمان سيدي سعيد العقباني عن مسألة جامع وقف عليه أناس أحباساً وفي المحبس ملوك[4]، وإن دلت تلك النوازل على شئ فتدل على وفرة الأوقاف في ذلك العصر، والدور الذي تلعبه كدور اجتماعي وسياسي وغيره من ضمان اجتماعي للدارسين فيه ضمان لاستمرار سياسة الدولة.

3-الأربطة: -

من المراكز التي ساهمت في نشر الحركة العلمية والثقافية في بلاد المغرب، مثلها مثل المؤسسات التعليمية التثقيفية الأخرى.

المعنى اللغوي: -في المعاجم اللغوية تدل على كلمة الرباط ملازمة ثغر العدو[5].

المعنى الاصطلاحي: -وتعني الربط والمرابطة وملازمة ثغر العدو، لقوله تعالى{وصابروُا ورابطُوا}[1].

---

(1) عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة الدراسة، بيروت، لبنان،1973م، ص 456-457.

(2) السلاوي، الأستقصا، ج1، ص 32-54، عبدالكريم التواتي،(مظاهر الثقافة والفكر لعهد بني مرين)، ص 75.

(3) عبدالعزيز الساوري،(تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا)، مجلة دعوة الحق ،المملكة المعربية،ص 131.

(4) الونشريسي، المعيار، ج7، ص 40-215.

(5) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،ج5 ، تح إبراهيم الترزي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت،2000م، ص 141.

والرباط من الناحية المعمارية مكان حصين، وقد وظفه المسلمون كمنارات، تلحق بالربطات الساحلية، ولإرسال الرسائل، إذ كانت الرسائل تصل من الإسكندرية إلى سبتة في وقت قصير، كما أن للرباطات أسماء مختلفة مثل المحرس والقصر والحصن[2]، التي مر منها الفاتحون المسلمون الأوائل وأقدمها، في إفريقية رباط طرابلس، والمنستير، اللذين أنشأهما الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة(179هـ/ 795م)، ورباط شاكر، ورباط نفيس، وأغمات، ورباط سلا ورباط أصيلا، ورباط ماسة في السوس الأقصى، ورباط تازا، ورباط تنمل في الأطلس الأعلى، ورباط الفتح، وهو مقر لتجميع المجاهدين للعبور إلى الأندلس، وأهتم المرينيون بإنشاء الربطات على السواحل لتأدية مهامها التعليمية والدفاعية، كذلك قال ابن مرزوق: "إذا وقدت النيران في أعلاها تصل في الليلة الواحدة مسافة تسير فيها القوافل نحو شهرين...ولا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل المسلمين إلا كشفوها في المحارس" [3].

وتعتبر البيئة المغربية بيئة خصبة للزهد والتصوف، فأدرك بنو مرين، وعلماء المالكية ذلك فجعلوهم يؤدون دوراً مؤثراً بجانبهم لتحريك الناس في أوقات الحروب، ولمحو الأمية وتثقيف الناس ونشر الفضيلة بين الناس، ونظراً لرسالتهم الخيرة، أتجه الشعراء والأدباء والمفكرين للأربطة، مما أضاف إليها الصفة التعليمية، وتمثل ذلك من خلال احتواء المتصوفين في المدن والأرياف وتقرباً منهم، قام سلاطين بنو مرين إنشاء عدد من الأربطة، والتي كانت موجودة من عصر الأدارسة مروراً بالمرابطين ثم الموحدين، وقد عرف الرباط أيضاً باصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة، وعند المتصوفة عبارة عن الموضوع الذي يلتزم فيه العبادة، بل كان عبارة عن مجامع لقراءة العلم وتلاوة القرآن والجهاد[4].

ونظراً لرحيل كثير من معلمي القرآن من الكتاتيب إلى الأربطة، مما أضفى عليها الصفة التعليمية وجه بنو مرين عنايتهم للأربطة الموجودة كرباط الفتح الذي

---

(1) سورة آل عمران، جزء من الآيـة رقم 200.
(2) بشير التليسي، الاتجاهات الفكرية، ص 392.
(3) إبن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح ، ص 117؛ محمد عبدالهادي شعيرة، الربطات الساحلية الليبية الإسلامية، (د . ن) طرابلس، ليبيا، 1968م، ص 337.
(4) إبن مرزوق، المسند الصحيح ،ص 119.

كان مقراً لأخذ البيعة لولاة العهد من بني مرين، ومركزاً يقضي فيه السلاطين أعيادهم، ورباط شالة الذي اتخذوه مقبرة لسلاطينهم وأمرائهم، وعرف باسم المقبرة المرينية،كما أنشئوا أربطة مثل رباط أبي صالح بأسفي، ورباط زكريا الحاجي بسلا، ورباط أبي زيد الهزميري بأغمات، ورباط اليميس بأزمور، وقد أنشأ السلطان أبوالحسن الأربطة على سواحل المغرب الأوسط والأقصى، والتي قامت بدور حراسة القوافل– وهذا يدل علي التجارة الرائجة في تلك الآونة– وكان بها نظار وطلائع يكشفون شاطئ البحر كاملاً، وأستمر على نفس المنوال أبنه أبوعنان في أنشاء عدد من الأربطة منها، رباط البحر، ورباط أم اليمن على ساحل البحر المتوسط، ورابطة الصيد في سبته[1].

(1) ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 331؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 398.

المبحث الثاني

الـزوايـا والـمـــدارس.

1-الزوايا: -

من المؤسسات العلمية والثقافية الهامة، ذات الطابع الديني بالمغرب.

وتعرف الزاوية في اللغة:ـ بأنها الركن والجمع زوايا ويقال زوى الشئ يزويه أي نحاه ومنعه أو جمعه وقبضه، وفي الحديث الشريف" زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها"[1]، وانزوى أي صار في الزاوية[2].

وفي الاصطلاح:ـ تطلق على خلوة للاعتكاف والتعبد أو تطلق على مصلى مستور تؤدي فيه الفرائض اليومية، كما يستخدم المكان للتعليم والوعظ، وللزاوية عادةً شيخ ينقطع لها، فالزاوية تختلف عن المسجد كما تختلف عن الرباط مع ما بينهما من صفات مشتركة[3].

أما في المغرب فيطلق على بناء أو مجموعة أبنية تستخدم لأغراض دينية، وتعرف الزاوية في بلاد المغرب أنها مدرسة دينية، ودار مجانية، لذلك كان روادها من طلاب العلم والفقراء والغرباء، وتأوي المتجولين وتطعم المسافرين، كما أتاحت الزوايا الفرصة لطلاب العلم للتفرغ للدراسة وعدم انشغالهم بأمور أخرى[4].

نظر المرينيون إلى المباني الجنائزية كالأضرحة والمقامات بعين الاهتمام، فبنوا عليها الزوايا والأربطة، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل، وذوي الحاجات والأيتام، حيث أمر السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة (684هـ/ 1285م)، وولده الأمير يوسف (ت 706هـ/ 1306م)، أن يبني على قبر جده عبدالحق بتافرطاست زاوية، وجعل عليها أسمه على قطعة من الرخام، وكلف من يقرأ القرآن فيها، وأوقف أرض كبيرة معدة للحراثة. وبني السلطان أبوعنان الزاوية المتوكلية، على غدير حمص الملاحق لمدينة فاس الجديدة[5]، كما كان يلحق بالزوايا حجرات ينزل فيها الضيوف والمعتكفون للعلم والعبادة، وقد وصف ابن مرزوق في مسنده" إن

(1) الأمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشري، صحيح مسلم، ج5، تح، عبدالله أبوزينة، دار الشعب، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 739.
(2) ابن منظور، ج14، مادة ز-و-ى، ص 363-364.
(3) أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1979م، ص 127.
(4) نجاح صلاح الدين القابسي،(المعاهد والمؤسسات في المغرب العربي)،عدد 14، 1980- 1981م، ص 17.
(5) ابن بطوبة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، ص 762.

الزوايا عندنا بالمغرب هي المواضيع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين" [1].

وقد انتشرت الزوايا في المغرب وأنشئت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن مما جعلها تساهم في الحركة التعليمية والثقافية، كما أسس السلطان يعقوب بن عبدالحق عدداً من الزوايا لإيواء المسافرين وعابري السبيل والمسافرين للحج، وقام السلطان أبوسعيد بإنشاء زاوية في منطقة رباط الفتح، وتم ذلك سنة (731هـ/ 1330م)، وحولت فيما بعد لمسجد [2]، كما قام السلطان أبوالحسن بإنشاء عدد من الزوايا والخلوات، منها زاوية شالة بسلا والتي تعبد فيها الوزير ابن الخطيب السلماني، وخلوة الأسبوع بفاس، والتي كانت لختم القرآن، كما ظهرت زوايا أخرى من إنشاء السلطان أبي عنان منها زوايا داخل فاس وزوايا في مختلف مدن المغرب، ومنها الزاوية المتوكلية ، والتي عرفت بدار الضيفان، نظراً لوظيفتها الأحسانية، وقد أسست عام (754هـ/ 1353م)، حيث قامت على الضفة الشمالية لوادي الجوهر في واجهة فاس الجديد، ويصفها صاحب فيض العباب" إنها شامخة البناء منفسحة الساحة، مبيضة المظهر يقوم فيها جامع زينت سقفه ببدائع الزخارف وقابلة في الشمال قبة ساحقة أزدوج فيها الحس الباطن مع الجمال الظاهر "[3]، وخلوة أسبوع المدرسة المتوكلية، التي بناها السلطان أبي عنان، وواصل بناء العديد من الزوايا بالأرياف، فأنشأ زاوية النُساك بسلا سنة(757هـ/ 1356م)، وزاوية إغلي بتازا، وزاوية سبته[4].

وأستمر سلاطين بني مرين في بناء الزوايا، فقد قام السلطان أبوسالم إبراهيم بإنشاء زاوية القراء التي عرفت بالخلوة في الركن الجنوبي الشرقي، ووصفها الجزنائي قائلاً" وهي ناطقة بالخير الجامع متشكلة الأوضاع، أطبق على حسنها الإجماع ولم يسبق إليها أحد أئمة هذه الأصقاع، جعل بجنوبها وشمالها من صناعة الخرط والتزيين بالأصبغة ما يبتهج به المار والسالك وقد توسطها سارية رشيقة من رخام

(1) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 413.
(2) عثمان إسماعيل عثمان، (منطقة رباط الفتح (2) مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – عدد 242، 1405هـ/ 1985م، ص 34.
(3) ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، ، ص31.
(4) ابن الخطيب، نفاضة الجراب ، ص 170 ؛ عبدالعزيز بنعبدالله،(مساجد المغرب في روعتها المعمارية)، دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- المملكة المغربية، العدد الخامس- السنة السابعة عشر، 1396هـ/1976م، ص 22.

ملون بالأحمر والأبيض"[1]،وبنى أبوزكريا الوطاس بأمر السلطان عبدالعزيز بن أبي العباس مجلسه المسمى خلوة أسبوع فاس الجديد سنة(798هـ/ 1395م) [2].ونستنتج من بناء السلاطين المرينيين للزوايا في ذلك العصر، كان لظهور تيار صوفي رسمي لمواجهة التجمعات الصوفية التي لم تكن على وفاق مع الدولة، بالإضافة إلى أنها أحد الدعائم التي نهضت بالتعليم والثقافة، وكان لها دور في نشره بالأرياف، كما كان لها دور سياسي إذ إنها كانت تسير شؤون المنطقة، وكان لها دوراً في تنشيط الصناعات الخاصة بالكتب من تجليد ووراقة.

2ـ المدارس: –

بدأ المسلمون بإنشاء المدارس في المشرق الإسلامي قبل مغربه، وهذه المدارس مؤسسات تتبع الدولة، حيث يقوم الأمراء والسلاطين بإنشائها والعناية بها، وكان الغرض تحقيق العديد من الأهداف، أهمها تأهيل الموظفين للدولة[3].

وفي بداية الأمر كان إنشاء المدارس من باب الأعمال الخيرية، ثم بدأت الحكومات تشترك في إنشائها منذ النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة، فأصبحت المدارس مؤسسات رسمية للدولة [4]، أهتم المرينيون ببناء المدارس من بداية حكمهم، وهذا يدل على اهتمامهم بالعلم والثقافة، إذ قاموا باستكمال كافة لوازم هذه المدارس ومتطلباتها، يعود السبب في ذلك من منطلق تمرير سياساتهم، وتعاملهم مع ناس مثقفة، ومنافسة من سبقهم في تقديم خدمات علمية وثقافية مميزة[5].

كانت المدارس المرينية تختلف عن مدارس المشرق، فمن الناحية المعمارية كانت مدارس المشرق تحتوي على عدة قاعات لتدريس أكثر من مذهب، مثل المدرسة المستنصرية*[6] في بغداد، في حين إن مدارس بنو مرين كانت تحتوي

(1) أبوالحسن علي الجزنائي، جني زهرة الأس في تاريخ مدينة فاس، تر، عبدالوهاب بن منصور، ط2، المكتبة الملكية، الرباط، المغرب 1411هـ/1991م، ص ص 76-77.
(2) ابن غازي العثماني، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 39.
(3) نقولا زيادة، أفريقيا دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، رياض الريسي للكتب والنشر، 1991م، ص 199.
(4) الفريد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر، عبدالرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص 356.
(5) ابن مرزوق، المسند الحسن ص 407؛ التازي،التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 2، ص ص 356-357.
(6)*بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي، ولذلك عرفت بالمستنصرية، وخصصها لتدريس المذاهب الأربعة، وجعل لكل لكل مدرس خمسة وسبعون طالب، ومعلماً للقرآن وأخر للحديث، وكان لها مكتبة وحمامات ومارستان ومطابخ، للمزيد

على قاعة واحدة لإقناع الناس جميعاً بالمذهب المالكي، إضافة إلى أن نظام المدارس المشرقية كان مقتبس من الأربطة لوجود إيواء للطلبة أما المدارس بالمشرق والتي كانت تشمل ثلاثة أنواع منها: الحرة الممولة من قبل العلماء والأعيان، والمدارس شبه الرسمية، والتي أقامها بعض الأمراء والوزراء، والمدارس الرسمية التي أمر ببنائها والأنفاق عليها السلاطين، في حين وجد نوع واحد من المدارس في المغرب، وهو المدارس الرسمية ، وهذا يدل على أن كل المؤسسات المغربية كانت توظف لسياسات رسمية معينة وفكر الدولة السياسي، كما أن المدارس المرينية اتصفت بتدرج فنها المعماري[1].

ولمزيد من التوضيح، وزيادة الإيضاح نتناول بالشرح االمختصر لمجموعة من المدارس في عصر بني مرين، وما كانت عليه تلك المؤسسات في ذلك العصر، الذي لم يترك فيه رجال الحكم جهداً في سبيل تيسير سبل العلم والمعرفة لكل طالب علم، أو حريص على تحصيل المعرفة في مختلف العلوم الدينية منها التطبيقية، ومن أهم هذه المدارس: ــ

أـ مدرسة الصفارين:

كانت مدرسة الصفارين[2] أولى المدارس التي بناها سلاطين بني مرين في دولتهم، وسميت بمدرسة الحلفاويين لتواجدها بسوق يباع فيها نبات الحلفاء، وتعرف حالياً بمدرسة الصفارين، نسبة إلى سوق صناعة النحاس بعدوة القرويين، الذي تفتح عليه بواسطة بوابة يعلوها قوس منكسر ومتجاور، والحي الذي بنيت فيه يحمل أسم (رحبة البقر) بفاس، بدأ بناء هذه المدرسة سنة ،(670هـ/ 1270م) وانتهت سنة (675هـ/ 1274م)، على يد السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق، ولذلك حملت في بعض الوثائق تسمية المدرسة اليعقوبية، وفي سنة (684هـ/ 1284م) ، وحبس

يُنظر، السيد عبدالعزيز سالم، بيوت الله مساجد ومعاهد مدارس فاس، ج2، كتاب الشعب،87،القاهرة، مصر،1960مصر،، ص 199- 202.

(1) عبد العزيز بنعبدالله، مساجد المغرب في روعتها المعمارية، ص 66.

(2) ينظر للملحق رقم(4).

عليها أبويوسف يعقوب كل الكتب التي حصل عليها مقابل الهدنة التي أبرمها مع ملك قشتالة، والتي حفظت في خزانة للكتب والمخطوطات[1].

يتميز تصميم المدرسة بشكله غير المنتظم، ويضم مستويين رتبا حول صحن مكشوف، يحيط بهذا الأخير رواق رمم ترميماً كلياً، تنفتح عليه مجموعة من الغرف المخصصة للطلبة وقاعة للصلاة، وفي الطابق الأول، تتواجد أربع غرف مخصصة لإيواء الطلبة، ومنارة متناسقة الأجزاء، زينت واجهاتها الأربع بتشبيكات معمارية وبقع من الزليج المتعدد الألوان[2].

ب ــ مدرسة دار المخزن: –

بنيت هذه المدرسة بفاس الجديد، حيث دوُر وقصور السلطان وحاشيته ومخزنه، مما جعلها تشتهر باسمه (مدرسة دار المخزن)، وأسست هذه المدرسة من قبل السلطان أبي سعيد عثمان، والذي أمر بإنشائها سنة (720 هـ/ 1320م)، وأكمل بنائها سنة (721هـ/ 1321م)، وجاءت على عكس مدرسة الصفارين التي جسدت التجربة المرينية الأولى في تدريس مختلف العلوم، وقد أجرى السلطان أبي سعيد عثمان، مرتبات شهرية لكل العاملين بها، وعند مدخل المدرسة، هناك درجان يؤديان إلى مستويين آخرين خصصا لغرفة الطلبة، كما جهزت المدرسة بدار للوضؤ تحتل الزاوية الجنوبية الشرقية للبناية، وتنتظم حول صحن مغطى، تحيط به مجموعة من المراحيض، وتزيين وسطه فسقية للوضؤ [3].

ج ــ مدرسة العطارين: –

حملت مدرسة العطارين[4]،أسم السوق الذي يفتح بابها عليه، وهو سوق بائعي العطور، ترتفع المدرسة بالقرب من جامع القرويين الذي يفصلها عنه زقاق ضيق، وبنيت وسط مدينة فاس، حيث تتركز أغلب الأنشطة الاقتصادية، وتكثر البنايات

(1) إبن خلدون، العبر، ط بولاق، ج 7، ص 210؛ السلاوي، الأستقصا، ج2، ص 54؛ عبدالفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج3،ص 98.
(2) ابن خلدون ، العبر،ج7، ط بولاق ، ص 210.
(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 264.
(4)ينظر للملحق رقم (5) .

العمومية والخاصة، مما دفع بمصممها إلى ترتيب مكوناتها فوق مساحة ضيقة وفي مستويات ثلاثة، إضافًا إلى المستوى الأرضي[1]

أسست مدرسة العطارين من طرف السلطان، أبي سعيد عثمان سنة (723هـ/ 1323م)، وأكتمل بناؤها سنة (725هـ/ 1325م)، ويقول ابن أبي زرع "وفي مستهل شعبان عام (723هـ/ 1323م) أمر أمير المسلمين ببناء المدرسة العظيمة بإزاء جامع القرويين شرفه الله تعالى، فبنيت على يد الشيخ المبارك أبي محمد عبدالله بن قاسم المزاور، ووقف أمير المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حيث أسست وأكتمل بنائها فجاءت آية في الدهر لم يبن مثلها ملك قبلها"[2] وأكمل مهمة مراقبة أعمالها إلى الشيخ أبي محمد عبدالله أبي القاسم المزوار، تتكون البناية من مدخل مرفقي يؤدي إلي صحن مكشوف زينت واجهاته بالزليج والجص المحفور والخشب المنقوش، ومن قاعة للصلاة مستطيلة الشكل وثلاث مستويات مخصصة كلها لسكن الطلبة، وبالزاوية الشمالية الغربية دار للوضؤ، وبالرغم من صغر مساحتها، تبقى مدرسة العطارين إحدى أبرز المعالم المرينية بالمغرب إذ تؤسس لمرحلة نضج الفن الزخرفي المغربي، وتجسد التوجيهات الجديدة للجمالية الزخرفية المرينية خلال بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، ومن ناحية أخرى، تحتفظ هذه المدرسة بين جدرانها على تيجان أعمدة متميزة تحمل العديد من النقائش الكتابية الشعرية والتاريخية والقرآنية، وثريا من البرونز[3].

دـ مدرسة الصهريج: ـ

تتواجد مدرسة الصهريج بعدوة الأندلس، بمحاذاة الأندلسيين، بفاس، وأشتهرت المدرسة بهذه التسمية نسبة إلى الصهريج المزين لفنائها، كما عرفت بالمدرسة الكبرى نظراً لانفتاحها بواسطة باب صغير على مدرسة السبعين المجاورة لها، أسست مدرسة الصهريج من طرف السلطان أبي الحسن المريني، سنة (721- 723هـ / 1321-1323م) ، تتكون المدرسة من صحن مكشوف يفضي إليه باب مستقيم، يحيط بها رواق ضيق من جهاته الثلاث تنفتح عليه مجموعة من

(1) ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص 299.
(2) المصدر نفسه،ص300.
(3) الناصري، الأستقصا، ج3، ص 112.

الغرف المعدة للطلبة، أما الجهة الرابعة، فخصصت لقاعة الصلاة، التي تتخذ شكلاً مستطيلاً ، وتحتفظ أحد جدرانها بالقيشة الوقفية التي نُقش عليها تاريخ التأسيس، وأسم المؤسس، وكل الأوقاف التي حبست على المدرسة من أجل الصرف على تسييرها[1].

ذـ مدرسة السبعين: –

هي متصلة بمدرسة الصهريج من جهة الشرق، وخصصت لطلبة قراءات القرآن الكريم بالروايات السبع، كما يوجد بها إيواء سكن للطلبة، كما عرفت قديماً بمدرسة الأساتيد، والمدرسة الصغرى، وقام بتشييدها الأمير أبي الحسن المريني أثناء ولايته للعهد، وفي نفس السنة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج تحديداً سنة (723هـ/ 1323م) [2].

مدرسة الوادي: –

سميت بمدرسة الوادي نسبة لوادي مصمودة جنوب الأندلس، والذي يشق وسطها، كما عرفت باسم المدرسة الكبرى وقد شيدها أبوالحسن المريني سنة (725هـ/1325م) [3].

رـ مدرسة القاضي: –

توجد هذه المدرسة بمدينة مكناس، وقد شيدها الأمير أبو يوسف يعقوب القاضي، ويطلق عليها أسم الشهود أو الفيلالية، ولا تزال موجودة شرقي الجامع الأعظم بمدينة مكناس[4].

زـ مدرسة أبي يوسف: –

توجد هذه المدرسة بمدينة مراكش، وتحمل أسم مشيدها السلطان أبي يوسف يعقوب [5].

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ، ص 301؛ الناصري، الأستقصا ، ج3، ص 112.
(2) ابن ابي زرع الأنيس المطرب، ص301 ؛التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب،ج 2، ص 358 ؛المنوني ورقات ، ص 240.
(3) ابن مرزوق، المسند الصحيح ، ص 405،406.
(4) ابن غازي العثماني، الروض الهنتون، ص 34 ؛محمد المنوني ، ورقات، ص 224.
(5) مؤلف مجهول الاسم، الذخيرة السنية، ص 100.

ع ـ مدرسة الجامع الكبير: –

توجد هذه المدرسة بمدينة تازا، وهي من تأسيس الأمير أبي الحسن المريني، ويقول ابن مرزوق عنها "أن أبي الحسن المريني أنشأ بمدينة تازا قديماً مدرستها الحسنة" [1]، ويقصد بقديماً ولاية عهده.

غ ـ المدرسة العظمى: –

توجد هذه المدرسة بمدينة مراكش، جنوب المسجد الأعظم*[2]، وبنى هذه المدرسة السلطان أبو الحسن علي المريني سنة (731–749هـ/ 1331–1348م)، بشكل متقن، فزخرف جوانبها وجعل عليها عدة أوقاف رصع أسماءها بالنقش على رخامة كبيرة ثم نصبها بالحائط الداخلي بهدف المحافظة على النقوش من الزوال[3]، وقد زارها الرحالة إبن بطوطة (ت 774هـ/ 1377م)، وقال عنها " وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة وهي من بناء أبي الحسن " [4].

ف ـ المدرسة المصباحية: –

شيدها السلطان أبوالحسن على المريني سنة (747هـ/ 1346م) بمدينة فاس، وتقع في جوف جامع القرويين، وقد احتوت على مئة وسبعة عشر غرفة للطلبة، ولها مظلة من الخشب المنقوش، وسميت بالمدرسة المصباحية نسبة إلى أبي الضياء مصباح بن عبدالله الياصلوتي الفقيه المشهور الذي كان أول من درس بها فنسبت إليه[5]، وأشير إليها بالمدرسة الرخامية، وبسبب نافورة رخامية كانت بها، جلبها السلطان أبو الحسن من الأندلس[6].

ق ـ المدرسة البوعنانية: –

---

(1) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 111.
(2)*المسجد الأعظم:- بني في مراكش زمن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (595هـ - 1199م)، الناصري، الأستقصا، ج3، ص 112.
(3) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(4) ابن بطوطة ن تحفة النظار، ص 772.
(5) الناصري، الأستقصا، ج 3، ص 176.
(6) روجيه لاترنو، فاس في عصر بني مرين، تر، نقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان،1967م،ص 43.

تُعد من أعظم مدارس بمدينة فاس[1]،وأجملها، بناها السلطان أبوعنان بن أبي الحسن، سنة (756هـ/ 1355م)، إذ أن الآثار المعمارية المرينية التي سبقت هذه المدرسة، تأثرت بالفن الموحدي، الذي يمتاز بالبساطة، والبعد عن كثرة الزخارف، مسايرة لمبادئهم الدينية، ولقد تناولها إبن الحاج قائلاً" مدرسة شامخة البناء وثيقة الأساس منفسحة الأرجاء حيطانها كالأسوار لابسة البياض كالفراء أينما برز وافي أحسن ثيابهم"[2]، فنلاحظ من خلال ذلك كيف تدرج المعمار الفني المريني من حسن لأحسن، وامتازت هذه المدرسة بروعتها وجمالها، واحتوت على بركة فاخرة من الرخام، يخترقها جدول مائي يسيل في قناة صغيرة مغطاة أراضيها وحواشيها بالرخام والزليج، وهناك ثلاثة أروقة تحيط بها أعمدة مثمنة الأضلاع مثبتة بالجدران مزدانة بمختلف الألوان والأقواس الواقعة بين الأعمدة مكسورة بالزليج والذهب، وسقفها من الخشب المنقوش، وقد أقيم بين هذه الأروقة والصحن شبه شبابيك من خشب على شكل ستائر، وجميع الجدران مكسوة بالزليج وعلى طولها كتابات شعرية منقوشة تسجل تاريخ تأسيس المدرسة، وتمدح مؤسسها، أما الأبواب الخارجية فكانت من البرونز، وأبواب الحجرات من الخشب المنقوش ، وفي القاعة الكبرى المخصصة للصلاة منبر ذو تسع درجات مصنوع كله من خشب الأبنوس والعاج، وتضئ كوى بلورية المصلى المكون من بلاطتين، بأطرافها الهندسية المتداخلة على أكمل وجه، وإلى جانب ذلك انتصبت ساعة لها ثلاث عشر ناقوساً من البرونز تستعمل للتنبيه[3].

وعندما زار السلطان أبوعنان هذه المدرسة بعد الانتهاء من تشييدها، وعرض عليه المهندس القائم على تنفيذها ملفاً يتضمن تكاليف البناء، ألقى أبوعنان بالملف في الوادي الذي يجلب الماء للمدرسة وقال" ليس لما قرت به العين ثمن لابأس بالغالي إذا قيل حسن"[4]. وهذا خير دليل على اهتمام المرينيين بالعلم ومؤسساتها الثقافية.

---

(1) ينظر للملحق رقم (6) .
(2) النميري ،فيض العباب،ص94.
(3) حسن بن محمد الوازن، ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ج1،تر، محمد محي محمد ومحمد الأقصر، دار الغرب الإسلامي، ط2،بيروت والشركة المغربية للنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1982م، ص 225-226.
(4) محمد بن جعفر بن أدريس الحسني الإدريسي الكتاني، سلوة الأنفاس، ص 40.

ك ـ المدرسة المرينية بطنجة: –

ذكر ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ / 1381م)، أن السلطان أبي الحسن المريني "أنشأ في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة، فأنشأ بمدينة تازا قديماً مدرستها الحسنة، وببلد مكانسة، وسلا، **وطنجة**، وسبتة، وأنفا، وأزمور، وأسفي، وأغمات، ومراكش، والقصر الكبير العباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع... بالجزائر"[1].

ويبين هذا النص أن مدينة طنجة صارت مثلها مثل المدن المغربية العريقة توجد بها مدرسة في القرن الثامن هجري، وأمر ببنائها السلطان أبو الحسن المريني، وبنيت سنة 743هـ/1346م، وقد قام البرتغاليون بتحويلها إلى دير بعد احتلالهم لطنجة سنة 1471م، ثم عمد الانجليز على طمس معالمها سنة 1670م، وبقيت فقط وقفيتها الرخامية على أحد جدران البناية والذي ظل إلى ما بعد سنة 1085هـ/ 1674م، ولكن المحتلون عادوا ليدمروا البناية بالكامل، ولم يتركوا أثراً للمدرسة سنة 1684[2].

ل ـ مدرسة باب عجيسة:

بناها السلطان أبوعبدالله محمد بن عبدالله العلوي، وهي مدرسة صغيرة، ويصل عدد الغرف بها إلى عشرين، ومن الحوادث المهمة المتعلقة بها، أن بعض أهل الجبال حاصروا المدينة فاس سنة 1330هـ، وتسلقوا من بعض الجدران وصعدوا صومعة باب عجيسة ومدرستها هذه، وأتخدوها ملجأ إلى أن جاءتهم حامية المدينة واستولت عساكر الحكومة على الصومعتين[3]

ويبدو أن المرينيين أرادوا التوسع في التعليم – بإنشاء المدارس على نحو لم تعرفه بلاد المغرب من قبل– اقتحام جميع المنافذ على مذهب الظاهري للقضاء عليه، وقد نجحت هذه السياسة بفضل ما كان لدى الناس من ارتباط شديد بالمذهب المالكي، فما لبث معظمهم أن ترك مذهب الظاهري وعادوا في هدوء إلى مذهب

(1) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص406.
(2) رشيد العفاقي، المدرسة المرينية بطنجة صفحات مجهولة من تاريخ مدرسة منسية،الطوبريسي للطباعة والنشر طنجة، المغرب،1429هـ/2008م، ص97.
(3) محمد عبدالحي الكتاني ماضي القرويين ومستقبلها دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1427هـ / 2006م،ص92،89.

الإمام مالك، الذي كان يلقي رواجاً كبيراً في بلاد المغرب الأقصى، ومما يعزز ذلك إن المرينيين أقاموا مدارسهم على أساس أن الطالب يتعلم ويقيم في المدرسة، وذلك لأعداد جيل جديد من الطلبة ليسوا من أهل المدن فحسب، إنما من بين أهل البوادي والأرياف، فأنتشر التعليم والثقافة بفضل هذه السياسة على نحو كبير[1].

ولم يقف سلاطين بني مرين عند الاهتمام ببناء المدارس في عاصمتهم فاس، وإنما أنشئوا المدارس في سائر بلاد المغرب، فكانت إحدى هذه المدارس، وهي مدرسة سلا متخصصة في دراسة الطب [2]، ويؤكد ابن مرزوق أن هذه المدارس كانت أية في فن البناء والعمارة، حيث اشتملت في عناصر بنائها علي" المباني العجيبة والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعها من الزليج البديع والرخام والخشب المحكم النقش"[3].

(1) محمد عيسى الحريري ،تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 326.
(2) محمد الفاسي، "نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأدبية"، مجلة البيئة، وزارة الدولة للشئون الإسلامية، المغرب، العدد الثامن، السنة الأولى، 1382هـ/1962م، ص 30.
(3) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 273.

المبحث الثالث

المكتبات ودور العلماء والقصور.

خزائن الكتب (المكتبات): –

تعتبر المكتبات من أهم المؤسسات العلمية الثقافية، التي كان لها دور كبير في نشر المعرفة والثقافة، ولقد انتشرت المكتبات في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، فكان للمغرب الإسلامي مكتبات في عصر المرابطين والموحدين والمرينيين [1].

حرص بنو مرين على بناء المكتبات في جميع المؤسسات العلمية، فوجدت في المساجد والمدارس والزوايا والأربطة وأيضاً في القصور السلطانية، فعلى سبيل المثال أنشئت مكتبات في المساجد مثل مكتبة جامع القرويين التي تعتبر من أقدم المكتبات المغربية، وقد احتوت على بقايا مخطوطات فريدة من العصر الوسيط، ومكتبة ابن يوسف بمراكش، ومكتبة الجامع الأعظم بسلا، والتي يرجع تأسيسها إلى عصر الموحدين وبني مرين، ومكتبة الجامع الكبير بتازا والتي يرجع وقف الكتب بها إلى السلطان أبو يوسف بن يعقوب وحفيده أبي الحسن والتي بنيت بالمسجد الأعظم، والمدرسة العلمية احتوت على العديد من الكتب والمخطوطات الأصلية لمواطنين تازيين وتلمسانيين[2]، وجامع فاس الجديد (الجامع الكبير)، مسجد المدرسة العنانية، وفي الجهة الشمالية حوالي سبع خزائن منها مسجد الأبارين، باب لمجيسة، ومسجد سيدي بناني، ومدرسة العطارين قبالة المحراب، وفي الجهة الشرقية خمس خزائن منها خزانة الجامع الأندلسي ، خزانة مدرسة الصهريج، وفي الجهة الجنوبية خمس خزائن أيضاً منها مسجد الحمراء بفاس الجديد، ومسجد سيدي أحمد بن عبدالله، ومدرسة الصفارين التي كانت نواة هذه الخزانة حوالي ثلاثة عشر حملاً أهداها شانسو وكانت عبارة عن مصاحف وتفاسير منها إبن عطية والثعلبي وكتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار، ومن كتب الأصول والفروع والعربية والأدب ونسخة من تفسير ابن جرير الطبري وحبست على خزانة الصفارين [3].

(1) عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،طرابلس، ليبيا،1994م، ص 168-169.

(2) محمد جحي،(مصادر التاريخ المغربي في المكتبات)، مجلة دعوة الحق، المغرب، عدد 2-3، السنة العشرون ، 1399هـ/1979م، ص 68.

(3) التازي ، الحروف المنقوشة ، ص450 ؛ التواتي ،مظاهر الثقافة والفكر ، ص 78 ؛ الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 324-339.

وهناك خزائن مستقلة عامة، وأول هذه الخزائن التي أنشأها السلطان أبي عنان المريني سنة (750هـ/1349م)، وهي التي كانت بالجانب الشرقي من صحن جامع القرويين، ولقد كانت من نحو خمسة أمتار ونصف طولاً، وجعل لها مدخلاً يمتاز بألواح منقوشة، وفوق الباب مباشرة كتابة من خمسة عشر سطراً بخط نسخي جميل[1]، والتي وصفها الجزنائي بأنها احتوت "من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم على اختلاف وتنوع ضروبها وأجناسها"[2]، كما قام أبي عنان بإضافة خزانة أخرى خاصة بالمصاحف القرآنية، والتي تقع في قبلة المسجد وسطاً بين باب مصرية الخطيب وبين الخوخة، زودها بالكثير من المصاحف، وكتب على كل جزء من المصاحف بخط يده إشارة إلى وقت وقفها، وخزانة أبي الشاري في سبته الذي كون خزانة ووضع لها من الأنظمة التي تميزها عن غيرها، والتي وصفها المقري بأنها خزانة الكتب [3]، وهناك عدد من الخزائن الخاصة في ملكية بعض الشخصيات الكبرى سواء سلاطين أو وزراء أو علماء فعلى سبيل المثال لا الحصر خزانة السلطان أبي الحسن المريني، وخزانة أبي عنان، والتي كان يحملها معه في أسفاره لشدة حبه للكتب، وخزانة أبي فارس الأول والثاني، وخزانات رجال الحكم مثل خزانة المقري وغيرها[4].

نظام المكتبات: –

قامت المكتبات بدورها كوسيلة لنشر العلم وتوسيع أفاق المعرفة لدى الطلبة والباحثين، وكان يقوم على المكتبات الموجودة في المساجد والمدارس موظفون يطلق عليها أمناء المكتبات لحفظ الكتب وتنظيمها واستقبال الزائرين للمكتبة، وتقديم الكتب التي يرغبون في الاطلاع عليهم، فالقيم في الخزانة المغربية كان يقوم بوضع فهارس مصنفة للكتب، بل كان يرتب الوثائق ويسعى لاقتناء الكتب التي يرى أنها ضرورية للمؤسسة التعليمية، فضلاً عن اهتمام القيم بدراسة التعليم الذي يفيده في توجيه الطلبة، وإرشادهم إلى المصادر التي يحتاجون إليها، فضلاً عن تصحيح الكتب،

(1) التازي، الحروف المنقوشة، ص 450؛ التواتي، مظاهر الثقافة والفكر، ص 324-339.
(2) الجزنائي، زهرة الأس، ص 68-69.
(3) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، ص610؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس ص 350.
(4)التازي،جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس ،مج2،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،لبنان، 1972م،ص453.

وتسجل الفوائد بهوامشها، فكثير من المخطوطات المحفوظة سطرت بأيادي هؤلاء العلماء، كما يقوم القيم بنسخ المخطوطات بيده ويشرف على نسخها مثلما كان يفعل(الصقر) خازن المكتبة الملكية الموحدية، والذي كان وراقاً في فاس، ولما أسندت له مهمة الخزانة بمراكش ، تابع عملية نسخ المخطوطات، والذي وصفه صاحب الديباج" كتب ابن الصقر من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة" [1]، وعملية النسخ لم تكن فردية فقط بل كانت جماعية أيضاً، حيث كان يتم نسخ المخطوط على يد جماعة من النسّاخ بمشاركة القيم أو تحت إشرافه، والهدف منها تهيئة مخطوط قليل الأخطاء ومن صلاحياته الإعارة سواء بالنسبة لرواد المكتبة أو بالنسبة للخزانات الأخرى عامة أو خاصة، وطريقة اختيار قيم الخزانة تتم عن طريق اختيار أحد العلماء المضلعين في العلم واللغة والأدب وأحيانا كانت تسند إلى القضاة أو الوزراء والأمراء[2]، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، قاسم بن أحمد بن عمران الحضرمي، وكان ناظراً في خزانة الجامع الأعظم ،وممن أخذ عنه القاضي النباهي الذي لقيه في سبته وأجازه في جميع رواياته، ومحمد بن مروان المعافري الطبيب ولي أحباس سبته والنظر في كتب الخزانة فأنتفع الطلبة به مدة بكتبه القيمة بفضل إرشاده، أما عن تزويد المكتبة بالكتب، فقد لعب الإهداء والوصايا عنصران في تكوين الخزانات المغربية ، فمن عادة شيوخ الزوايا أن يوصوا بكتبهم لخزاناتهم كما كان العلماء والملوك يهدون المخطوطات المهمة والنادرة لمختلف المكتبات[3]، أما عن الكتب المحبسة من قبل السلاطين، فكانت إما عن طريق القاضي أو الناظر يسلمها للقيم حيث كان يستخدم صلاته بالدول الأخرى، مثلما فعل أمير المؤمنين يعقوب بجلب الكتب من الأندلس من (سانشو) ملك الأسبان، بعد أن عقد معاهدة معه أو بتبادل المخطوطات بينه وبين المشرق مثلما فعل السلطان أبي الحسن المريني مع الناصر محمد بن قلاوون في المشرق، حيث أرسل له عدد من المصاحف مذهبه ومنقبة ومطرزة بالعاج والأبنوس، أما عن باقي الكتب فكانت تجلب إما عن

(1)إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم ابن فرحون الملكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ،ج1،تح محمد الأحمدي أبوالنور،دار التراث ،ص212،211.

(2) أحمد شوقي بنبين،"وظيفة القيم في تاريخ الخزانة المغربية"،ص 62،61،58،57.

(3) محمد كمال شبانة، (المدن الثقافية والإسلامية) ، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، فاس،المغرب،عدد 254، 1406هـ/1986م،ص 91.

طريق أسواق بيع الكتب، حيث تعرض كل يوم جمعة بعد الصلاة في مزاد علني منها المخطوط والمطبوع، ويستفيد الطلبة الذين يحضرون السوق من معرفة أسماء الكتب والمؤلفين، حيث يرد الدلال بصوت جهوري مخطوط فلان بكذا[1].

دور العلماء في إثراء المكتبة: –

قام بعض العلماء بإيقاف مكاتبهم ورحلوا إلى المشرق، مثلما فعل محمد بن حريث العبدري، الذي حبس كتبه وعقاره ورحل إلى المشرق[2]، ومكتبة أبوعبدالله الشريف الذي نفع الطلبة بها، حيث كانت تتحوي على سبعين كتاباً، ولقد احتوت الخزائن العلمية على شتى أنواع الكتب، فمنها المصاحف، والتفاسير، وكتب الحديث الشريف، وكتب الفقه المالكي، وكتب التصوف واللغة والنحو والتاريخ، والأدب منها الذيل والتكملة لأبن عبدالملك المراكشي، والعبر لأبن خلدون الذي ألف سنة (799هـ/ 1396م)، للسلطان أبي فارس، وأهدى لخزانة القرويين ومن الطب والتوقيت والحساب كتاب عمل من طب لمن حب لأبن الخطيب الذي ألف لأبي سالم بن أبي الحسن[3].

دور القصور: –

ونظراً للحركة العلمية المزدهرة فقد نشطت بعض الفنون الخاصة بالكتب من نسخ الكتب وتجليدها وتوريقها وإخراجها وهناك أسراً عريقة انفردت بهذه الفنون منها أسرة عبدالعزيز الحلو التي بقيت الصناعة منتشرة بين أفرادها، وليس ذلك فقط بل كان لرفعة العلم في هذا العصر بأن يوصف بأنه حُسن الخط وأنه كان أساس التعريف بمشاهير العلماء والسلاطين، فقد وصف السلطان أبا الحسن بأنه "كان حسن الكتابة ذا بلاغة وشهامة وشجاعة كتب بخط يده ثلاثة مصاحف أوقفها على المساجد الثلاثة"[4]،وليس أدل على وفرة الكتب والمكتبات من فتاوي الونشريسي حيث وردت فتاوي كثيرة له خاصة بالكتب وتحبيسها منها من حبس كتباً وشرط ألا يعطى إلا كتاباً بعد كتاب، وسؤال أحمد القباب عن الكتب المحبسة إذا نص

(1) التازي، الحروف المنقوشة، ص 450.
(2) أبوعبدالله محمد بن محمد بن محمد أحمد التلمساني ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م ، ص174؛ الجزنائي، زهرة الآس، ص 68-69.
(3) التازي ، الحروف المنقوشة ، ص ص 422 ، 451 -452.
(4) المقري ، نفح الطيب ، ج 6 ، ص 136 ؛ محمد بن شقرون ، مظاهر الثقافية ، ص 140.

المحبس على وجوه الانتفاع منها وسكت عن باقيها مثل القراءة والمطالعة دون النسخ[1]، واهتمام العلماء وعامة الناس بالسؤال يدل على مدى الحظوة التي حصل عليها العلم والثقافة في العصر المريني .

أهم المكتبات في العصر المريني: –

مكتبة أبوعنان: –

أسس السلطان أبوعنان خزانة كبيرة للكتب في جامع القرويين، وقد وصفها الجزنائي فقال "أودعها من الكتب المحتوية على علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان"[2].

مكتبة الحلفاويين: –

توجد هذه المكتبة داخل مدرسة الحلفاويين، وقد أنشأها السلطان أبويوسف ، وهذه المكتبة تعتبر أهم مكتبة للمخطوطات العربية الإسلامية في الأندلس، حيث جعل السلطان أبو يوسف هذه المكتبة خاصة بالمخطوطات الأندلسية التي استلمها من الملك القشتالي(سانشو) بعد معاهدة الصلح التي عقدت بينهماسنة(684هـ/1285م) والتي بموجبها حصل السلطان على عدد كبير من المخطوطات [3]،والتي من أهم شروطها أن يرسل ذلك الملك قدراً من الكتب العربية التي استولى عليها النصارى من القواعد الإسلامية في الأندلس التي سقطت في أيديهم، فأرسل لهم ذلك الملك ثلاثة عشر حملاً من الكتب القيمة ، وضعها السلطان أبو يوسف في مكتبة الحلفاويين سابقة الذكر لا تزال من أهم المكتبات العربية الإسلامية حتىالآن[4]، وهناك عاملان رئيسان لهما الدور الأساسي في كثرة المكتبات والكتب في العصر المريني وهما:–

إن المرينيين ورثة الموحدين، وقد وحدوا أعداداً كبيرة من الكتب، فحافظوا عليها واحترموا أفكار وأراء الموحدين، وبخاصة الكتب العلمية والثقافية، ولم يقوموا بإتلافها وإحراقاه ، و عندما سيطر المرينيون على المغرب الأقصى، توالى سقوط المدن

(1) الونشريسي، المعيار،ج7،ص340 -293.
(2) الجزنائي ، جني زهرة الأس في تاريخ مدينة فاس ،ص 123 ص 261.
(3) ابن أبي زرع، روض القرطاس،ص 300؛ محمد المنوني، ورقات عن حضارة بني مرين، ص 240.
(4) السلاوي، الأستقصا، ج2، ص 31.

الإسلامية في الأندلس على يد المسيحيين فانتقلت مجموعات كبيرة من العلماء الأندلسيين مع مؤلفاتهم إلى المغرب، خوفاً من أن يحرقها أعداء الدين في الأندلس، حيث وضعت في خزائن الكتب المختلفة، وبالتالي ساهمت هذه المكتبات في تعزيز وتوطيد العلاقات الثقافية بين باقي الدول[1].

دور العلماء في تثقيف العامة: –

كان بعض العلماء بعد أن ينتهي من التدريس في المسجد، يقوم بالتدريس في داره، إقتداءاً بالرسول– ﷺ– الذي جعل من دار الأرقم بن أبي الأرقم مدرسة لتعليم أصحابه أمور الدين قبل إنشاء المسجد، وهناك الكثير من العلماء في العصر المريني اتخذوا بيوتهم للتدريس، وجاء إليها الطلبة من مختلف الأماكن[2]، فعلى سبيل المثال لا الحصر العلامة ابن زيتون، كان يدرس في سقيفة منزله بعد إغلاق الباب الذي بينه وبين المنزل، حتى لا يخرج أحد من المنزل أثناء الدرس، وكانت داره ممتلئة بالطلبة من ضحى النهار إلى زواله، ويجلس أحياناً مرة أخرى للتدريس بين الظهر والعصر، وتوجد بعض الأماكن الأخرى للتدريس من قبل العلماء بمقر عملهم، فكان الطبيب يدرس بالمارستان[3].

المجالس العلمية للسلاطين المرينيين: –

كانت مجالس هؤلاء السلاطين، عبارة عن ندوات علمية وثقافية رفيعة، وذلك لشغفهم بالعلم والثقافة وحبهم له، ويوصف مجالس بني مرين فقالوا "كانوا من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة، وكان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالس العلماء، ولذلك عظم أمرهم وطالت دولتهم، وعظمت صولتهم، فكانوا مقراً للعلوم والأخبار، وكل دائرة العلم الذي عليه المدار" [4].

عقد المرينيون مجالس العلم للمناظرة والمحاضرة ومطارحة الأدباء ومحاورة الشعراء، وقد كان كثير من هؤلاء السلاطين مصنفاً من العلماء محباً للعلم، مثل السلطان أبي عنان، ويُوصف بأنه كان "فقيهاً يناظر العلماء وكان عارفاً بالمنطق

(1) محمد المنوني، ورقات عن حضارة بني مرين، ص 337.
(2) بشير التليسي، الاتجاهات الثقافية، ص 400.
(3) نجاح القابسي، المعاهد والمؤسسات في المغرب العربي، ص 25.
(4) الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص168.

وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب، وكان حافظاً للقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وكان شاعراً مجيداً" [1].

وقد عرف البلاط المريني في عهد أبى الحسن أعظم المجالس العلمية حيث أحتضن كثير من العلماء، والدليل على ذلك عند رحيل أبي الحسن إلى إفريقية، أصطحب معه أربعمائة عالم بالإضافة إلى العلماء الذين لم يذهبوا معه[2]، وكان هذا السلطان يحب العلماء ويتتبع أخبارهم حتى إذا سمع عن عالم اشتهر، أرسل في استدعائه وضمه إلى مجلسه وأجرى له النفقات التي تكفيه [3]، وقد شجع سلاطين بني مرين حركة التأليف عند العلماء وأجزلوا لهم العطاء على مؤلفاتهم ومخترعاتهم تشخيعاً لهم على مواصلة العمل، حيث كان العلماء يعرضون على السلاطين إنتاجهم العلمي والأدبي لنيل مكافأت السخية، ومن أمثلة ذلك أن الفقيه إبن عبدالله بن أبي زكريا العرفي أهدى إلى السلطان أبي الحسن كتاباً ألفه في ذم الخمر وبيان عيوبها فأستحسنه السلطان، وأمر أن يوضع الكتاب وكان سفراً ضخماً في كفة والدراهم من دار السكة في كفة أخرى وأعطى لأبي عبدالله الموزون من الدراهم، ونفس السلطان أهدى إليه أبوعبدالله محمد بن السبيل(إسطرلاباً)، صنعه بنفسه فأعطاه السلطان مثل وزنه دنانير من الذهب [4]، وهذه المجالس التي كان يحضرها كبار العلماء وتتبادل فيها الأفكار والآراء من أجل إثراء الحركة العلمية والثقافية، تدل على اهتمام السلاطين المرينيين بالعلم والعلماء ونشر الثقافة.

(1) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 315.
(2) عبدالله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1381هـ/ 1961م، ص 185.
(3) ابن القاضي، جذوة الأقتباس، ص 193.
(4) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، 205.

الفصل الثالث

نظام التعليم في دولة بني مرين وأبرز علمائه.

المبحث الأول: مراحل التعليم ومناهجه.

المبحث الثاني: العلوم النقلية وأبرز علمائها.

المبحث الثالث: العلوم العقلية وكيفية تطورها.

المبحث الأول

مراحل التعليم ومناهجه.

اهتم بنو مرين منذ استقرارهم بالمغرب الأقصى، وعملوا على نشر الثقافة العلمية والأدبية، على مدى أكثر من قرنين من تاريخ المغرب ولقد شجع السلاطين المرينيين على التعليم والعلماء، وهذا هو سبب بروز العديد من العلماء في مختلف المجالات، فضلاً عن أن المغرب أصبح مأوى للعلماء من شتى الأصقاع، مثل علماء الأندلس الذين توافدوا على المغرب بعد حروب الاسترداد، واستمرت الحياة العلمية والثقافية مزدهرة حتى في مرحلة الضعف والانهيار، ويعود السبب في ذلك إلى النزعة العلمية الأصلية، التي غلبت على معظم سلاطين بني مرين، الذين ساروا على سياسة حرية البحث والتفكير والتأليف.

أولاً: -التعريف بالعلم والعلماء وموضوعات التدريس وطرقها.

1-تعريف العلم: -

يرى بعض العلماء أن هناك فرق بين العلم والتعليم وأن التعليم ليس من العلم، ولو كان منه لما أختلف العلماء في شأنه، بدليل أن طرق التعليم تختلف من عالم إلى أخر، ولكن العلم واحد[1]،عرف العلم بأنه نقيض الجهل، والجهل في الإسلام يعنى جهل تعاليم الدين الحنيف، ولفظ الجاهلية كانت تطلق قبل الإسلام، ولقد كرم الإسلام العلم والعلماء' فقد دعى إلى ذلك في الآيات القرآنية وحث عليه [2]، ومن هذه الآيات: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {وَقُل رَّب زِدْني علْماً}[3]، وقوله تعالى {هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلمُونَ والَّذينَ لاَ يَعْلَمُونَ}[4]، وقوله تعالى{يَرْفعَ الله الَذينَ امَنُوا مِنكُمْ والَّذينَ أُوتوا العْلمِ دَرَجَاتِ}[5]،وقوله تعالى{فَسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إن كُنتُم لا تَعْلَمُون}[6]، وفي قوله تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ}[7]، وتدل هذه الآيات على أن الله عز وجل ميز العالم عن غيره من المسلمين ورفع منزلته. وعُرّفَ العلم أيضاً بأنه الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، كما عُرِفَ أيضاً بأنه الإدراك الكلي

(1) الطاهر المعموري، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهد الحفصي، التركي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م، ص 24.
(2) عبدالواحد الطواح،سبك المقال لفك العقال تراجم وأعلام من القرنين السابع والثامن الهجريين،تح،محمد مسعود جبران،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، لبنان ،1995م، ص 46.
(3) سورة طه، ج 16، آية 111.
(4) سورة الزمر، ج 23، آية 9.
(5) سورة المجادلة، ج 28، آية 11.
(6) سورة النحل، ج 14، آية 43.
(7) سورة فاطر، ج 22، آية 28.

والمركب ويطلق على مجموع مسائل وأصول تجمعها جهة واحدة كعلم الكلام والأرض والآثار، وجميع العلوم المتعلقة باللغة العربية كالنحو والصرف والمعان والبيان، وعُرِّفَ العلم أيضاً: بأنه المعرفة بالشيء بمعنى علمت الشئ أعلمه علماً أي عرفته[1].وقد رفع الرسول ﷺ، من منزلة العلم وقدره إلى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلمين،والواجب على من يريد أن يتعلم الرحيل والتجوال في طلب العلم حيث كان الرسول صلى الله عليه سلم ، يحث على العلم وطلبه ولو كانت المسافات بعيدة [2].والعلم هو صفة الشريعة التي وصف الحق بها نفسه وخاصته من أنبيائه وملائكته، وفي ذلك قوله تعالى {شَهِدَ اللَّه أَنَّهُ لاَإِلَهَ إِلاَّ هُوَ والْمَلاَئِكةُ وأُولُوا العَلْمِ قَائِماً بالْقِسطْ} [3].وقال الرسول ﷺ"العلماء ورثة الأنبياء"[4]، وأصل العلم هو العلم الديني الذي جاء به الأنبياء والعمل به، وتعلمه حتى يرتقى المجتمع الإنساني[5].ومن خلال هذا العرض يتبين أن العلم هو معرفة الشئ أي الإدراك الكلي للعلوم ومعرفتها والعلم بها وهو نقيض الجهل.

2- مناهج التدريس وطرقها: -

عند الحديث عن التعليم ومناهجه في العصر المريني، قد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو ما هى المناهج التي تدارسها طلبة بني مرين في ذلك العصر؟

يمكن القول إن تلك المناهج يغلب عليها الطابع الديني فكانت تشمل التفسير والحديث والتوحيد وخاصة الفقه وكان، يضاف إلى هذه العلوم الدينية العلوم اللسانية- النحو والبلاغة والعروض- وعلوم أخرى كالفلك والرياضيات والكيمياء والمنطق، إذ كانا يستعملان في تحديد التوقيت الزمني والمواريث بالإضافة إلى العلوم الإنسانية مثل التاريخ والجغرافيا وغيرها[6]، حيث كانت المدارس تتعاون مع جامعة القرويين في تدريس تلك العلوم، فتبدأ الدراسة في المساجد، حيث يتعلم

---

(1) إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 5، تح، أحمد عبدالغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، القاهرة،مصر، 1987م، ص 90.

(2) ناصر الدين دنبه، (فصول من كتاب أئمة خاصة بنور الإسلام)، تر، راشد رستم، مجلة الهداية،ج1، عدد 20، 1995م، ص 6.

(3) سورة آل عمران، ج3، آية 18.

(4) إسماعيل البخاري،صحيح البخاري بشرح الكرماني،ج2، دار أحياء التراث العربي، مصر،1981م، ص 30.

(5) مصطفى الشعكة، المغرب والأندلس أفاق إسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، مصر،(د.ت) ، ص 253-254.

(6) التازي، جامع القرويين المسجد والجامع بمدينة فاس، مج2، ص 320.

الأطفال حفظ القرآن ورسمه في الكتاب، على ألواح ودراسة العلوم الدينية من وضوء وتشهد، وأسماء الشهور العربية والأعجمية ابتداء من السنة السابعة من العمر، وينتقل الطفل للدراسة في المساجد أو المدارس، فالدراسة داخل المسجد كان يغلب عليها الطابع الديني، وذلك بدراسة العلوم الشرعية واللسانية مثل تفسير القرآن الكريم، التجويد، القراءات، الرسم، الحديث الشريف، علوم الحديث، الفقه المالكي بالأضافة إلى اللغة والنحو والبيان والعروض والقوافي والأدب [1].

التنظيم المدرسي: –

قبل الحديث عن النظام الدراسي في المؤسسات التعليمية في العصر المريني من كتاتيب وزوايا ومساجد ومدارس، يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو كيف كان نظام الدراسة؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن المصادر والمراجع تبين أن الدراسة في تلك المؤسسات كانت ستة أيام في الأسبوع، وكانت تبدأ من صباح يوم السبت وتنتهي مساء الخميس، ويوم الجمعة عطلة أسبوعية، كما كانت مواعيد الدراسة تخضع لأمرين، مواعيد الصلوات الخمس والأستاذ هو الذي يحدد ميعاد محاضرته[2]، وكانت المجالس الجامعة تتألف من حلقات متتابعة، يجلس في الحلقة الأولى كبار الطلاب وتقدموهم ممن يعدون أنفسهم للمشيخة، وبذلك يعتبر الأسبوع وحدة تعليم يراقب فيها المعلم أعمال الطلاب، ليرى مدى ماحصلوا عليه من معلومات، كما أنه هناك استراحة للطالب في فترة الظهيرة لراحة جسمية وعقلية، حتى تكون عودته في الفترة المسائية إلى الدراسة بجد ونشاط كامل، ودون أن يكون لديه كلل أو إرهاق [3].

وقد نبه العلماء إلى وجوب راحة الطالب في التعليم، وإلا كان ذلك سبباً في إبطال ذكائه، وقد أكده الأمام السنوسي في جواب لتلميذه الونشريسي في مدينة فاس

---

(1) المنوني، ورقات، ص 256، أحمد بن جمعة المعزاوي؛ جامع الجوامع مع الاختصار والتبيان، تح، أحمد جلولي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 47.

(2) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر،1983م،ص183؛ التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج2،ص 414.

(3) أحمد بن جمعة المغراوي، جامع الجوامع مع الاختصار والتبيان، ص 52-53.

بشأن العطلة المدرسية قال فيه " فإذا انصرم هذا الفصل ـ الشتاءـ أجمعوا أنفسهم بعض الأجمام"[1].

وكانت مدة بقاء الطالب في الكتّاب خمس سنوات إلى ستة على الأكثر، وتكون في الغالب ابتدأ من السنة الخامسة إلى السابعة من عمر الطالب إلى السنة العاشرة أو الحادية عشر، يحفظ الطالب خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه أو رواية وأتقاناً لمبادئ الحساب الأولية[2].

أ ــ مراحل الدراسة بالمدارس: –

أما عن الدراسة في المدرسة كانت تدرس بها العلوم الدينية واللسانية أيضاً، ولكن يضاف إليها مواد تختص بها على حدة مثل مدرسة سلا التي كان يرحل إليها كثيرون لتخصصها في الطب والتصوف، وغيرها في التخصصات لدراسة علمي النحو والفقه مثل المدرسة المصباحية، فقد درس فيها إبن البنا، والمدرسة اليعقوبية لدراسة التفسير والأصول شتاءاً، واللغة العربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفاً، وفي الخميس والجمعة التصوف على يد أحمد عبدالرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني، ويدل ذلك على تفرع العلوم في ذلك الزمن وكثرة التخصصات العلمية، ويقسم العلماء مواد الدراسة على أساس فصول السنة لتسهيل عملية الدراسة أما عن مواد المراصد كانت تشمل علم الرصد، و التعديل، والميقات، وعلم التنجيم وموضوعه تخطيط الآلات الفلكية وكيفية رسمها، وكانت تدرس تلك العلوم إما بالمراصد عملياً أو بالمدارس نظرياً على يد علماء أمثال ابن البنا، وأبن قنفد القسنطيني[3].

ب ـ الدراسة بالزوايا والأربطة: –

كانت تشمل دراسة الكتب الدينية مثل الشفا لأبن عياض، وقصيدتا البوصيري الهمزية، والبردة ومن كبار علمائه أبي العباس بن عاشر[4].

---

(1) الونشريسي، المعيار،ج7،ص 35.
(2)المصدر نفسه 60-61-65.
(3) محمد المنوني، ورقات، ص ص 371،356.
(4)الونشريسي، المعيار،ج7،ص 36.

التعليم الطبي: – كان مشتركاً بين المدارس والمساجد حيث كان يدرس نظرياً في المدارس، وعلمياً بالمارستانات، ومن أشهر علمائه محمد بن يحى العزفي (ت 768هـ/ 1366م) [1].

3- **طرق وأساليب التدريس:** –

ظهرت عدة طرق وأساليب للتدريس في عهد بني مرين نذكر منها: –

أ- الطريقة الأولى: –

لا زالت وهي طريقة الإلقاء وتعتمد أساساً على الحفظ والتلقين وهذه الطريقة هي التي لازالت تستعمل إلى الوقت الحاضر، فالمعلم يجلس مسنداً ظهره للجدار وبيده عصاً طويلة تصل إلى أبعد تلميذ، وينظر المعلم يمينه وشماله ويراقب حركة الطلاب، وفي وقت الإملاء يملئ عليهم بصوت عالٍ ويكون بيد كل تلميذ لوح كبير أو صغير حسب إمكانيات الطالب وعمره، واللوح يستخدم من كلا وجهيه، حيث يكتب على كل وجه ما تيسر من القرآن، وعلى الوجه الأول درس الأمس، ويقرأه على المعلم، وإن أجازه له يقوم بمحيه وكتابة الدرس الثاني، وبذلك يحل درس اليوم محل درس الأمس، فإذا أتم الطالب مرحلة التعليم في الكتّاب بهذه الصورة – التي سبق ذكرها – يجرى له امتحاناً فيما حفظ من القرآن وكتابته كله، وتعرف هذه العملية (بالسكة أو الختمة) وأثنائها يخير الطالب إما أن ينتقل إلى مرحلة أخرى من التعليم أو ينقطع عن التعليم ويتجه إلى الحرفة التي يريد أن يزاولها لكسب عيشه [2]،وهذا التعليم لم تكن له مؤسسات تعليمية إنما كان بالممارسة مثل الفلاحة و البناء، والتجارة و الحياكة، و الوراقة و غيرها[3].

ب –الطريقةالثانية: –

وهي طريقة التزام كتاب معين مما يسمى بالمصنف، حيث يقوم أحد الطلبة بقراءة النص من أحد الكتب المشهورة في المادة المدروسة، ويتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة حسب ما يتيسرله من غزارة العلم وسعة الاتطلاع، والطلبة يدونون ما

(1) الماحي، المغرب في عصر السلطان أبوعنان المريني ص 185؛ التواتي، الاتجاه الديني العام، ص 69.
(2)محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تح، حسن حسني عبدالوهاب، محمد العروسي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م، ص 55؛ أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام ص 65.
(3) إبن الأحمر، بيوتات فاس، ص ، 20 -21.

يستدعى انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على أسئلة الطلبة. وقد أشاد إبن خلدون بهذه الطريقة حيث قال "أعلم أن التلقين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً"[1] ، ويتضح من كلامه أنه أشاد بهذه الطريقة وهى أن يتعلم الطالب بالتدرج حتى يستطيع أن يستوعب أغلب فنون العلم، بدون أن تكون مزدوجة، وحيث تتمشى مع قدرته واستعداده، ثم يبدأ المعلم بالتعرض إلى كيفية شرح ذلك بالتدريج حتى تتم عملية التحصيل وفهم المادة الدراسية، ومن أبرز ممثلي هذه الطريقة أبوالقاسم عبدالعزيز بن أبى عمران موسى العبدوسي، الذي رحل لتونس سنة (817هـ/ 1414م)، ومن تلاميذه القباب، وابن شاش، وابن الحاجب وغيرهم[2].

جـ –الطريقةالثالثة: –

وهي طريقة السؤال والجواب، حيث يبدأ بالسؤال السهل البسيط إلى المجرد المعلوم، وقد انتقلت هذه الطريقة من تونس إلى تلمسان في أواخر القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، انتقلت إلى المغرب ، عن طريق أبوعلي ناصر الدين المشدالي*[3] غزير، ولقد كان من الواضح أن المدة التي قضاها العالم الاجتماعي عبدالرحمن بن خلدون بالمغرب الإسلامي، قد كونت لديه أثراً قوياً وبليغاً في إثارة مسائل اجتماعية بين عدد من المغاربة وانتقاد بعضها، مثل ذلك فكرة التعليم وطرقه، فقد أستحسنها في تونس وبجاية وتلمسان، وفضلها عن غيرها من الطرق المتبعة بمدينة فاس[4].

وكان هذا الجو العلمي يتراوح بين الود والمنافسة في العمل، فعلاقات العلماء والصلحاء وتزكية العلماء لبعضهم عند السلاطين مثلما فعل العالم ابن الإمام عندما زكى العالم الأبلي عند السلطان أبي الحسن، وتزكية المقري لإبن عبدالله الشريف لإقراء التفسير، لأنه أقدر منه على ذلك بمحضر السلطان [5]، وكان الود يمتد لإرسال الهدايا والكساء فيما بينهم اعترافاً بالجميل مثلماً فعل الشيخ الشريف أحمد

---

(1)إبن خلدون، المقدمة، ص 533.

([2]) التواتي،الإتجاه الديني العام،ص69؛ الحريري،تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس ،ص344.

(3) *- هو منصور بن أحمد بن عبدالحق المشدالي، الملقب بناصر الدين من أكابر الفقهاء له مشاركة في علوم العربية والمنطق والجدل، (ت 743هـ)، للمزيد ينظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، ط3، 1983م،ص 302-303.

(4) إبن خلدون، المقدمة، ص 431.

(5) إبن مريم، البستان، ص 171؛ابن القاضي، جذوة الأقتباس، ص 304.

الحسيني للطبيب محمد بن مبارك نظراً لنصحه إياه ومعالجته فضلاً عن العالم إبن الخطيب الذي كلما ألف مؤلف أرسله إلى أبي عبدالله الشريف، وطلب منه أن يكتب عليه بخطه، بل لم يكن العالم يتأثر أن يستشير علماء في مسائل تعرض عليه مثلما أرسلت أسئلة من علماء بلدة توزر لعلماء في فاس أشكلت عليهم، أما عن علاقة التنافس، فهى إما في مجال العلم مثل مناقشات الونشريسي والورياكلى أو التنافس على الكراسي العلمية لأهمية موقعها[1].

مكانة المعلمين وشروط اختيارهم ودورهم في الحياة العملية التعليمية: –

سعى السلف جهدهم في اختيار المعلم الذي يقوم بتدريس الطلاب، وكان الفقه هو القاسم المشترك بين صفوة العلماء، ولذلك كان العالم والشاعر والطبيب فقيهاً، وكان هذا دستور علماء أهل الفكر في المدينة، إذ كانوا لايختارون إلى هذه المهمة إلا من تتوفر فيه صفات معينة.

شروط اختيارالمعلم: –

الشروط أو الصفات حسب ما ذكرتها العديد من المصادر والمراجع إنها عامة على اختيار المعلم وهى: أن يكون وافر العلم في اختصاصه مطلعاً على الكثير من أمهات الكتب، والشروح والحواشي، وأن يكون حافظاً للقرآن في الغالب وتجويده[2]، وخطه جيد ومقرؤ، وقادراً على التأثير في المجالس بحسن حديثه وخفة روحه وسرعة بديهته، ومن أهم صفات المدرس النزاهة العلمية واحترام القواعد العلمية، وما تتطلبه من صرامة المنهج مثل الحفظ والتثبيت واليقظة والضبط والنقد والصدق والأنصاف [3]، وكان يتم اختيار المعالم عن طريق القاضي بالتعاون مع مجلس من كبار العلماء أومن قبل السلطان الذي كان يختص باختيار علماء المساجد الجامعة وكراسيها ورئيس ركب الحجيج الذي كان يتم اختياره من علية الناس فضلاً وأخلاقاً وثروة وعراقة بيتاً، وذلك لقدرتهم على التأثير في العامة حولهم، ولذلك حظي العالم بمكانة عالية عند الخاصة والعامة الذين كانوا يتنافسون في أكرامه، وكان كثير من السلاطين المرينيين يستمعون لنصحهم ويخشون دعائهم، فعلى سبيل المثال كان

(1) مجهول، بلغة الأمنية 52-53؛ إبن مريم، البستان، ص 173-172.
(2)أحمد بن جمعة المغراوي، جامع الجوامع مع الاختصار والتبيان، ص 24.
(3)أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ،ص 205.

السلطان أبي سعيد يخاطب أبي عبدالله الشريف ومخاطبته بسيدي وعرض عليه أن يترك وديعة كأمانة عنده فرفض، فأودعها عند غيره، وعند تولي السلطان أبي عنان أمر عبدالله الشريف ورفعه على العلماء[1] ، كما قام السلطان أبي الحسن بسؤال العالم محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي الحميري لاختبار علمه فعرف السلطان مكانته العلمية وقدرته على الحفظ ،والعالم أحمد بن محمد الزواوي، الذي كان من حسن صوته أنه كان يصلي بالناس كما كلف السلاطين العلماء للجلوس لنظر في المظالم والشكايات بل ويجمعون الزكاة، لما لهم من قدرة على تقديرها وضبطها لحفظهم كلام الله، مثلما وظف أبوعبدالله القشتالي للنظر في المظالم وجمع الزكاة[2]، وامتدت تلك المكانة لدرجة تسمية أحد العلماء على مدرسة مثل المصباحية، تكريماً للعالم كما كان لأبنائهم مكانة عند السلاطين، فعلى سبيل المثال إبن الخطيب، كما دفن أحد أبناء العالم بن مرزوق في الضريح الملكي في الجامع الكبير لما كان لوالده من مكانة عند السلطان أبي الحسن، كما كانت كل أسرة تتخذ لها عالم تصادقه وتكاشفه بأمورها لتحظى منه بالتوجيه السليم [3].

دورهم في العملية التعليمية: –

لم يكن المجتمع المريني مجتمعاً خاملاً، بل كان متفاعلاً مع قضايا عصره ولذلك تعالت النداءات التي وجهها علماء بني مرين من أجل تطوير العملية التعليمية وإصلاحها برزت عدة قضايا خاصة بالتعليم على ساحة المجتمع المريني والتي كانت مثار نقاش طويل منها.

أ- القضية الأولى: –

حول إنشاء المدارس وكثرة التأليف فقد نقد العالم إبراهيم الأبلي بقوله: "إنما أفسد العلم كثرة التأليف وأذهبه بنيان المدارس، وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هى أصل جمع العلم وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجاريات فيقبل بهم على من يعينه أهل الرئاسة للأجراء والإقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه دخوله في حكمهم، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة، الذين لا يدعون لذلك، وأن دعوا لم

(1) ابن مريم،البستان،ص175،171،
(2) الحريري،تاريخ المغرب الإسلاميوالأندلس،ص280،
(3) ابن مرزوق ،المسند الصحيح الحسن ، ص28 ،روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ص 51.

يجيبوا وأن أجابوا لم يوفوا لهم فيطلبون من غيرهم"[1]،وأيده في هذا الرأي تلميذ المقري وأحمد بابا السوداني*[2]صاحب "نيل الابتهاج"، حيث أضاف أن ذلك أدى لذهاب العلم بفاس حتى صار يتعاطى القراء كراسيها من لايعرف الرسالة بل من لم يفتح كتاباً للقراءة، مما نتج عن هذه الآراء فتوى الأمام عبدالله العبدوسي حول ماحبسه السلطان أبوعامر بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم على ضريح جده بشالة هل يمضي أم لا فأجاب: "أن الملوك فقراء مدينون بسبب ما أحتجروه على المسلمين بتصرفاتهم في أموال بيت المال بالهوى في أبنية الدور العالية المزخرفة إلى غير ذلك من التصرفات فهذه كلها ديون عليهم تكثر مع تطاول الأيام، فلا تصح تبرعاتهم وتحبيساتهم وهباتهم وصدقاتهم إلى غير ذلك، ولا يصح إلا ما حبسوه معتقدين أن المال للمسلمين والوقف للمسلمين، أما أن المال لهم والوقف لهم فلا يمكن وقف مال غيره على أنه له فلا يصح وقفه"[3]، وهذا يدل أن العلماء لا يخشون لومة لائم في الحق، وأن هذه الفتوى كان لها التأثير الواضح الذي ظهر في رفض كثير من العلماء أخذ المرتبات، وذلك لأنهم غير مرتاحين للجهة التي تشرف عليها مثل الشيخ عبدالقادر الفاسي، الذي كان يتنازل عن أمواله لغيره ويقتصر على نسخ الكتب، وأيضاً أستنكر الشيخ زروق أخذ العلماء من الأوقاف[4]،ومما يؤكد تأثير هذه الفتوى قول إبن الوزان بما معناه لم يعد هناك رجل عالم وشريف يقبل منهم عطية أو هدية وتعتبر أموال أولئك الحكام أحقر مما لو كانت أموالاً مسروقة، إلا أن هذا لم يكن موقف كل العلماء بل كان رأي البعض، وقد وقع نقاش بين الونشريسي والورياكلي حول إذا ما كان الأمام الونشريسي يستحق راتبه عن ثلاثة أشهر قضاها في التعليم بمدرسة الرخام في فصل الشتاء فأنتصر علماء تلمسان للقاضي الونشريسي وأنتصر علماء فاس للأمام الورياكلي الذي كان يرى أنه لايستحق هذا الراتب الأعلى قضاء السنة كلها[5].

---

(1) ابن مريم، البستان،217،216.
(2) *هو أبوالعباس أحمد بابا السوداني التمبكتي ممن أخذ عنه بفاس المقري ،ينظر التازي ،جامع القرويين المسجدوالجامع بمدينة فاس،مج2،ص517.
(3) الونشريسي، المعيار،ج7، ص 212-413؛ المنوني، ورقات، ص 399.
(4) التازي، جامع القرويين المسجد والجامع بمدينة فاس، مج2، ص 469.
(5) المرجع نفسه، ص 441 ؛ صالح أبودياك، دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري، ص 10.

ب- القضية الثانية: -

وهي حول كتابة المختصرات، وقد قام العالم المقري بنقدها بقوله "ولقد أستباح الناس النقل من المختصرات العربية أربابها ونسبوا ظواهرها فيها إلى أمهاتها" ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وأنقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها"،[1] فظهر فريقان هما: -

الفريق الأول: يمثله ابن خلدون والقباب وأبو إسحاق الشاطبي.

الفريق الثاني: يمثله ابن شاش وابن الحاجب وابن بشير.

فريق يؤيد المقري ومنهم الفريق الأول، فقد قام ابن خلدون بفرد فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم، وقام أيضاً القباب (ت 778هـ/ 1376م)، بمعارضة كتب المختصرات ذاكراً أن ابن بشير وابن الحاجب، وابن شاش قد تعدوا عن الفقه وأنه لن يعتمد على هذه المؤلفات للجهل بمؤلفها، وتأخر زمنها وأيده أباإسحاق الشاطبي في ذلك، وليس ذلك فقط بل قام الفقيه محمد بن سليمان السطي بوضع تعليق على ابن شاش لبيان ما خالف فيه من المذهب المالكي بل طلب من المغاربة في المشرق الذين كانوا يدرسون بالمدرسة الشيخونية بالقاهرة، وكان شيخها هو بهرام بن عبدالله بن عبدالعزيز الدميري، حيث طلب هذا من المغاربة تصحيح شرحه الصغير على مختصر خليل فأبوا عليه وقالوا: لانقرأ كتبك ولا كتب شيخك ابن عرفة بين أيدينا، ولا نسمع إلا كتاب ابن عبدالسلام فما فوقه[2]،هذا يدل على قوة تأثير العلماء بآرائهم ليس في فاس وحدها بل أمتد رأيهم للمشرق، وإن العصر المريني فرض وحدة ثقافية تعدت كل الأوطان التي أدت لوحدة الآراء حتى خارج مدينة فاس.

ج-القضية الثالثة: -(حول ضعف المناظرة والمحاورة عند المغاربة)

أنتقد ابن خلدون القول بأن المغاربة لا يقدرون على المناظرة والمحاورة و أيده في هذا الاتجاه العالم القباب الذي أعترف بتقدم المغاربة في الحفظ وتفوق التونسيون

(1) إبن مريم، البستان، ص ،217-218، الفرد بل؛ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 262-363؛ المنوني، ورقات، ص 381.

(2) إبن مريم، البستان، ص ، 382-383،المنوني،ورقات،ص384.

والمشارفة عليهم في ملكة التحصيل، ويؤكد ذلك أن السلطان أبي عنان لما فرغ من بناء المدرسة المتوكلية ووقع الاختيار على الشيخ الصرصي لدراسة الفقه بها، وجه إليه اثنين من العلماء لاختباره في مسائل التهذيب التي أنفرد بحفظها قائلاً: "أنا أمرت بذلك كي تعلم ماعندك من العلم وما عند الناس، وتعلم أن دار الغرب هى كعبة كل قاصد، فلا يجب أن تتكل على حفظك وتقصر على ماحصل عندك ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدي عن ملاقاة من يرد من العلماء والتنزل للأخذ عنهم ولايقدح ذلك في رتبتك عندنا إن شاء الله"[1]، وهذا يؤكد أن السلطان أبوعنان كان يكسب ملكة المناظرة التي يجب أن يتحلى بها كل عالم عند التدريس ،وقد دارت مناظرات عديدة حول قضايا التعليم ورد منها في كتاب الونشريسي:-

1- مناظرة وقعت بين القاضي القشتالي والشيخ أبوإسحاق الحسناوي حول ترتيب مادتي التفسير والفقه في التدريس، فقد كان القاضي القشتالي كما جاء في ترجمته "عند النباهي كان من عادته تقديم دور الفقه على التفسير، وذهب إلى عكس هذا الترتيب الشيخ الرحال أبوإسحاق الحسناوي أحد جلساء القاضي عند أقرائه"[2]، فجرت بين الطلبة بفاس مخاطبات حول ذلك فبعضه متحيز للقاضي لما له من رجاحة عقل.

2- مناضرة وقعت بين مالك بن المرحل وابن أبي الربيع، حول لفظة "**كان ماذا**" وردت في شعر إبن المرحل حيث يرى إبن أبي الربيع أن الصواب "**ماذا كان**" وقام إبن المرحل بكتابة رسالةعن هذا الموضوع سماها"الرمي بالحصى والضرب بالعصى"*[3] وقسمها إلى ثلاثة أجزاء، وتدل هذه المناظرة على ثقافة العلماء الموسوعية، حيث أن إبن الأبلي الربيع عالم في النحو والشعر، وكتاب "لب اللباب في مناظرة العقباني والقباب "حيث وقعت عدة مناظرات بين هذان العالمان منها في مسألة درهم الإعانة وغيرها من المناظرات، التي جعلت إبن قنفد القسنطيني يجمعها في هذا الكتاب، هناك كثير من فتاوي الونشريسي حول أمور تتعلق بالعلم والعلماء ومؤسساته وأحباسه منها تقديم الطلب في حبس المدرسة على الفقيه والأمام المؤذن وغيرهم عملاً بفتوى

(1)إبن مريم ،البستان ،ص38،382.
(2) أبوالحسن بن عبد الله أبن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت،(د.ت)،ص 170.
(3)* الرمي بالحصى والضرب بالعاصى، و هو يقسمها إلى ثلاثة أجزاء صغيرة الأول جزاء يمال، و الثاني الواعظ ، و الثالث جزاء الرميلة، و لاتعرف منها نسخة تامة، ينظر، المنوني، ورقات، ص 392.

اليزناسني "أن أسوأ حالة الطلبة محاصتهم أما الطلبة فلدراستهم العلم مساءً وصباحاً والسكون فيها، وتكثير سواد أهل العلم"[1] ، وأيضاً فتوى لا يجوز تعليم الصبيان في المساجد التي أجاب عنها الونشريسي" لم يجعل الله المساجد ليتكسب فيها الأرزاق..الواجب على تلك أهل البلدة أن يمنعوا مساجدهم من مثل هذا. فليوعظ المعلمون وآباء الصبيان ليخرجوا من المساجد إلى بقاع يصلح فيها التكسب"[2] ، وفتاوى في الأحباس أن حكمها يختلف باختلاف واقفيها، منها الأوقاف على المدارس والمساجد، فقد أفتى الونشريسي بإجازة صرف أوفر الحبس في وجوه البر بعد استيفاء شروط الواقف وغيرها[3].

ونستخلص من كل هذه المناظرات والقضايا الخاصة أن التعليم كان في حالة ازدهار عالية في عصر بني مرين، وإن العلماء كانوا يملكون ثقافة موسوعية سواء من النحو أوالشعر أوالفقه وغيرها، وأن التعليم مر بمرحلتين :الأولى الدراسة التي تتم من أمهات الكتب، والتي أظهرت نبوغ عدد من العلماء أمثال اليزناسني والقباب والأبلي، والمرحلة الثانية الاعتماد على المختصرات، والتي كانت بمثابة هدم بطئ للعملية التعليمية والتي شغلت الفكر في قضايا خلافية مثل فك غموض المختصرات والحصول على أدنى قدر من العلم الذي لايكفي عالم لتنمية ملكاته.

4- **تعليم المرأة:** -

لقد شجع فقهاء الإسلام تعليم المرأة بحكم طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة، حيث ساهمت المرأة المغربية بدور بارز في الحياة العلمية والثقافية، إذ تعلمت المرأة في جامع القرويين رغم بُعدها عن مجلسه، فظهرت منهن الفقيهة والأدبية، وحظيت باهتمام الرجل، وقد أظهرت براعة إدارية منها تقديم المشورة لأزواجهن، حيث كانت في صغرها تتلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد فقيهة في مدرسة عُرفت باسم"دار الفقيهة"، فقد كان كل حي من أحياء مدينة به مجموعة من الدور والتي تديرها سيدات

(1) الونشريسي، المعيار،ج7، ص 369.
(2) المصدرنفسه ،ص 36-83.
(3) المصدر نفسه، ص 215-237.

أخذن ثقافتهن إما من أخواتهن أو أبائهن أو زواجهن[1]،فعلى سبيل المثال وضع الشيخ الجزولي كتابه "سبحان الدائم " لأولاده ونساء بيته كمنهج لهم وبنيت الجنان زوجة الحاج أبوعبدالله محمد بن عزوز الصنهاجي، والتي حفظت من زوجها أحاديث كثيرة من الصحاح وعلمها القرآن وقرأته فنفعت به أولادها في الصغر، وأم هاني العبدوسية وأختها فاطمة من الأسرة العبدوسية، التي أشتهر رجالها ونسائها بالعلم، وأم البنين جدة الشيخ زروق، والتي كفلته وعلمته في صغره، وأم قاسم زهرة جدة الأمام حسن المرادي الأسفي المعروفة بالشيخة، وبنت عبدالمهيمن الحضرمي، وصفية العزفية السبتية التي تنتمي لأسرة بني العزفي الذين هم بيت علم[2].

كما كان هناك أماكن تساعد من حيث موقعها على حضور المرأة للاستماع مباشرة منها لمنابر المشايخ مثل مبنى "الأسبوع الأعلى" أو "مصرية المفتي"، التي كان لها مطلع خاص تصعده النساء، ومستودع إبن عباد كان يشرف على أهم كرسي علمي عرفته القرويين، وهو كرسي"ظهر خاصة العين"، الذي كان يمكّن المرأة من الاستماع لدروس كبار المشايخ[3]، بالأضافة إلى حرص الفقهاء على عدم دخول المرهقين أماكن تعليم البنات، وهذا يدل على وجود كتاتيب خاصة بالبنات الصغار، كما كانت دور السلاطين والأمراء من أمهات سلاطين أو زوجات أو أخوات أو بنات سلاطين أو جوارهن، ضربن أعظم الأمثلة في التأثير على الحياة العلمية والثقافية، فعلى سبيل المثال العز بنت محمد بن حازم العلوي، والدة السلطان أبي الحسن التي شفعت لديه للعفو عن أحد الأشخاص، ولما توفيت شيع جثمانها في موكب مهيب ضم السلطان وكبار رجال الدولة والشرفاء والعلماء والصلحاء، حيث تحركت جنازتها إلى مقابر شالة بل وأمر السلطان ببناء مسجد في كل موقع تمر عليه ومعه عمارة وزاوية، وقد أوقف السلطان أبي الحسن أوقاف لينفق منها على هذه المنشئات التي أقيمت[4]، وفي سنة (758هـ/ 1356م)، توفيت أخت السلطان أبي عنان المريني ووالدته ودفنتا في شالة أيضاً، وأمنه بنت أبي العباس أحمد بن أبي سالم، التي دفنت

(1) الماحي، المغرب في عصر السلطان أبوعنان، ص 226؛ التازي ،جامع القرويين، مج 2، ص 443.
(2) إبن مريم ،البستان ، ص45.
(3) التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس،مج2،ص444،443.
(4) إبن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 122-123.

بشالة بالأضافة إلى وقف ربعة قرآنية على ضريحها، وهذا يدل على مكانة الأميرات العظيمة، ودفنهم بجوار السلاطين من ناحية، وأنهن ساهمن في الناحية العلمية والثقافية من خلال وقف أوقاف، أو كتب قرآنية ، وكان لوالدة السلطان أبي الحسن دوروالتي وصفها إبن مرزوق بأجمل الصفات وجلائل الأعمال، منها تجهيزها لليتامى وإعطاء الصدقات[1]، كما قلدت الأميرات جواريهم في الاهتمام بالعلم فعلى سبيل المثال الجارية صبح جارية أحمد بن شعيب الجزنائي التي لقنها العربية، وعلمها الشعر ولما ماتت رثاها بقصائد كثيرة، والجارية سارة التي اشتهرت بالأدب والخط الحسن وبقرضها للشعر، وكان لها وفادات على الملوك فمن الذين وفدت عليهم الأمير المستنصر بالله الحفصي، ثم رتحلت للأندلس وناظرت جماعة من الأدباء والشعراء، ووفدت على الأمير أبي يوسف بن عبدالحق المريني، فأنشدته قصيدة، كافأها عليها[2]،أماعن ملابس النساء، فقد اختلفت باختلاف مراكزهم الاجتماعية فالأميرات كانت ترتدي في أيام الحرْ الثوب فقط ويشدونه بزرار، وفي الشتاء يلبسن الأردية الواسعة الأردان المخيطة من الأمام، وإذا خرجن يلبسن السراويل الطويلة التي تغطي القدم كله ويسدلن على الرأس والجسم ملاءة يغطيها الحائك ويغطين الوجه بنقاب من القماش سميك تترك فيه فتحة للعين، وكُن يتحلين بالأقراص الذهبية الكبيرة والمطعمة بالحجارة الكريمة والأساور الذهبية التي تزين كلا المعصمين، كما كُن يلبسن الخلاخيل، ونستنتج من تنوع الملابس، أنها كانت مختلفة الأشكال والألوان، وكانت تستورد من العراق والأندلس وبلاد الروم، ويبدو أن طراز الملابس في العصر المريني كانت امتداد لطراز ملابس المرابطين والموحدين[3].

-الإجازةالعلمية: -

هي الأن والأستحقاق طالب العلم من أستاده أو شيخه أن يجيزه بموسوعاته ورواياته التي حصل عليها ،وأن يأدن له بالتنقل عنه،فالطالب مجاز له والأستاد مجيز[4]

(1) إبن مرزوق، المسند الصحيح، ص123؛المنوني،ورقات ص73،72،56.
(2) إبن القاضي، جذوة الأقتباس 119-120؛حسن عبدالوهاب، شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية بالمهدية، 1336هـ/ 1913م، ص 47-76؛ محمد عادل عبدالعزيز، الحياة الثقافية والاجتماعية، ص 278.
(3) ستيلمان ومايد وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 28، الشارقة، مادة لباس، تر، فاروق صادق عسكر، مركز الشارقة ،الإمارات، 1418هـ/ 1998م، ص8748.
(4)الموسوعة العربية،ج1،مؤسسة الصالحي للطباعة ،سوريا،2005م،ص266.

وفي الاصطلاح: شهادة يمنحها محدث، أو فقيه ثقة إلى أحد تلاميذه، أوغيره يجيز له أن يروي عنه الحديث أو الفتوى، وهي إما أن تكون لفظاً يتلفظها أمام الشهود أو كتابة[1] ، ولتخرج الطلاب كان يجب عليهم اجتياز نوع من الامتحان، الذي عرف بالإجازة، ويتم ذلك بقراءة الطالب القرآن برواياته السبع، ثم يمتحن بعد ذلك في كتب التفسير، والحديث والفقه، والكلام، والعربية على يد العديد من العلماء، ثم يجيزه الأستاذة ليدرس بعد ذلك، وأهمية تلك الإجازة للعالم أن يضمن انتشار العلم خالياً من التحريف والأغلاط ويحرص عليها المتعلم لينال علماً مضبوطاً لا شك في نسبته لصاحبه، أي أن الإجازة شهادة علمية أو ترخيصاً بتحصيل الطالب مادة معينة أو أذناً له برواية علم من العلوم، وهي تشبه الدرجات العلمية الكبرى في الوقت الحالي، ومن أقدم الذين حصلوا على الإجازة في هذا العصر القاضي الأمام مفضل العذري[2].

وعندما يتخرج الطلاب يؤدون مهمتهم كما أداها أساتذتهم من قبل فكانوا إما يتجهون للتدريس أو لشغل الوظائف الرسمية والرئيسية كالقضاة والعدالة والوزارة والسفارة، أما عن الغرباء منهم فكانوا يعودون لأداء واجبهم تجاه أوطانهم فينشرون العلم ويتقلدون الوظائف هناك[3].

تعليم العامة: –

كان للقرويين رسالة تعليمية وتثقيفية منها، تعليم العلم ومحاربة الأمية، ولذلك نظمت للعامة دروس وعظيه تبدأ بالفترة الصباحية، وتستمر إلى مابعد صلاة العشاء، تعالج المشاكل الدينية والدنيوية لتلك الفئة، وذلك عن طريق كراسي علمية مخصصة للتوعية والتوجيه، فعلى سبيل المثال كرسي مسجد **الأرزابن**، الذي يقع بين المتاجر والمصانع، ومن الكتب التي تقرأ عليه شهاب الأخبار في الحديث، وكذلك شرح الحكم العطائية لأبن عباد، والكراسي الموجودة داخل الدروب، ومنها كرسي مسجد سيدي تميم، وكرسي مسجد جزاء بن عامر، وكرسي درب البواق، وكل تلك الكراسي كانت

(1) أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، ص 25.
(2) التازي ،جامع القرويين المسجد و الجامع بمدينة فاس،مج2، ص ص 432-435-468.
(3) روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ص 180-181،193.

تقع في المناطق الأهلة بالسكان، ومن الكتب التي كانت تدرس عليها الرسالة القيروانية، بالأضافة إلي كرسي مسجد دار الدبغ الذي يختار له أستاذ لتثقيف العمال والصناع، وكرسي درب الأجاصة الذي يقع بين جهات البساتين والحقول، الذي يهتم بتعليم الفلاحين، وكرسي مسجد الشرشور، الذي قصد به شد السكان للمتفقه، وأنهم كانوا يتعاملون في أحاديثهم العادية بآيات من القرآن الكريم أو فقرات من الفقه والنحو [1].

وقد كان للعلماء دوراً كبيراً في تعليم عامة الناس، سواء بالنصح والإرشاد في أمور دنياهم، فعلى سبيل المثال كان إبن البنا يفقه العامة ويرشدهم، وقد ورد عن إبن حجر أنه قدانتفعت به جماعة في التعليم كان يشتغل بالعلم والتدريس من بعد صلاة الصبح إلى قرب الزوال[2]، والشيخ الأبلي الذي أنتفع به بشر كثيرون، ولم يكتف العلماء بذلك، بل كانوا يكتشفون ميل بعض الناس للعلم، ويخصصون بعض الساعات في كل يوم لدروس خاصة بالمسجد القريب من بيته، وذلك لإسماع الناس تفسير القرآن للثعالبي، وحلية الأبرار لأبى النعيم [3].

(1) روجيه لوتورنو،فاس فاس في عصر بني مرين ،ص 193؛أدريس عزوزي الكراسي العلمية بجامعة القرويين أيام إزدهارهاوأشعاعها الفكري،ص392،388.
(2) محمد بن أحمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية ،ص 102-103.
(3)محمد شقرون ، مظاهر الحياة المغربية،ص103،102.

المبحث الثاني

العلوم النقلية وأبرز علمائها.

العلوم النقلية:

وهي العلوم التي وضعت لاستيعاب ما وضع في الميدان الديني والإلمام بما خلفه الأجداد والواضعون لهذه العلوم للحفاظ عليها والدفاع عنها[1].

1-علوم القرآن الكريم: -

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدؤ بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس والمكتوب بين دفتي المصحف [2].

أ-علم القراءات: -

وهو علم يبحث عن صورة نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواتر ومبادئه، وتشمل القراءات أنواعاً متعددة منها: التجويد، والرسم والقراءات المأثورة القريبة وتوجيهاتها، وسبب ظهورها كان ناتج عن الاختلاف في اللهجات العربية وإن القراءات المتبعة في تلك الفترة كانت قراءة نافع بن أبي نعيم، (ت 169هـ/ 785م)، والتي تجمع بين روايتي ورش (197هـ/ 812م)، وقالون على مذهبي الحافظ أبي عمرو الداني (444هـ/ 1052م)، وتعدّ قراءة نافع والزيات من القراءات السبع المشهورات وأبرز الكتب التي ألفت في القراءات في العصر المريني كتاب "**الكافي**" لأبن شريح، وكتاب نظم الفريد في أحكام التجويد، لأبي العباس أحمد بن محمد الحسيني (737هـ/ 1336م)، وكتاب التحفة في القراءات لميمون الفخار(716هـ/ 1316م)، ومن أبرز علماء هذا العصر، يوسف المقرئ عبدالله بن أحمد العثماني الأشبيلي، والمقري أبومروان عبدالملك محمد بن إسحاق الكتاني، والذي جاء إلى سبته وقرأ بها القرآن الكريم (693هـ/ 1293م) [3] ،والمقري محمد بن إبراهيم بن إسحاق الأنصاري بن إبراهيم بن الحاج السلمي من أهل المرية، ولد سنة (646هـ/ 1246م)، ثم جاء إلى سبته وقرأ للأستاذ ابن الحسين بن الربيع القرآن الكريم فقرأ الأستاذ عليه بالقراءات السبع ثم قرأ هو بنفسه بالقراءات السبعة أيضاً (694هـ/

---

(1) محمد أحمد شقرون،مظاهر الثقافة المغربية في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر،مطبعة الرسالة،الرباط،المملكة المغربية،1982م،ص191.

(2) بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،مصر، 1957م، ص 318.

(3) أبوالحسن عبدالله بن الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس المسمى (المراقبة العليا)،ص 133.

1294م)، وعبدالرحمن بن عبدالحليم بن عمران الأوسي الدوكالي أبوالقاسم الملقب بسحنون، وينسب إلى دكالة من بلاد المغرب، حيث رحل إلى المشرق ودخل مصر وقرأ القراءات على الصفراوي وسمع منه (695هـ/ 1295م)[1]، ومالك بن المرحل كان يقرأ القرآن بالقراءات السبعة، ومن أشياخه أبي العباس أحمد بن علي المعروف بابن الفحام، حيث أخذ عنه القراءات ولقي بأشبيلية القاضي أبوالقاسم بن تقي، وأبا الحسن الديباج، وأبا علي الشلوبيين، وأبا جعفر بن الفحام وأجازوه ومن نظمه " التبيين والتبصير لكتاب التيسير" ، ومحمد بن محمد بن عبدالملك بن سعيد (703هـ/ 1303م)، وخلف بن عبدالعزيز الغافقي القبتوري الأشبيلي ولد سنة (615هـ/ 1215م)، وأخذ عن أبي الحسن علي بن الديباج وأبي الحسن بن أبي الربيع، وإبراهيم بن محمد وإجازة جماعة من أهل المشرق، وأبو الربيع سليمان الونشريسي، ومحمد بن عبيدالله الأنصاري الأشبيلي ويكنى أبابكر نزيل سبته، وأخذ من أبا الحسن بن علي بن الديباج، وأبي محمد فضل وأبي محمد بن ستاري، وأبي عبدالله بن محلي السبتي، وابن الحسن الزيات ، وابن أبي الربيع (ت706هـ/ 1306م)، وعبدالله بن محمد الشيخ كمال الدين المغربي، وصل إلى المشرق ودخل بلاد الشام ثم نزل بيت المقدس وقرأ بها،(ت710هـ/ 1312م)، ثم بالقدس الشريف، وأبو يعقوب المجسكي*[2]، الذي قدم على سبته وقرأ بمسجد القفال القراءات السبع وتوفي في يوم الخميس الرابع عشر من جمادي الأخر من سنة (712هـ/ 1312م)، أبوإسحاق إبراهيم بن عيسى الغافقي الأشبيلي أخذ القراءات بسبته عن أبي الحساني (716هـ/ 1316م)[3]، ومحمد بن سليمان أحمد بن يوسف الصنهاجي، (ت717هـ/ 1317م)،وأبي عبدالله محمد بن داوود الصنهاجي المشهور بأجروم، ولد سنة(682هـ/ 1272م)،وقرأ بفاس وله تصنيفات وأراجيز في القراءات

(1) شمس الدين أبو عبدالله محمد أحمد المصري بن عثمان الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات ،ج2، تح، محمد سيد جاد المولى، القاهرة، مصر، 1967م، ص 555.

(2)* المجسكي، أحد قبائل غمارة ومواطنها تطوان وسبته، مجهول المؤلف، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، ص 43.

(3) أبومحمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1970م، ص 266.

(ت 719هـ/ 1319م) [1]، ومحمد بن رشيد الفهري قرأ بسبته على يد الأستاذ إبن أبي الحسن بن الربيع وأخذ عنه القراءات، ومحمد بن البقال كان كثير التلاوة للقرآن الكريم، ومحمد بن علي بن محمد بن الحسن التازي، الشهير بابن بري أشتهر بالقراءات ثم رحل إلى مصر وقرأ بها فأخذ القراءات من علماء المشرق، وأبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن يوسف الأنصاري القصري السبتي ، فهو إمام مقري محقق ولد في سنة (653هـ/ 1255م)، قرأ القرآن على جماعة من مدن المغرب وسمع مؤلفات كثيرة في القراءات، ثم رحل إلى المشرق فسمع بمصر والحجاز والشام القراءات، ثم أستقر بالقدس، وله مؤلفات منها "اختصار كتاب الكافي"، وأخذ القراءات عن أبي الحسين عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أبي القاسم محمد بن عبدالرحمن بن الطيب القيسي[2]

ب ـ علم التفسير: –

لغةً تعني" التبيين والإيضاح"[3]، ومنه قوله تعالى{ وَلاَ يأْتُونَكَ بِمِثْلٍ إلاَّ جِّئْنَاك بَالْحَقِ وَأَحْسَنُ تَفَسِيراً}[4].

واصطلاحاً: هو علم باحث عن معني نظم القرآن [5]، وهو إخراج الشئ من مقام الخفاء إلى مقام التجلي[6]، ومن بين كتب التفسير التي راجت في ذلك العصر "كتاب الزمخشري" المسمى بالكشاف للزمخشري (ت 538هـ/ 1143)، والتفسير صنفين: التفسير النقلي، وهو مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهو معرفة الناسخ وأسباب النزول ومقاصد الآنى وحمل هذا النوع من المتأخرين بالمغرب أبو محمد بن عطية التي لخصّ تلك التفاسير كلها، وتحرى عما هو أقرب إلى الصحة، ووضع كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، أما الصنف الثاني من التفسير، فهو ما يرجع إلى اللسان في معرفة اللغة والأعراب والبلاغة في تأدية المعني بحسب المقاصد والأساليب، وأحسن ما أشتمل على مثل هذا الصنف كتاب للزمخشري، أما أبرز علماء هذا العلم

(1) جلال الدين عبدالرحمن الأسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح، محمد أبوالفضل إبراهيم،ج2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1963م، ص 1796.
(2) محمد جابر التونسي الوادي آشي ، برنامج الوادي آشي ، دار المغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت 1981 ، ص 193
(3) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج2،ص110.
(4) سورة الفرقان ، الآية 33.
(5) جلال الدين عبد الرحمن الأسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، (د .ت)، بيروت، ص192.
(6) أبوالفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير،ج2، المكتب الإسلامي للطباعة و النشر،لا،ب،1964م،ص4.

في تلك الفترة، المفسر للقرآن أبوالحسن علي بن سليمان، برز بعلم تفسيرالقرآن الكريم(ت 706هـ/ 1306م)، والمفسر محمد بن رشيد الفهري كان ذاكراً للتفسير، أبوالعباس أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي عرف بابن البنا كان أبوه محترفاً بالبناء، ولد بمراكش في سنة(654هـ/ 1256م)[1]،وله موضوعات كثيرة في التفسير، وتفسير سورتي الكوثر والعصر، وتفسير الباء في البسملة (721هـ/ 1321م)،[2] ومحمد بن يوسف بن عمران المزدغي(ت 655هـ/ 1257م)، وكان محدثاً حافظاً للقرآن، له كتاب في التفسير ومحمد بن محمد بن علي المعروف بابن البقال (ت 725هـ/ 1324م)، ومحمد بن العابد الأنصاري (ت 762هـ/ 1362م)، الذي أختصر التفسير للزمخشري، وجرده من مسائل الاعتزال، ومنهم أيضاً الخطيب إبن مرزوق الذي كان مشاركاً في تفسير القرآن، ومحمد بن أبي البركات السكاك (800هـ/ 1397م)،ومحمد بن أبى أحمد السكاك(818هـ/ 1415م)[3].

ج ـ علم الحديث: –

لغة: هو الخبر والمحادثة، دينية كانت أم غير دينية [4].

واصطلاحاً: هو كل ما أثر وصدرعلى النبي محمد ﷺ من قول، أو فعل، أوتقرير، وهو مكمل للقرآن ومفصل لمجمله [5]، وهوعلم الأخبار ومادة العلوم الأخرى وقد تشمل أخبار منقولة من الكتب المنزلة أو من الرسائل والأئمة والحكماء المتقدمين أو من السلف الصالحين [6].

أن المغاربة لم يهتموا برواية الأحاديث وتداول ماكان لبعض شيوخهم، إلاّ في عصور متأخرة واعتمدوا في ذلك على " موطأ" الأمام مالك بن أنس وهو أبو عبدالله ابن أنس بن مالك بن عامر بن غيثمان بن خيثل بن عمر بن الحارث الأصبحي

(1) أبوالفضل العباس بن محمد بن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من أعلام وملوك الإسلام، ج3 ،ص 375؛ كنون النبوغ المغربي،ج1،ص13؛شقرون، مظاهر الثقافة العربية، ص 100.
(2) المرجع نفسه، ص103.
(3) الكتاني ، سلوة الانفاس ، ج2،ص146.
(4) أحمد محمد شاكر،مادة "حديث"، دائرة المعارف الإسلامية، تر العربية، ج7،(د .ت)،ص 330.
(5) إبن خلدون، المقدمة، ص 441 ؛ محمد بن وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مطبعة لبنان، بيروت، 1979م، ص 82.
(6) أبو الحسن محمد بن يوسف العامري، الأعلام بمناقب الإسلام، تح، أحمد عبدالحميد غراب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م، ص 35.

الحميري (ت179هـ/ 795م)،[1]واكتفوا بالتفقه بعلم الحديث دون الإكثار من روايته، ثم دأب العلماء على دراسة كتب الحديث، ومن هذه الكتب كتاب "صحيح الأمام البخاري "لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ/ 869م)[2]، وكتاب الموطأ للأمام مالك الذي أختص باهتمام أهل المغرب، فهو كتاب أمامهم، وكتاب "صحيح الأمام مسلم" بن الحجاج بن مسلم القشيري(ت261هـ/ 867م) [3]وقد نال عناية علماء المغرب وواكبوا عليه وأجمعوا على تفصيله وفضلوه على كتاب البخاري، وذلك لإجماع الأمة عليه، والإجماع على صحة مافيه، ولقناعة أهل المغرب به، ودرس العلماء المرينيون أيضاً العديد من الكتب من بينها " الجامع مع مافي آخره من العلل" لأبن عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ/ 892م)، ويقال له الجامع الصحيح والسنن لأبن ماجه (ت273هـ/ 886م)، والسنن لأبي داوود (275هـ/ 888م)، والسنن للنسائي (ت303هـ/ 915م)، وكتاب الجمعة للنسائي[4] والشفاء لأبي الحسن بن عمر الدار قطني (ت 385هـ/ 995م) ،والشفاء للقاضي عياض(ت544هـ/ 1145م)، وعلوم الحديث لأبي الصلاح (ت643هـ/ 1245م)[5].
1245م)[5].

ومن أوائل علماء الحديث في ذلك العصر الحافظ عبدالمهيمن الحضرمي، الذي كان إماماً في علم الحديث، وذكر الزركشي أنه كانت له أربعينيات في الحديث، ومجلس لتدريس الحديث بتونس أيام وجود المرينيين بها[6] ،وكان محمد بنعبدالرزاق الجزولي من علماء الحديث الذين تألقوا في مجالس السلطان أبي عنان، إذ كان هذا السلطان يأخذ عنه الحديث، ومحمد بن عبدالرحمن التميمي، الذي يرى الحديث بأسانيده ومتونه، ويستظهر مطولاته، ويعتبر إبن رُشيد(ت721هـ/ 1321م) شيخ

(1) محمد بن إسحاق بن الفرج بن يعقوب بن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م، ص 280 أبوالنعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ج1،(د.ن)، بيروت، 1970م، ص 335.
(2) عبدالحق بن إسماعيل الباديسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح، سعيد عراب، المطبعة الملكية، الرباط،المملكة المغربية، 1982م، ص 45؛ أبوالقاسم بن يوسف السبتي التجيبي، مستفاد والرحلة والاغتراب، تح، عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت)، ص 48.
(3) المصدر نفسه، ص 369.
(4) مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح، شهاب الدين الحسيني النجفي المرعشي،ج1، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م، ص 559، ج2، ص 1007.
(5) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ج3، ص 276.
(6) أبوعبدالله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور،ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 86، إبن القاضي، جذوة الأقتباس، ص 279.

المحدثين في العصر المريني، إذ كان "فريد عصره جلالة وعدالة وحفظاً وأدباً وسمتاً وهدياً واسع السمعة عالي الإسناد صحيح النقل أصيل الضبط تام العناية بالصناعة الحديثة قيماً عليها بصيراً بها محققاً فيها ذاكراً للرجال"[1]،وله رحلته التي سماها ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين لمكة وطيبة، وقد ملأها بمسائل الحديث بالأسانيد العديدة، التي تدل على مستواه في هذا المجال[2]، ويذكر إبن القاضي إنه كانت له دراية كبيرة بعلم الجرح والتعديل المتصل بعلم الحديث فيقول : " وكان له تحقق بعلوم الحديث وضبط أسانيده وميز رجاله ومعرفة انقطاعه واتصاله" [3].وأشتهر أيضاً في هذه المجال محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي (ت778هـ/ 1376م)، الذي ألف تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث، وأيضاً الجامع المعد في جزئين ، وأحمد بن قاسم بن عبدالرحمن المعروف بالقباب (ت778هـ/ 1376م) ، والذى كان له مجلس كبير في الحديث، حضره لسان الدين بن الخطيب، ويحى بن أحمد السراج (ت805هـ/ 1402م)، والذي كان فقيهاً محدثاً مكثراً في الرواية ، ولقد ألفت العديد من الكتب في هذا المجال – علم الحديث– ككتاب المحاكمة بين مسلم والبخاري، له تعليق على البخاري لأحمد بن زروق، وتجديد الصحاح الثلاثة لأبن عبدالله الكرسبوطي الفاسي المولود في سنة (690هـ/ 1290م) [4] ،وشرح الموطأ للزناتي (ت702هـ/ 1302م)، وكتاب السنن الآبيين والمورد المعنن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السند المفتن لأبن رشيد الفهري ، وإبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب أبوإسحاق القاضي، قرأ الروايات على عدد من علماء سبته، وسمع الحديث الشريف عن أبي عبدالله الأزدي، وله تصانيف منها شرح الجمل ، أبوالحسن الصغير برع في علم الحديث وهو صاحب شرح المدونة[5].

(1) الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص 191.
(2) عبدالله كنون، النبوغ المغربي،ج1، ص 193.
(3) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 180.
(4) أبوعبدالله محمد بن القاسم بن محمد السبتي، اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار تح، عبدالوهاب بن منصور،ط2، (د.ن)، الرباط،المملكة المغربية، 1983م، ص18؛ عبدالله كنون، النبوغ المغربي،ج1، ص 215-216..
(5) مجهول المؤلف الاسم، بلغة الأمنية، ص30.

2-علم الفقه: -

هو "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والجواز والندب والكراهة والإباحة، وهو متلقاه من الكتاب والسنة"[1].لقي علم الفقه في العصر المريني تقدماً كبيراً، يدل على ذلك كثرة الفقهاء الذين نبغوا وتفوقوا فيه في هذا العصر ، والمؤلفات الكثيرة التي ألفت في مختلف فروع الفقه، ويرجع السبب في نهضة الفقه بالعصر المريني إلى ماتعرض له الفقهاء، وعلماء الفقه من الضغط واضطهادهم في العصر الموحدي، الأمر الذي دعا الفقهاء إلى معاودة نشاطهم بقوة كبيرة في العصر المريني، خاصة وإن الفقهاء أضحت لهم المكانة بالبلاط المريني، وفي مجالس العلم التي كانت تعقد في هذا البلاط، كما تولى الفقهاء أرفع المناصب بالدولة في مجالات منها القضاء والخطابة والإفتاء، ولذلك امتازت كتاباتهم بكثرة الجمع والتحصيل، وحسن التصرف والتعليل . وقد أستعاد المذهب المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين، الذين صادروا معظم كتب ومؤلفات هذا المذهب وحرقوها وكان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب، وقد وطدت الدولة دعائمه، مما أدى إلى انتشاره بصورة كبيرة بالمغرب، وقد أتخذ أهل المغرب مذهب مالك، لأن بيئتهم أقرب إلى أهل الحجازمن حيثالبداوة بينهم [2].

وبالرغم من ذلك فقد ظهرت تيارات مخالفة لمذهب مالك، وصفت بالاجتهاد أو نسبت إلى الظاهرية، الذي يأخذ بظاهرة لفظ القرآن والحديث وله أثر في تنمية أصول الفقه وتوسعها وأصحاب هذا المذهب ينكرون الرأي والاستنتاج، وقد أتخذه الموحدين أحد مذاهبهم المهمة وترأسه بالمغرب والأندلس علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ/ 1063م) [3]، وهناك من أتبع المذهب الظاهري وتعصب له، نذكر على سبيل المثال محمد بن رشيد الفهري، وموسى محمد الأشجعي البلذوري،الذي كان على المذهب الظاهري و رحل إلى مراكش (ت697هـ/ 1297م)، ومحمد بن محمد الابن

(1) إبن خلدون، المقدمة، ص 445.
(2) محمد بن أيوب بن غالب، نص، أندلس جديد من كتاب فرحة الأنفس من تاريخ الأندلس تح، لطفي عبدالبديع، مطبعة مصر مساهمة مصرية، مصر، 1956م، ص26.
(3) المراكشي، المعجب، ص 71؛ المقرئ، نفح الطيب،ج2، ص77.

أحمد المقري المعروف (بالمقري الكبير) (ت750هـ/ 1349م)،وأحمد بن قاسم بن عبدالرحمن الجذامي الذي عرف (بالقباب)،(ت 778هـ/ 1376م)، وكانت له مجالسه في الفقه والأصول، وأخذ عنه الفقه جماعة من حلة العلماء كالشاطبي، ومن مؤلفاته، اختصار أحكام النظر لأبن العطاف، وشرح على قواعد عياض وشرح على بيوع إبن جماعة وكان فكر القباب مثاراً لتأليف بعض الكتب فألف العقبان لب اللباب في مناظرات القباب [1].

وقد عرف على هذا العصر الكثير من المصنفات الفقهية التي درسها وتناولها شيوخ هذا العصر منها:- **المدونة:** لسحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، يكنى أباسعيد، ولد في سنة (160هـ/ 776م)[2]،وكان فقيهاً صالحاً زاهداً ذا علم ومعرفة من أهل القيروان، وأصله من الشام قدم مع أبوه إلى المغرب في جند حمص، أخد سحنون العلم بالقيروان عن مشايخها البهلول بن راشد، وعلي بن زياد، وأبي حسان البجصي، ومعاوية الصمادحي، ثم رحل إلى المدينة المنورة في حياة مالك بن أنس، وكان سحنون حافظاً للعلم، (240هـ/ 585م)، والمدونة معتمدة أساساً عن الأسدية المنسوبة لأسد بن الفرات (ت 213هـ/ 828م)[3]، فقد سأل أسد بن الفرات الإمام عبدالرحمن بن القاسم الحنفي (ت 191هـ/ 1806م)، في مصر أسئلة فأجابه وفق المذهب المالكي فسجل أسد بن الفرات تلك الإجابات مع أسئلتها، فتكونت له مادة عرفت بالأسدية، وأن أسد بن الفرات لم يسمح لسحنون بمشاهدة كتاب الأسدية، فرحل سحنون إلى المشرق ليلتقي بعبدالرحمن بن القاسم من أسد بن الفرات أن يأخذ بكتاب سحنون فعظم على أسد بن الفرات ذلك فترك الناس كتابه وأخذوا بمدونة سحنون بالرغم مافيها من اختلاط في الأبواب، فسميت حينها بالمدونة أو المختلطة ،وأختصر أبي محمد عبدالله بن أبى زيد عبدالرحمن القيرواني المدونة والمختلطة في كتابة المسمى بالمختصر(ت386هـ/ 966م)، ولخص مختصر أبي زيد القيرواني المتضمن المدونة والمختلطة أبي القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي إبن سعيد البرادعي، من فقهاء

(1) إبن القاضي، جذوة الأقتباس، ص 60.
(2) أبوالعباس أحمد محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ج3، المعهد الخليفى للأبحاث المغربية، مطبعة فضالة،(د.ت) 1939م، ص 25.
(3) أحمد بن محمد بن تميم أبوالعرب، طبقات علماء إفريقية وتونس تح، علي الشامي ونعيم حسن الباجي، الدار التونسية، تونس، 1968م، ص 184-187.

القيروان في كتابه المسمى التهذيب، وأعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ماسواه (ت 400هـ/ 1004م)، وقد عرفت البلاد العديد من المصنفات الفقهية الأخرى كالبيان والتحصيل والمقدمات لأبن رشد الجد (ت 250هـ/ 1126م)[1]، وقد أشتهر بتدريسها على ذلك العصر سليمان الونشريسي، ودأب العلماء على دراسة المدونة، واشتهروا بتدريسها وشرحها ، فمنهم عبدالرحمن بن عفان الجزولي (ت741هـ/ 1341م)[2]، وإبراهيم التسولي التازي (ت749هـ/1349م) ، ومحمد بن سليمان السطي (ت 749هـ/ 1349م)، ومن المغاربة الذين نقلوا مذهب مالك إلى المغرب، وهم علي بن زياد (ت183هـ/ 799م)، والبهلول بن راشد (ت183هـ/ 799م)، وعلي بن زياد التونسي ، من أهل القيروان، أدخل الموطأ إلى المغرب، وفسر لهم أقوال مالك إبن أنس، وإذا أختلف أهل المغرب بشئ كتبوا إليه بأعلم الصواب[3]،وقد عرفت ظاهرة المختصرات بالمغرب، وصرف العلماء همهم إلى التلخيصاتوالاختصار وأبرز نصراء الاختصارات أبو العباس بن البنا المراكشي (ت723هـ/ 1323م)، وكان من أهل الفقه أخذه من أستاذه ناصر الدين المشدالي الذي أتى إلى المغرب بالمختصر الفقهي لأبن الحاجب، وصار داعية له، وقد عاب كبار علماء الفقه في الدولة المرينيية، إذ كانوا يعيبون طريقة المختصرات التي حرص على وضعها بعض العلماء الفقهاء ، وبخاصة في ميدان الفقه، وقد عارضها هؤلاء العلماء معارضة كبيرة، وكان القباب يرى أن إبن بشير، وابن شاش، وابن الحاجب، أفسدوا الفقه بما ألفوه من مختصرات في هذا العلم، وقد عبر عن هذا القباب حين لقي إبن عرفة في تونس وعرض إبن عرفة على القباب مختصره الفقهي، فقال له القباب " تأليفك هذا لأنفع به للمبتدئ لصعوبته ولايحتاج إليه الشهير" [4]، وكان ذلك لاعتراض سبباً في أن إبن عرفة أخذ في بسط عبارته في أخر مختصرة، وكذلك الاعتراض اليزناسني، وهو الفقيه الكبير على إبن شاس ، حين استشاره إبن شاس في وضع مختصره الذي سماه (الجواهر)، فأشار عليه اليزناسني

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 450؛ المقري إزهار الرياض، ج3، ص 25.
(2) ابن القاضي، جذوة الأقتباس، ج2، ص ص 516-517-401.
(3) القاضي عياض، ترتيب المدارك ،ج1، ص 126.
(4) ابن القاضي، جذوة الأقتباس،ص ص 60- 192- 193.

ألا يفعل، ولكن إبن شاس، مضى في تأليف مختصره ولم يعمل بإشارة اليزناسني ومن أبرز العلماء بعلم الفقه في ذلك العصر ، الفقيه أبوالحسن علي بن أبى عبدالله محمد بن عبدالكريم، الحدودي له اجتهادات[1]، وألفه محمد بن إبراهيم بن محمد السبتي المالكي أبو الطيب كان فقيهاً مالكياً أخذ عن أبي الربيع وابن دقيق العيد ،والفقيه محمد بن أبي الصبر، والفقيه إبراهيم بن عبدالرحمن التلمساني نزيل فاس(ت 997هـ/ 1297م) [2]، والفقيه موسى بن أبي والفقيه المالكي بمدينة فاس مصباح بن عبدالله الياصولتى (ت 705هـ/ 1305م)، والفقيه أبوعمران الزناتي قرأ المدونة- يقصد بها هنا التهذيب للبرادعي- ومجموعة من فنون العلم (ت708هـ/ 1308م)، وأبو غالب محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن علي المغيلي الفاسي(ت 708هـ/ 1308م)، والفقيه أبو علي صالح بن عبدالحليم نزيل نفيس (ت 712هـ/ 1312م)[3]، والفقيه أبوطالب عبدالله محمد العزفي، والفقيه محمد بن محمد بن أبي بكر التسولي (ت 716هـ/ 1316م) بفاس، والفقيه أبوالحسن الصغير له فتاوي على تلامذته في الفقه، ومن فتاواه "التقيد على المدونة" ، والفقيه محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغيلي ، وأخذ الفقه عن خليل المراغي وعبدالعزيز الحرّاني ومحمد بن عبدالمنعم وأحمد بن عبدالله الجزائري، وقد أجازوا له في سنة (684هـ/ 1284م)، والفقيه أبوعبدالله رشيد المغيلي، والفقيه أبوالعباس القشتالي وأبو العباس الحميشي والفقيه إبن رشيد الفهري، والفقيه محمد بن وارياش[4].

1-علم الفرائض: -

وهو معرفة فروض الوراثة، وتصحيح سهام الفريضة مما يصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها، وهذا الإصلاح ناشئ للفقهاء مشتق من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع، وهو علم إباحة أطوال قسمة التركة على مستحقيها على فروض مقدرة في كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ ، ودراسة الفرائض بالمغرب مطابقاً لقواعد

(1) أبوالعباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب أبن القنفد القسنطيني، أنيس الفقير وعز الحقير،تح، محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م، ص 68؛ التازي، جامع القرويين،ج2، ص 482.

(2) أبوالعباس أحمد بابا أبن أحمد بن عمر بن محمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج تح، عبدالحفيظ عبدالله الهرامة، ج1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1989م، ص 53.

(3) مجهول المؤلف، نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى نخبة من أخبار البربر،ج1، تح، ليفني بروفنسال، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934م، ص 66.

(4) الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص 103؛ ابن القاضي؛ درة الحجال، ج2، ص 107.

مذهب الإمام مالك وتعلم الحساب والتعمق به من الأجل الوصول إلى المسائل المستعصية في الميراث والحاجة لمعرفة أوقات الصلاة وشهور السنة، وخصوصاً رمضان، ومن بين العلماء الذين برزوا بعلم الفرائض في ذلك العصر هم: أبوإسحاق إبراهيم بن أبى بكر عبدالله موسى الأنصاري التلمساني المالكي المولود في سنة (609هـ/ 1212م)، وأنتقل مع أبيه إلى الأندلس وبقى في غرناطة ثلاثة أعوام، ثم إلى مالقة وقرأ معظم قراءته وأخيراً أنتقل إلى سبته وتزوج من أخت مالك بن المرحل، وكان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط مبرزاً في العدد والفرائض، له مقال في علم الفرائض، وقد نظم في الفرائض، وهو ابن عشرين سنة أرجوزة المشعرات على أوزان العرب(ت 690هـ/ 1290م) بسبته[1]،وبرز مالك بن المرحل الذي نظم الواضحة في الفرائض، والسائب بن عبدالله بن السائب الأنصاري أبو الفجر الطنجي من الزهاد والعباد قرأ عن ابن فرحون الفرائض والحساب (ت718هـ/ 1320م)[2] ، ومحمد بن محمد بن داوود الصنهاجي أبوعبدالله له معلومات من الفرائض والحساب، ومحمد بن على بن البقال، والذي أخذ بتازا علم الفرائض، والعدد عن أبي عبدالله العباس بن مهدي[3].

2-علم التصوف: -

"هو محاسبة النفس على الأفعال و المتروك و الكلام في الأذواق و المتواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاماً ويتبقى منها إلى غيرها"[4]،وهذا المصطلح من المصطلحات المستخدمة في اللغة العربية بعد العصر الإسلامي الأول، ويعرف المنقطع إلى التصوف بالمتصوف، وقد أستخدم لفظ المتصوف والصوفي في بادئ الأمر بمعنى الزاهد الفقير المنقطع إلى الله الملتزم بأحكام الدين، كما يعني بها العبادة والزهد، وهى كلمة مأخوذة من لباس الصوف أو من الصفاء، وهو صفاء النفس أو من الصف الأول للمؤمنين، وهدف التصوف هو البعد عن

(1) أبوعبدالله محمد بن القاسم بن محمد السبتي الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار، تح، ص 18؛ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 55-56.
(2) ابن فرحون، الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، ج1، ص 90.
(3) تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين تح، فؤاد سيد ومحمود محمد الطناجي،(د.ن)، القاهرة،مصر، 1962م، ج4، ص 53-54 .
(4) ابن خلدون، العبر مؤسسة أعلامي،ج1،بيروت،1971م،ص 865.

الدنيا بما فيها من منكوحات ومطعومات، والتحكم في النفس حتى تقضي عن القوى الحسية[1].

ظهرت بالمغرب جماعات صوفية التزمت العمل بالكتاب والسنة، وأشهر هذه الجماعات التي انتشرت طرقهم بالمغرب في هذا العصر أولها أتباع مدرسة أبي مدين شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي الأصل (ت 594هـ/ 1197م)، والثانية وهى طريقة صوفية مغربية لأبي الحسن علي الشاذلي عبدالله بن عبدالجبار من تميم هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن وزرين بن بطال بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن أبى طالب، وهى طريقة صوفية مغربية الذي ولد في جبال غمارة سنة (591هـ/ 1195م)، القريبة من سبته بالمغرب الأقصى وسكن شاذلية أحدى القرى التونسية (556هـ/ 1258م)، والثالثة طريقة الغماتيون وهم أصحاب أبي عبدالرحمن بن عبدالكريم الهزميري[2]، وقد امتازت هذه المرحلة بمقاومة البدع وظهور موضوعات وكتب ضد البدع أصالة أو استطراد، وأهم تلك الكتب التي ظهرت كتاب البدع لأبي الحسن الصغير وقد عرف المغرب عدداً من الزهاد والعباد ، منهم عبدالله بن عبدالحق السوسي أبو محمد وهو من الشيوخ الصالحين، رحل إلى المشرق، وسكن بمكة (ت 693هـ/ 1295م)، والمتصوف أبوزيد عبدالرحمن الهزميري، مؤسس الطريقة الهزميرية (الأغماتية)، وأبو علي بن صالح عبدالحليم، جاء إلى مدينة نفيس وهو رجل صالح من أهل الكفاف والابتعاد عن أهل الدنيا[3]،ومحمد بن عبدالرحمن بن أحمد الصنهاجي أبوعبدالله عرف بابن الحداد ولد بفاس(641هـ/ 1241م) لزم التصوف وكان يميل إلى طريقة المتصوفين في لباسه وفي عبادته، وأبوالعباس أحمد المطارحي ولد سنة(641هـ/ 1241م)" كان حسن الفقه مليح النزع ممتعاً وقوراً من المتعبدين والزهاد، و كثير الإيثار يحب المساكين، و كثير المطالعة للكتب وخصوصاً كتب التصوف والحديث وكان يحفظ حلية الأولياء، لأبن نعيم الحافظ، سكن في سلا(ت 724هـ/ 1324م)"[4].كما أن الكثير من سلاطين بني

(1) ابن خلدون، المقدمة،ص -385-386.
(2) أحمد عطية الله ،القاموس الإسلامي،مج2،ص470.
(3) ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير،ص64.
(4) ابن القاضي، درة الحجّال،ج2، ص 108؛ المنوني، ورقات، ص 239.

مرين كانوا يزورون قبور هؤلأ المتصوفة تبركاً بهم، فأبو الحسن المريني كان يزور قبر أبي مدين شعيب في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وكما يروى الكتاني أن السلطان أبا العباس أحمد بن أبي سالم، حضر جنازة الصوفي إبن عاشر، ولقي المتصوفة الأحياء تقدير سلاطين بني مرين احترامهم، فكانوا يحفظون لهم مكانتهم ويقدرون لهم دورهم الديني ومكانتهم العلمية والصوفية، ولقد أنتقل السلطان أبوالحسن المريني إلى مدينة أسفي، للقاء الشيخ المتصوف أبي عبدالله الهزمي، ويروي إبن مرزوق هذا اللقاء فيقول:" فلما وصل –أبوالحسن– بموكبه إلى المسجد...ثم لما دخل إلى الصحن والشيخ –الهزمي– على حاله مستنداً إلى القبلة وكان أية وصاحب كرامات ظاهرة وأحوال عجيبة أردت –ابن مرزوق– أن أشير على الشيخ– ياسيدي أوصيني أفدني أدع لي فأوصاه وأفاده ودعا له فقال له –أبوالحسن– ياسيدي هناك تقبل مناماً تلبسه، لحسب البركة مما نتخيره، فقال يا أمير المسلمين هذه الجبة عليا نحو من عشرين عاماً وكأنها لم ينتصف عنها اللباس ومن البعيد أن يبقى من العمر قدر مامر بها وأنا اليوم من الثمانين"[1].والجدير بالذكر أن المتصوفة في العصر المريني تركوا بصماتهم على كثير من جوانب الحياة في المجتمع المريني سواء من الناحية السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية، فكان من بين المتصوفة من تولى منصب القضاء، كالحسن بن عثمان التجاني، ومحمد بن علي الكزولي ومحمد بن أحمد بن بكر بن يحى المقري، الذي كان قاضياً بفاس، وألف في التصوف كتابه المعروف باسم إقامة المريد ورحلة المتبتل، وكتاب الحقائق والرقائق ، ومن المتصوفة من تولى الإمامة والخطابة بالعاصمة فاس، كأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الرندي، الذي كان أماماً وخطيباً بمسجد القرويين ، ومنهم من كان يقوم بمعاونة السلطان فأمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، كمحمد بن موسى الحلفاوي الأشبيلي، الذي استعان به السلطان أبوعنان للضرب على أيدي المعتدين والعابثين ،وقد حسم المتصوفة كثيراً من المسائل التي دار حولها الخلاف بين العلماء في فاس عصر بني مرين، ومن هذا مارواه صاحب سلوة الأنفاس من أن جدلاً عظيماً دار في فاس، وأستمر ثلاثة أيام بين العلماء حول الحوض والصراط أيهما أسبق، فلما سئل في ذلك العالم

(1) إبن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 60-61.

المتصوف أبوزيد الهزميري(ت 706هـ/ 1306م)[1]:" نظر إلى السماء واتسعت عيناه أتساعاً عظيماً، ثم قال الجنة الميزان الحوض الصراط بأصبعه إلى السماء"[2]، وخرج السائل من عنده إلى مجلس العلماء، فإذا المجلس على حاله من الخلاف حول نفس المسألة، فأخبرهم السائل بما قاله الهزميري، فبكى أبوعبدالله البقوري وقال: ليس الخبر كالعيان، والمعروف أن أبازيد الهزميري هو صاحب الطريقة الهزميرية بالمغرب، وكان إبن شاطر وابن البنا العددي كلاهما من تلاميذه وعلى طريقته، ومما يلفت النظر أن العصر المريني ضم عدداً كبيراً من المتصوفة المضلعين في مختلف العلوم المعارف، هؤلأ كان لهم دورهم في خدمة التصوف على أسس صحيحة، كمحمد بن موسى الحلفاوي (ت 758هـ/ 1356م)، الذي كان حافظاً للحديث، ذاكراً للفقه باحثاً في مسائله، ويحى بن السراح (ت 805هـ/ 1402م)، الذي انتهت إليه رئاسة الحديث في وقته، وأحمد بن سعيد الشهير بالجباك (ت 870هـ/ 1465م)، والذي كان فقيهاً متصوفاً شاعراً، نظم كثيراً من قصائد الشعر في التصوف [3].
لانتشار علماء الصوفية في مدن المغرب الأقصى، وتنقلهم بينها، إلى جانب المدارس التي أنشأها المرينيون، فرصة لإذكاء الحركة العلمية والثقافية في المغرب الأقصى – مهد الدولة المرينية– وهذا بدوره فتح السبيل أمام نشر العلم والثقافة في أرياف المغرب الأقصى وبواديه، فأبن عاشر مثلاً (ت 792هـ/ 1389م)، تنقل بين سلا وطنجة وفاس، ومن أشهر الصوفية في العصر المريني الشيخ أبوعبدالله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عياد (ت792هـ/ 1389م)[4]، طلب العلم صغيراً وحفظ القرآن وهو أبن سبع سنين، ثم تعلم العلوم النحوية والادبية والأصولية والفرعية، ثم أخذ بعد ذلك في طريق الصوفية والبحث عن الأسرار الإلهية ومن كلامه:" الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس وفتح باب الأنس بالله الاستحياش من الناس" ، ومن كلامه أيضاً:" من لأزم الكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له

(1) الكتاني، سلوة الأنفاس ،ج2، ص135.
(2) المصدر نفسه،ص45.
(3) المصدر نفسه،ص143، ج3، ص 246-247.
(4) المقري نفح الطيب،ج5، ص ص 341-343-344.

طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص بسره إلى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته"[1].

3-علوم اللغة العربية: -

تقوم العلوم العربية حسب رأي إبن خلدون على أربعة أركان وهى –اللغة– النحو– البيان– الأدب، وقال كذلك أن اللغة " وضعت لبيان الموضوعات اللغوية"[2]، وهي من العلوم التي تبحث في معرفة أشكال أواخر الكلمات المبنية والمعربة فيما يخص ضبطها العربي الصحيح ، وهى علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر ، وهى فتات المضارب والخيام جمعها بساطة البداوة الطبيعية وبدائع التمدن، وقد شهدت الحركة اللغوية على عصر بني مرين نشاطاً، وقد زاد من اهتمام العلماء في العصر المريني بعلوم اللغة، نشاط حركة البحث في العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه وحديث، وشعور العلماء الدارسين لهذه العلوم، بحاجتهم إلى دراسة علوم اللغة، إذ تعتبر هى الأساس لفهم كثير من مسائل هذه العلوم، ولذلك كان معظم العلماء في العصر المريني على صلة كبيرة بالدراسات اللغوية، وأدى هذا بطبيعة الحال لدعم اللغة العربية وتقويم الألسنة في ذلك العصر، وقد واكب العلماء في تلك الفترة دراسة مؤلفات من سبقهم في هذا الجانب – اللغة العربية– ككتاب العين للخليل بن أحمد بن عمر بن نعيم الفراهيدي البصري أبوعبد الرحمن، صاحب العربية له استخراج بالنحو سمى بالفراهيدي نسبة إلى فراهيد وهو أسم جده (175هـ/ 791م)[3]، وكتاب الصحاح للإمام إبن نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي من ماراب أخذ العربية عن خاله الفارابي، وعن السيرافي والفارسي، ودرس في العراق وهو أول من التزم الصحيح، ولهذا سمي كتابه بالصحيح، وهو ما صح من هذه اللغة (ت 393هـ/ 1002م)[4]، وكتاب الفصيح لأحمد بن علي بن ثعلب (ت 191هـ/ 1291م)، وكتاب تحفة المجد الصريح في

---

(1) المقري،نفح الطيب،ج5، ،ص 344.
(2) إبن خلدون، المقدمة، ص 545-548.
(3) السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 557.
(4) أبوزكريا بن أبي بكر محمد بن الحسن إبن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تح، محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والنشر، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر،1957م، ص 122.

شرح كتاب الفصيح لأحمد بن يوسف اللبلي (ت 690هـ/ 1203م)[1]. ومن هؤلاء العلماء أبوجعفر أحمد بن يعقوب بن يحى الفهري اللبلي وكتابه الفصيح، ومحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن الحاج السلمي البلقيعي، أخذ العربية عن الأستاذ الحسين بن أبي الربيع، وأستظهر عنه فصيح ثعلب، وأجاز له وسمع عن القاضي إبن عبدالله بن عياض وأبويعقوب الحساني ، ومالك بن المرحل، الذي نبغ بالعلوم اللسانية، وخاصة علم اللغة نظم اختصار أصلاح المنطق لأبن العربي، ونظم فصيح ثعلب مع شرحه وترتيب الأمثال لأبن عبيد ، وأبوعبدالله بن محمد بن سعيد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ولد بمراكش سنة (634هـ/ 1236م) و (ت 703هـ/ 1303م)، والذي حصل بينه وبين إبن رشيد الفهري تعقيبات في النقد الأدبي، فقد نتقد أبوعبدالملك قصيدتين ، طائية، وميمية، في مثال النعل النبوي لمالك بن المرحل، وقد رد على هذا الانتقاد إبن رشيد الفهري، وخلف إبن عبدالعزيز محمد الغافقي القبتوري الأشبيلي له معرفة باللغة العربية، ومحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن حميش الحجري التلمساني إبن عبدالله، ولد سنة(650هـ/ 1250م) و(ت 708هـ/ 1308م) [2]،وإبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي الأشبيلي السبتي، إذ قرأ الموطأ والشقاء، وقرأ الروايات، ونزل سبته وصار شيخها(ت 715هـ/ 1315م)[3] ، وأبوعبدالله محمد بن محمد المعروف بابن البقال (ت725هـ/ 1324م) ، وأيضاً أبوعبدالله محمد بن الشيخ الكبير ، الذي كان له باع في اللغة، ومحمد بن يحى العبدري المعروف (بالصفي)، كان أستاذاً في اللغة، وأيضاً إبراهيم بن عبدالله المعروف بابن الحاج، ومن مؤلفاته في علوم اللغة، كتاب في التورية على حروف المعجم أكثره مروي بالأسانيد، وثالث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين[4].

(1) محمد جابر التونسي الوادي أش، برنامج الوادي آش، دار المغرب الإسلامي، المملكة المغربية ،ط2، ص 309-310.
(2) السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 271،ج1، ص ص 553-151-201.
(3) أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 173؛إبن القاضي، ذرة الحجال،ج1، ص 176.
(4) الكتاني سلوة الأنفاس،ج2، ص 159.

1-النحو: -

لغة: هو القصد والطريقة[1]، وأصطلاحاً هو العلم الذي تعرف من خلاله تراكيب اللغة في ذلك العصر كتاب سيبويه في النحو لأبن عمرو بن عثمان، الملقب بسيبويه، لأنه كان يحب شم التفاح فلقبوه بسيبويه النحوي البصري (180هـ/ 796م)[2]، وشرح التسهيل لأبن القاسم الشريف، وشرح كتاب سيبويه لأبن رشيد، ونظم فصيح ثعلب لأبن المرحل، والكليات النحوي لأبن البنا العددي ، وكتاب الجمل لأبن القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، صاحب كتاب الجمل نسبة إلى شيخه إبراهيم الزجاجي كان من الأئمة المعروفين بالنحو واللغة والأدب ألف كتاب الجمل في مكة (ت 337هـ/ 948م)، وكتاب الأجرومية لأبن عبدالله محمد بن محمد داوود الصنهاجي الفاسي، المعروف بأجروم نسبة إلى مقدمته الأجرومية في النحو- معناه بلغة الأمازيغ الفقير الصوفي-،ويعتبر إبن أجُرّوم أشهر علماء النحو في العصر المريني وقد وصفه شرح مقدمته كالمكودى، والراعي وغيرهم بالإمامة في النحو ، وقد استفاد منه كثير من العلماء كالسيوطي الذي عرف منه كثيراً من مشاغل النحو، وقد ذكر ذلك صراحة في بغية الوعاة فقال:" وهنا شئ أخر وهو أنا استفدنا من مقدمته- إبن أجروم- أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو لأنه عبر بالخفض مرة وهوعبارتهم وقال: الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب وهو رأيهم"[3]، وقد نقل السيوطي في بغيته عن الراعي ألواناً من العلوم الأخرى التي برع فيها أبن أجروم مثل الفرائض والحساب، وله مصنفات وأراجيز في القراءات، ولكن الغالب عليه معرفة النحو والقراءات، وكان يلقن علومه ومعارفه لأهل فاس (ت723هـ/ 1323م) ، وشرح التسهيل لأبن مالك لمحمد بن هاني اللخمي السبتي (ت733هـ/ 1333م)[4]، والنحوي المحقق محمد بن علي بن حياتي الغرناطي ، (ت781هـ/ 1379م)[5]، والنحوي عبدالله بن أحمد الأموي القرشي العثماني

(1) ابن منظور،لسان العرب المحيط،ج5،ص309..
(2) أبوالقاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، الجمل فيالنحو تح، علي توفيق الحمد، دار الأمل، مؤسسة الرشاد،ب.لا، (د.ن)،1988م ج5، ص 57.
(3) السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 138.
(4) المصدر نفسه ،ج2 ،ص 238-239.
(5) الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار، ص 23.

الأشبيلي، صنف الإيضاح والملخص والقوانين، كلها في النحو، وشرح سيبويه، وشرح الجمل، ولم يشذ عنه مسألة في العربية، أبوإسحاق إبراهيم أبي بكر بن عبدالله بن موسى الأنصاري المقري التلمساني، صنف المشعرات على أوزان العرب وله في النحو، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن يعقوب بن يحى الفهري اللبلي،[1] وأبوالطيب محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر السبتي المالكي النحوي من الأدباء قرأ النحو على بن الربيع وأختصر شرح الإيضاح وسمع عن إبن دقيق العيد ، ومالك بن المرحل الذي نظم أرجوزة في النحو، وله كتاب الرمي بالحصى والضرب بالعصا للرد على بن الربيع النحوي، وعبدالرحمن بن صالح بن علي المكودى (807هـ/ 1404م)، وهو أحد النحويين البارزين بمدينة فاس، وله شرح على ألفية إبن مالك، أجاد فيه غاية الإجادة، وكذلك درس بمدينة فاس، ولهنظم في التصريف، وشرح على مقدمة إبن أجروم[2] ،ومنهم أيضاً الجاديري (ت 818هـ/1415م)، صاحب كتاب المذكر والمؤنث، وخلف بن عبدالعزيز بن محمد الغافقي الأشبيلي، والنحوي محمد بن عبيدة الأنصاري يُكنّى بأبي بكر ، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي الأشبيلي عالم نحوي بسبته، وله كتاب في شرح الجمل، وبحث في قراءة سيبويه ، والنحوي محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي[3].

ولم يقتصر اهتمام العلماء بالعلوم العربية على هذين العلمين فقط، بل شمل الاهتمام أيضاً دراسة علم البيان والعروض، وكان من أبرزهم أبوبكر عبدالله بن موسى الأنصاري التلمساني الذي كان له مقام في العروض، ومالك بن المرحل الذي له أرجوزة في العروض سميت الوسيلة الكبرى، ومحمد بن رشيد الفهري كان متضلعاً بالعروض، ومحمد بن محمد بن البقال، كان له نصيب وافر في علم البيان والعروض[4].

2-الأدب: -علم الأدب: وهو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب، وينقسم إلى قسمين: -

أ-الشعر: -

(1) الكتاني سلوة الأنفاس،ج3، ص 278-279.
(2) ابن القاضي، جذوة الأقتباس، ص 259.
(3) السيوطي، بغية الوعاة، ج1،ص 238-239.
(4) التنبكتي، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، ج2، ص 386؛ كنون، النبوغ المغربي ، ج1، ص 214.

وهو ديوان علم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطاهم[1]، وهو الكلام المعبر عن شعور قائله، وللشعر أغراض منها المدح والهجاء ، والرثاء والفخر والوصف والنسب، وكان للشعراء منزلة خاصة عند السلاطين، ويتجلى ذلك من خلال تقديم المنح والرواتب لهم، فنبغ عدد كبير من الشعراء والأدباء في ظل البلاط المريني، واحتلوا مكانة مرموقة ووظائف كبرى ، فالشاعر أبو القاسم رضوان البرجي، تولى وظيفة الإنشاء بباب السلطان أبي عنان المريني، وأعطى السلطان يعقوب بن عبدالحق الشاعر عبدالعزيز الملزوزي،ألف دينار على قصيدة نظمها وأنشدت بمحضره في يوم عيد الفطر، وأرجوزته المسماة نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك ومن شعر الملزوزي الذي يصف به يوسف بن يعقوب عندما كان أميراً لفتح الجزيرة الخضراء بقوله:

فجاز يوسف إلى الخضراء في إثر ذلك الفتح والسراء
فنضجت الروم بمسارها وبلغت بالخوف منتهاها[2].

وكان الأمير أبومالك– أول ولي عهد لبني مرين– يكافئ الشاعر الملزوزي على أشعاره، حتى أنه أعطاه في يوم خمسمائة دينار وكسوة ، والشاعر مالك بن المرحل شاعر الدولة المرينية والسلطان يوسف بن يعقوب (ت 706هـ/ 1306م)[3]، له أشعار في المدائح النبوية على رأسها الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة، والمشعرات النبوية، والعشريات الزهرية، وقد مدح إبن المرحل السلطان يوسف بن يعقوب بشعر يبين فيه امتداد نسبهم إلى قيس عيلان بن مضر، وله نظم علمي في القراءات والعروض واللغة، والشاعر أحمد بن صابر أبوجعفر القيس المغربي (ت 700هـ/ 1300م)[4]، والشاعر خلف بن عبدالعزيز بن محمد الغافقي القبتوري والشاعر أبوالعباس بن عبدالله محمد بن أحمد بن أبي طالب اللخمي العزفي، وكان ممثلاً للأدب المغربي في نهاية القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري ، وقد تعرض لشعر الخمريات بسبب تأثره بذلك أثناء زيارته للأندلس ، والشاعر محمد بن محمد بن عمر

(1) إبن خلدون، المقدمة ، ص 553-570.
(2) الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك،ص 6؛ الخطيب، الإحاطة،ج4، ص 119.
(3) إبن أبى زرع ، الأنيس المطرب، ص 376؛ زمامة، أبوالوليد بن الأحمر، ص 49.
(4) أبو المحاسن جمال الدين أبي المحاسن يوسف أبن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تح، فهيم محمد شلتون، ج1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة، مصر، 1983م، ص 399.

الحميري بن خميس التلمساني، زار سبته ومدح رؤسائها من بني العزفي، أقام بسبته ومدح أمراءها العزفيين ثم دخل الأندلس، وبعدها أنتقل في كنف الوزير أحمد بن عبدالحكيم، وقد جمع الحميري شعره في ديوان أسماه الدرر النفيس في شعر بن خميس، وعرف به من جزء مطبوع يسمى المنتخب النفيس في شعر بن عبدالله بن خميس ، والشاعر أبوالعباس أحمد بن علي المياني المراكشي، وله شعر يفتخر بثأر أخذه من المصامدة فيقول:

العز ما ضربت عليه بنانــي والفعل ما اشتملت عليه ثيابي
والزهو ما أهول غصن والمسك مايراه نقش كتابــي[1].

والشاعر محمد بن عبدالرحمن أحمد الصنهاجي أبوعبدالله عرف بابن حداد، والشاعر عبدالله بن صالح الكتاني، ومن الشعراء من أوكلت إليه مهمة الرد على الرسائل الشعرية التي كانت توجه إلى السلطان المريني أحياناً من بلاط بني الأحمر في الأندلس، وكان الشعراء في هذه الحالة يدمجون القصائد التي تتضمن الأفكار التي يريد السلطان المريني أن يعبر عنها، ومن ذلك أن إبن الأحمر سلطان غرناطة أرسل قصيدة إلى السلطان يعقوب بن عبدالحق يستعطفه على لسان شاعره أبى بن البرابط يقول فيمطلعها:

هل من معين في الهوى أو منجدي من متهم في الأرض أو من منجد
هذا الهـوى ذاع فهـل مسعـف بأجابـة وأنـابــة أو مسـعـد [2].

كما كان ولاة الأمر في الدولة المرينية، على قدر رفيع من تذوق الأدب والشعر، فأبوعنان المريني، يستقبل الخليلي، الذي قدم سفيراً عن سلطان غرناطة إبن الأحمر، أنشد في حضرة أبي عنان أبياتاً لأبن خفاجة يفتخر فيها ببلاد الأندلس، فقال أبوعنان عن إبن خفاجة" كذب هذا الشاعر– يشير بذلك إلى كونه جعلها (الأندلس) جنة الخلد، وأنه لو خير لاختارها على ما في الآخرة– وهذا خروج من ربقة الدين ، فقال الخليلي : يامولانا الودود الرحيم العطوف يقول: الجنة تحت ظلال السيوف ، فأستحسن منه – أبوعنان– هذا الكلام ، ورفع عن قائل الأبيات الملام، وأجزل

(1) أبوالعباس أحمد بن محمد النميشي، تاريخ الشعر بفاس، مطبعة أندري، فاس، المملكة المغربية ،1943م، ص 19.
(2) إبن خلدون، العبر،ط بولاق، ج7، ص ص 198-199-200.

صلته– الخليلي–"[1].وكان من بين سلاطين بني مرين وأمرائهم شعراء موهوبون ، ينظمون الشعر، وإن كان يغلب على قصائدهم القصر، ومن هؤلاء السلاطين، السلطان أبوالعباس أحمد المريني الذي تولى أمر بني مرين سنة (789هـ/ 1387م)، فهذا السلطان كانت له ميول أدبية وولع بالشعر، ويقول عنه الكتاني:" كان أديباً شاعراً مجيداً مدركاً بديع التشبيه"،[2] ومن شعره:

ياعاذلي دع عنك عذل العادل وأخلع عذارك في الحبيب الواصل
وإذا ذكرت عشية بمحاسن فأذكر عشايانا بدار العادل[3].

كما شغل الأدب أذهان الناس على اختلاف مستوياتهم ووظائفهم في الدولة المرينية، فجلسوا يتحاورون في معنى لفظ أو تشبيه شئوتعددت أغراض الشعر التي تناولها الشعراء في العصر المريني، ومن هذه الأغراض الرثاء ومن الذين برعوا فيه الشاعر أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني، الذي أشتهر بمراثيه العديدة في جاريته صبح، ومن رثائه لها قوله:

ياقبر صُبْح حلّ فيك بمهجتي أسني الأماني
وغدوت بعد عباتها أشهي البقاع إلى العيان
أخشى المنية أنها تقضي مكانك عن مكان
كم بين مقبورة بفاس وقابر بالقيروان[4].

ومن أشهرهم مالك بن المرحل" وكان شاعراً رقيقاً مطبوعاً نافذ الذهن شديد الإدراك قوي العارضة سريع البديهة رشيق الألفاظ حلو الدعابة"،[5] (ت 699هـ/ 1299م)، وكان شاعر المغرب في وقته واستعان على ذلك بالمقاصد اللسانية لغة وبياناً وعربية وعروضاً وحفظاً واطلاعاً له أنظما بديعة وتأليف حسنة منها التوشيحات النبوية على حروف المعجم والتزم افتتاح بيوتها بحروف السروي سماها الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة، ومنها كتاب الفصيح لثعلب وشرحه ، وأوصى مالك بن المرحل أن يكتب على قبره أبيات أربعة هى:

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 681.
(2) الكتاني ، سلوة الأنفاس،ج3،ص166.
(3) مؤلف مجهول الأسم ، الذخيرة السنية، ص 140.
(4) إبن الخطيب، الأحاطة في أخبار غرناطة، ص 272-275.
(5) الكتاني، سلوة الأنفاس ، ج3 ، ص 99.

زُر غـريباً بمـغرب نـــازحاً مالـــه ولـــى
تركـــوه مـــوسداً بيـــن تـــرب وجنـدل
ولتقـل عنـد قبـره بلســـان التـــزلـل
رحـــم اللـه عبـــده مـــالك بـــن المـرحل[1].

كما لمع في البلاط المريني عدد كبير من الشعراء الأندلسيين، الذين وفدوا إلى هذا البلاط وشغلوا فيه–بفضل ما تمتعوا به من ملكات أدبية وشعرية–أرقى مناصب الدولة، وقد رحل بعض هؤلاء الشعراء إلى المشرق، فجمعوا في أسلوبهم بين رقة المشارقة، وجزالة المغاربة، ومن هؤلاء الشعراء إبن الحاج النميري الغرناطي، له قصيدة تحوي على خمسة وثلاثين بيتاً، يهنئ فيها الشاعر السلطان أبا عنان عند شفائه من مرض ألم به، ومنهم أبوالقاسم بن رضوان النجاري، الذي تولى وظيفة الإنشاء بباب السلطان أبي عنان المريني[2].

يعد لسان الدين بن الخطيب أشهر هؤلاء الشعراء الأندلسيين، الذين عاشوا أمداً طويلاً، بين ربوع الدولة المرينية، وكانت قريحة ابن الخطيب تتجاوب مع الأحداث والمناسبات التي تمر بها الدولة المرينية ، ومن ذلك نونيته المشهورة، وهى قصيدة طويلة، مدح فيها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان والقصيدة تزيد على مئة بيت يقول في مطلعها:

أطاع لساني في مديحك أحساني وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان[3].

وأخيراً فقد كان هؤلاء الشعراء المغاربة الأندلسيون وغيرهم سبباً في دفع الحركة الأدبية، وخلق جيل من الشعراء المغاربة، بما أوجدوه في الدولة المرينية من حيوية في مجال الشعر.

ب–النثر:

(1) المقري، نفح الطيب، ج7، ص 108-121.
(2) المصدر نفسه،ج7، ص 106-112.
(3) المصدر نفسه،ج5، ص ص 32-37-40.

النثر: هو كلام غير موزون وقد يكون فيه سجع، ويقصد بالسجع هذا أتفاق أخر الحرف في القطعة النثرية، وهو يشبه القافية في الشعر ومنه المرسل الذي يطلق على الكلام اصطلاحاً ولا يطلع أجزاء بل يرسل في عناية دون تقيد بما فيه [1].

ومن النماذج النثرية التي نستشهد بها الخطبة التي ألقاها السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/ 1286-1306م)، عندما تولى السلطة ليزيد من حماس شعبه تجاهه [2]، أما في مجال الكتابة فقد أستخدم السلاطين أبرز الكتاب في الرسائل التي كانت تداول بين السلاطين والملوك والولاة وغيرها، وبرز في ذلك العصر عدد من الأدباء الذين اشتهروا بهذا النوع الأدبي فمنهم: مالك بن المرحل الذي كانت له مؤلفات منثورة ، أبوبكر محمد بن سيرين الجذامي السبتي، والذي كان حياً سنة (704هـ/ 1304م)، وقال فيه التجاني" أحسن من النظم والنثر طريقاً" [3]، وخلف بن عبدالعزيز بن محمد الغافقي القبتوري الأشبيلي الذي كان له شأن في التراحيل،ومن الفنون الأدبية الأخرى التي عرفها العصر المريني فن المقامات، ومنها مقامة الافتخار بين العشر الجوار، لعبدالمهيمن الحضرمي، كما ارتقى فن الخطابة، وقد مارسه الكثير من سلاطين بني مرين، خاصة في خطبهم التي كانوا يوجهونها إلى جنودهم، قبل بدء القتال ، ومن تلك الخطب، خطبة أبي يعقوب يوسف المريني، قبل إحدى معاركه الكبرى بالأندلس، يقول فيها :"يامعشر المسلمين ، وعصابة المجاهدين: إن هذا يوم عظيم ، ومشهد جسيم، ألا وأن الجنة قد منحت لكم أبوابها وزيدت أترابها فخذوا في طلابها، فإن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين، في جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات شهيداً، ومن عاش عاش غانماً مأجوراً حميداً، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"[4] ، ومن نماذج الخطابة في العصر المريني الخطب الدينية التي كانت تلقي في المواسم الدينية، وأيام الجُمع، والأعياد، ولأبن عباد الرندي مدونة، تحفل ببعض الخطب، كان الخطباء في العصر المريني يحرصون على قراءة ما

(1) إبن خلدون، المقدمة، ص 497.
(2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس،(د.ن)، القاهرة، 1980م،ص 386.
(3) أبومحمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني من سنة 706هـ إلى سنة 708هـ، تح، حسن حسني عبدالوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1958م، ص 164-165.
(4) عبد الله كنون النبوغ المغربي،ج2، ص 36-37،175.

يتعلق منها بالمولد النبوي ومواسم الأعياد بوجود السلطان المريني تبركاً بها، ، كما كان هناك من فنون النثر المناظرات، ومن أمثلتها، المناظرة التي كانت بين مالك بن المرحل وابن أبي الربيع النحوي، حول لفظة وقعت في شعر مالك بن المرحل وهى لفظة " كان ماذا" وأنكرها عليه إبن أبى الربيع[1].

(1) المقري، نفح الطيب، ج5 ص 349-350.

المبحث الثالث

العلوم العقلية وتطورها

ثانياً:العلوم العقلية: –

يطلق عليها إبن خلدون العلوم الحكيمة وهى: "تلك العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره و مداركه البشرية"[1]، وهي العلوم التي تتطلب جهداً فكرياً نظراً لاعتمادها على العقل، واهتمامها بالبحث والنقاش والاختراع والاستكشاف[2].

1ـ علم الحساب (الرياضيات): ــ

هو "صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق"[3]، وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات المخصوصة، والمراد بالاستخراج معرفة كمياتها ، وقد أمتاز العصر المريني بنشاط واسع بعلم الحساب والعلوم المرتبطة به كعلم التوقيت والفرائض، ومن أهم العوامل التي ساعدت على النهوض بهذا العلم، هو حاجة الدولة إلى ضبط أحكامها وموردها ومصاريفها واستخلاص ضرائبها، وكل ذلك يحتاج إلى دراية في علم الحساب على أن أهم عامل هو حاجة الناس لتطبيق تعاليم الإسلام أي معرفة دقيقة بأوقات الصلاة والصيام والحاجة لمعرفة ما أوجبه الله بما يتعلق بنظام الإرث وتوزيعه، وكما يشهد بذلك النشاط الصناعي وحركة البناء والتعمير الكبرى التي كانت في أيام المرينيين، إذ هي تمثل الجانب التطبيقي لهذا العلم، حيث تقدمت في هذا العصر الآلات والأجهزة العلمية كالإسطرلاب والساعات، وهذه الآلات والأجهزة اعتمدت كثيراً على علم جر الأثقال أو الميكانيكا [4] ، ومن علماء هذا العلم – الرياضيات– البارزين في العصر المريني، إبراهيم بن أبي بكر بن عبدالله بن موسى الأنصاري التلمساني ، ومحمد بن علي بن عبدالله بن الحاج (ت 714هـ/ 1314م)، وهو من الوافدين إلى فاس من أشبيلية، برع في الحيل الهندسية، ونقل الأجرام، ورفع الأثقال، ونظراً لما يتمتع به من علم وبراعة في الرياضيات والهندسة، فقد أشرف على بناء دار الصناعة البحرية في مدينة سلا[5] ، ومن علماء الرياضيات أيضاً محمد

(1) إبن خلدون المقدمة، ص 400.
(2) محمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، ص 191.
(3) إبن خلدون، المقدمة،ص483.
(4) عثمان الكعاك، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، معهد الدراسات العربية العليا،القاهرة،1965م ص 92.
(5) إبن القاضي ،جذوة الأقتباس، ص 180.

بن الشيخ الكبير، الذي برع في علم الحساب وكذلك إبن البنا المراكشي العددي (ت723هـ/ 1323م)، أخذ علم الحساب عن أبي محمد عبدالله المعروف بابن حجلة ، وأظهر إبن البنا تفوقاً على من سبقه من علماء الرياضة، وخاصة في حساب الكسور، واستعمال الأرقام الهندسية، وقد ألف أربعة وسبعون مؤلفاً من المصنفات في الرياضة ، أخذ هذا العلم عن مشايخ أجلا منهم أبوعمران الزناتي، وأبوالحسن المغيلي، وأبو الوليد، وأبو محمد القشتالي، وعبدالرحمن الهزميري ، ومن قضاة الجماعة بفاس أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم التجيبي، ويعقوب بن عبدالرحمن الجزولي المكناسي ، وأبو عبدالله محمد بن سعيد بن عبدالملك المراكشي[1]، ومن مؤلفات إبن البنا المراكشي في علم الحساب كتاب تلخيص أعمال الحساب، وهو من أبرز مؤلفاته، وقد عُدّ بمثابة منهج للتعليم في المغرب حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي لبساطته وغناء مادته ففيه بحوث عن الكسور وقواعد جمع مربعات الأعداد ومكعباتها، ومن كتبه أيضاً كتاب التقدير والتفسير في قواعد التكسير، ومسائل في العدد التام والناقص، ومقالات في الحساب، وبحث في الأعداد الصحيحة والكسور والجذور والتناسب ورسالة في المساحات ورسالة في الجذور الصم وجمعها وطرحها ، وكتاب الحصار الصغير، فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مأخوذ على المبدأ بمافيه من البراهين الوثيقة المباني، وإنما جاء الاستنتاج من طريق البرهان ببيان علوم التعليم، لأن مسائلها وأعمالها واضحة كلها وإذا قصد شرحها فإنما هو إعطاء العلل في تلك الأعمال ، ومحمد بن علي بن البقال، الذي أخذ علم الحساب عن أبي عبدالله العباس بن مهدي بتازا [2].

(1) إبن القاضي، درة الحجّال،ج1، ص 14؛ محمد بن عبدالله المبارك الفتحي المراكشي، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضارة المراكشية، مطبعة دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، (د.ت)، ص 28.
(2) التنبكتي،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ج2،ص386.

1-علم الفلك (الهيئة والتنجيم): -

هو علم ينظر في الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك، لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية[1].

وقد كان الاهتمام بعلوم الفلك الأمور متعددة تتعلق بالجانب الديني لمعرفة المناسبات الدينية وأوقات صلاتهم، ومنها مايتعلق بالجانب الاقتصادي لمعرفة أوقات الزراعة، ظهر في العصر المريني عدد من العلماء الذين اهتموا بدراسة هذا العلم ومنهم على سبيل المثال، إبن البنا العددي ، حيث كان ينظر في أحكام النجوم، وعلم الهيئة، ومؤلفاته تشهد على ذلك، ومن هذه المؤلفات تنبه المفهوم على مدارك العلوم، والمستطيل في بيان أحكام النجوم، والمدخل في علوم النجوم، ومنهاج الطالب في تعديل الكواكب، وقانون في ترحيل الشمس ورسالة في كروية الأرض والمناخ في رؤية الأهلية والرد على من قال، إن وقت العصر بعلم وقوع قرص الشمس بصر النائم مقابلاً الدقاق في فصول السنة ومداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية، ومقالة في علم الإسطرلاب ، وكلام على الطلاسم، وكلام على الزجر والفال والكهانة، وكلام على خط الرمل ورسالة من الفرق بين الخوارق الثلاثة- المعجزة والكرامة والسحر-، وعنوان الدليل في رسم خط التنزيل، وقد استفاد في ذلك من خلال معرفته بعلم الكيمياء [2].ومن علماء الفلك في العصر المريني عبدالرحمن بن محمد الجاديري (ت 818هـ/ 1415م)، والذي تفوق في جميع العديد من المهارات المتعددة، من العمل بآلة الإسطرلاب وبربع الدائرة، والعمل بالحساب والجداول، وله مؤلفات جغرافية منها تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، وروضة الأزهار فى علم وقتي الليل والنهار[3].

2-علم الهندسة: -

هو "النظر في المقادير أما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وأما المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزواياه مثل

(1) إبن خلدون،المقدمة ،ص489.
(2) المصدر نفسه، نقس الصفحة ؛ محمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، ص 108-109.
(3) الكتاني سلوة الأنفاس،ج2، ص 157- 158.

قائمتين، ومثل أن كل خطين متقطعين في الزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان"[1]، نشطت العلوم الهندسية في العصر المريني ، بسبب حركة التشييد والبناء في ذلك العصر فبنوا بعض الآلات الهندسية المستخدمة في فن البناء وقد امتاز هذا الفن في العصر المريني باستعماله الطابية والأجر والحجر غير المنحوت والنقش على الخشب والجبس والأذهان البديعة والشماسات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج،عرفت فاس نشاطاً معمارياً كبيراً جداً،حيث أصبح ثمن الدار بفاس ألف دينار ذهبية ، ولو أخدنا المدارس كنموذج هندسي في العصر المريني ،لوجدنا أن هذه المدارس تحفة فنية مدهشة من حيث عمارتها وأسلوب بنائها ،فمدرسة الصفارين التي بناها السلطان المريني أبويوسف بن يعقوب سنة 668هـ/1270م ، وضع تخطيطها وتصميمها على أساس تقرير رفعه إليه أحد القضاة المغاربة في العصر المريني كان يتم وفق خطط ودراسات معدة مسبقاً،كما يدل على اهتمام السلطان المريني المذكور بهندسة البناء وأشهر مهندس في تلك الفترة محمد بن علي بن عبدالله الأشبيلي الأندلسي ، وأبوالطيب محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر السبتي المالكي له معرفة بالهندسة ، والحسين بن رشيق الثعالبي أشتهر بأنه صنع شكلاً مستديراً لسفرة الشطرنج (ت 696هـ/ 1296م) [2]، وابن البنا المراكشي الذي كان له مؤلفات في هذا الجانب منها رسالة في المساحات، وكتاب التعديل والتفسير وقواعد التكسير[3]،و محمد بن مرزوق(ت842هـ/1438م)، والذي تتلمذ على يده محمد بن محمد بن أبي القسم البحائي المشدالي(ت 864هـ/1459م) [4].

4 ـ الطـب: –

هو " صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحه فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن "[5].

(1) إبن خلدون، المقدمة، ص 485.
(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص6.
(3) مؤلف مجهول الأسم، بلغة الأمنية، ص 22.
(4) إبن خلدون، المقدمة، ص 493.
(5) المصدر نفسه،المقدمة،ص493..

هو من العلوم التي لقيت اهتماماً كبيراً، من المرينيين، ويتضح ذلك من خلال بناء المارستانات لعلاج المرضى، فاحتاجوا إلى أطباء لعلاج المرضى وتتبع الحالة الصحية لكل نزلاء المارستان ،وكان في جامع القرويين كرسي لتدريس الطب تخرجوا منه محمد بن غازي (ت971هـ/1431م)،والذي أخد فيه الطب عن العالم محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي المعروف بالحاج عزوز ،ووصف بأنه كان نابغة في الطب وأخد عنه أيضاً محمد بن قاسم بن محمد بن قوري اللخمي (872هـ/1467م)،الذي وصف بأنه كان مجيداً، ومن الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب في ذلك العصر أيضاً، الطبيب سعيد بن عبدالله محمد بن عبدالحكيم الزواوي المليانى ، والوزير الطبيب محمد بن الغليظ الأشبيلي ، وأحمد بن علي المليانى ، والطبيب أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف بإبن شعيب (ت749هـ/ 1348م)،الذي تتلمذ على يد يعقوب الدرّاس بتونس ، فأخذ عنه الطب والهيئة، وسافر إلى غرناطة، وهناك قام بدراسة عن تغيير الأدوية المنفردة ، ومحمد بن يحى بن عبدالله بن محمد بن أحمد العزفي (ت 768هـ/ 1366م)، وكان له اختصاص نظر في الطب ودون فيه [1] ، ومن الأندلسيين الذين عملوا بالطب في العاصمة المرينية فاس، محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي، رحل هذا الطبيب إلى فاس، حيث تولى بها، الأشراف على المارستان، وكان ذلك في ربيع الثاني سنة (754هـ/ 1353م)، في عهد السلطان أبي عنان المريني ومن المؤلفات الطبية المشهورة في العصر المريني، الكتاب الذي ألفه إبن الخطيب وعنوانه عمل من طب لمن حب، وهو مؤلف طبي كبير، تناول فيه إبن الخطيب الأمراض المختلفة، مع ذكر أسباب كل مرض، وأعراضه، وطرق علاجه، وتحوطاته، ونظام الغذاء الذي يناسبه، كما يتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها، وذكر إبن الخطيب في مقدمة الكتاب، أنه لم يجد لخدمة أبي سالم أفضل من الطب، فألف له هذا تعبيراً عن حبه هذا السلطان، وكان ذلك سنة (761هـ/ 1359م) [2].

(1) الكتاني سلوة الأنفاس،ج3، ص 277.
(2) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص 515،ج1،ص75-76.

توجد بفاس مارستانات عديدة يسكن بها الغرباء لمدة ثلاثة أيام ،ويوجد عدد من المارستانات أيضاً خارج أبواب المدينة لا تقل جمالاً عن التي بداخلها ،وفيها حجرات مخصصة للمجانين و بيمارستان فرج بفاس ، الذي أنشاؤه السلطان المريني أبويوسف يعقوب بن عبدالحق سنة 685هـ /1294م في سوق الحناء قرب سوق العطارين وترأسه طبيب من بني الأحمر هو فرج الخزرجي سنة 900هـ/1494م،وقد أدخل إليه الموسيقيون يلحنون أمام المرضى وهذا يتنافى مع ما ذكره الوزان بأنهم كانوا يقيدون بالسلاسل والأغلال ، وأن الشخص المكلف بتقديم الطعام ،يحمل معه عصا من أجل أن يضرب أي منهم ،إذا وجد حالة من الهياج لديه وقد أوقف السلطان أبو يعقوب يوسف أوقافًا عديدة لينفق منها على المرضى وعلى ما يسد حاجات ما يتطلبه البيمارستان ،من أدوية وأثاث وخدم ، وفي سنة 766هـ/1364م ، وعمل السلطان أبوعنان فارس المريني (759/749هـ/1359/1348م)،عليه زيادات وتحسينات ومن المارستانات بالمغرب مارستان سلا وسبب إنشائه أنه لما قدم الطيب أبوالعباس أحمد بن عمر بن عاشر الأنصاري(ت764هـ/1265م) ، من الأندلس جعل إقامته بسلا ، وأخذ يعالج المرضى وأشتهر أسمه بسيدي إبن عاشر الطبيب فأنشأ مارستان بسلا وكان هذا الطبيب من الذين تولوا العمل فيه وعرف عصر الدولة المارستانات المتخصصة ، إذ أن السلطان المريني يوسف (656-685هـ/1258-1258م) ، هو الذي بنى المارستان في جنوب المغرب للغرباء والمجانين وأجرى عليه النفقات وجميع ما يحتاج إليه من الاغدية وما يشتهونه من الفواكه ،وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم في أمورهم ومداواتهم وما يصلح أحوالهم وذكر الوزان أنه لم تكد تخلو مدينة من مدن المغرب الأقصى من بيمارستان[1] وخصصت لها الأوقاف الكثيرة لعلاج المرضى وعين الأطباء لمعالجتهم[2] وفي هذا العصر وصل الطب إلي درجة عالية من التقدم ،إذ كان الأطباء في فاس لا يشخصون المرضى ، إلا بعد تحليل دقيق للبول الذي يكشفون منه أشياء كثيرة أخذ بعين الاعتبار سن المريض وجنسه ذكراً أم أنثى ،وإذا كانت

(1) مؤلف مجهول الاسم ،الذخيرة السنية،ص 100؛الوزان،وصف أفريقيا،ج2،ص24.
(2) محمد علي السلوي الدوكالي،الأتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبدالعزيز،ص61.

أنثى هل هى حامل أم لا ويتعرفون على نوع المرضى بالضبط وأسبابه إلى غير ذلك ومن الذين أغنوا الدراسات الطبية أحمد بن حسن بن على بن الخطيب القسطنطيني المعروف بابن قنفد (ت810هـ/1407م)،الذي صنف كتاب أنس الحبيب عن عجز الطبيب وممن أغنى الدراسات الطبية بمؤلفاته الطبيب محمد بن أحمد بن عبدالملك بن محمد الحسيني المصمودي (كان حياً سنة 897هـ/1492م) ، وله كتاب الوافي في التدبير الكافي[1] أما أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزورق (ت899هـ/1493م)،فكان تصنيفه في مجال الأدوية بكتابه الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة وبرامج في الدراسات الطبية وفي مجال صناعة الدواء وإفادة الطلبة بمعارفه والطبيب أبوعبدالله محمد بن مروان المعافري (ت817هـ/1414م)،الذي وصف بالذكاء ورجاحة العقل و كان كثير المخالطة للأطباء ،عارفاً بالعقاقير والأعشاب والنبات ،ويحسن التراكيب ،ولي في أخر أيام حياته أحباس سبته،والاطلاع في كتب الخزانة الموجودة في المسجد العتيق بسبته ،فأنتفع الطلبة مدة نظره بكتبها الطبية بسبب إرشادهم وإفادته لهم[2] ومن الأطباء الذين هاجروا من المغرب الأقصى إلى البلدان الإسلامية الأخرى وعملوا فيها والطبيب محمد الشريف الحسيني الزكراوي الفاسي (ت874هـ/1469م) ،الذي تولى الطب بيمارستان تونس[3]، وممن هاجروا إلى خارج المغرب الإسلامي إلى دمشق ،وقد مهر في الطب إلى درجة أن مهارته مكنته من أن يصبح رئيساً للأطباء في دمشق وكانت هاجر أيضا إلى دمشق الطبيب أحمد بن محمد الشهاب المريني (ت896هـ/1490م)، الذي تولى نيابة النظر بيمارستانها[4].

5ـ علم الكيمياء : –

عرف إبن خلدون علم الكيمياء بأنه "علم ينظر في المادة التي يتم بها تكوين الذهب والفضة بالصناعة"،ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك[5].

([1]) التمبكتي،نيل الابتهاج،ص117؛المراكشي، الأعلام بمن حل،ج2 ص16.

([2]) مجهول،بلغة الامنية،ص55.

([3]) ابن القاضي،جدوة الاقتباس،ج1،ص244.

([4]) شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون ،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح، محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة،القاهرة ،1992،مصر،ج1،ص56.

(5) إبن خلدون ،المقدمة مطبعة دار الأعلمي،ص420.

وتحدث الوزان عن هذا العلم في فاس، وذكر بأن فاس لايعوزها الكيميائيون، لأن هذا العلم لا معقول وباطل وأن المشتغلين به أكثر قذارة، بسبب الكبريت والمواد الأخرى الكريهة الرائجة التي يقومون بتركيبها وأن الكتاب الرئيسي في فاس هو كتاب جابر*[1]، والكيميائيون في العصر المريني صنفين البعض يتابعون البحث على الإكسير أي عن المادة التي تمنح كل معدن لونه أو لكل فلزفي حين ينقطع الآخرون إلى تجارب عن الإكثار عدد المعادن عن طريق اللدائن[2]

وأن هذا الإكسير يلغي الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً إبريزاً، وقد أيد الوزان هذا القول بقوله: "ولكن لاحظت أن الهدف الذي يسعى إليه هؤلاء الناس يقودهم في أكثر الأحيان إلى صنع عملة مزيفة [3]، ولم تزودنا المصادر عن علماء برزوا في علم الكيمياء، في الدولة المرينية، لكن الناصري أشار إلى أحدهم وهو أبوفارس عبدالعزيز بن عبدالحق الحرار(914هـ/1508م)، الذي أشار إلى عمله بالكيمياء[4]

6 ـ الفلسفة والمنطق: –

شهد العصر المريني نشاطاً في علم الفلسفة والمنطق، ولكن الدراسة بعلم المنطق كانت أكثر من الفلسفة ، لأن المشتغلين بالمنطق، لم يلقوا المعارضة، أوالمقت الذي كان يلقاه المشتغلون بالفلسفة، فابن الخطيب يذكر أن أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني، وهو من المشتغلين بالعلوم الفلسفية " مُقت لاشتغاله بعلم الفلسفة"[5] الفلسفة"[5] ، ورغم ذلك كان هناك عدد من المشتغلين بالفلسفة والمؤلفين فيها من أمثال محمد بن سعيد بن محمد النجار الفاسي (ت 778هـ/ 1386م) وهو الذي أختصر المقدمات لابن رشد ، ومن مؤلفاته أيضاً الأسئلة والأجوبة، وأختصار الحدود للشيرازى، ومنهم أيضاً أبن البناء العددي الذي ألف في الفلسفة، مراسم الطريقة في علم الحقيقة، له شرح عليه، والمقالات الأربع [6].

---

(1)*هو جابر بن حيان الكوفي (ت200هـ/815م)،فيلسوف كيميائي له العديد من المؤلفات مثل :أسرار وأحوال الكيمياء،الوزان،وصف أفريقيا،ص 275.3

(2) المصدر نفسه،ص244.

(3) إبن خلدون، المقدمة،ص276.

(4) الناصري،الأستقصا،ج4،ص165.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1،ص515.

(6) إبن القاضي، جذوة الأقتباس، ص ص 76-77-147.

أما المنطق فيلاحظ أن العلماء الذين درسوا المنطق كانوا من هؤلاء العلماء الذين استفادوا منه في دراستهم لعلوم أخرى كالفلك والرياضيات، كابن البناء العددي الذي ترك مؤلفات عديدة في المنطق منها الكليات في المنطق، وشرح عليه، والقوانين، الذي وضعه أبن البناء لأبن القاضي العمراني، والأصول والمقدمات، ومنهم المقري الكبير الذي كان مشاركاً في الأصلين الجدل والمنطق [1].

7 ـ علم التاريخ والسير: –

علم التاريخ لغةً هو " الأعلام بالوقت"[2]، واصطلاحاً: هو معرفة أحوال الأمم من الحوادث والوقائع المختلفة [3] ، و يعرفه ابن خلدون: "هو في ظاهره لا يزيد على الأيام والدول والوقت في القرون الأولى... وفي باطنه نظر وتحقيق ،وتعليل للكائنات ومباديها دقيقة ، وعلم بكيفيات الوقائع ،وأسبابها العميقة[4] ، حظيت دراسة التاريخ في المغرب بشكل عام بالاهتمام ،ومن مظاهر هذا الاهتمام بالمصنفات التاريخية التي مازالت موجودة حتى الآن وصنفت المؤلفات التاريخية بموضوعات متنوعة منها كتب التاريخ العام وتاريخ الدول أو أقاليم لفترة من الزمن وكتب السيرة العامة والسيرة الخاصة تربطهم رابطة ما وكتب التراجم، وفي عصر بني مرين ازدهرت المدرسة التاريخية المرينية بشكل كبير جداً ومما ساعد على هذا الازدهار تشجيع السلاطين المرينيين لكتابة التاريخ ،ويتمثل هذا التشجيع بعمل المؤرخين في بلاط سلاطين هذه الدولة وصنفوا لهم المؤلفات التاريخية، وأهم ما يميز الكتابات بالمغرب على عصر بني مرين محاولات المؤرخين لتسجيل تاريخ المغرب منذ انتشار الإسلام فيه، وأن كتاباتهم لم تقتصر على الوقائع التاريخية فحسب، بل اشتملت على عناصر التأثير في التاريخ الإسلامي وإبراز انجازاتهم الحضارية ، وكان من أهم الكتب التي راجت في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبدالله محمد بن محمد بن سعيد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي، والبيان المغرب، لأبن عذاري المراكشي، والأنيس المطرب بروض القرطاس، لأبن أبي زرع ،

(1) إبن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص ،155؛ الكتاني، سلوة الأنفاس،ج3، ص 272.
(2) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، تح، أحمد باشا تيمور، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1979م، ص ص 6-7.
(3) إبن خلدون، المقدمة، ص 7؛ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 7.
(4) إبن خلدون،المقدمة،ص7.

والجزنئ الذي ألف كتاب زهرة الآس في تاريخ بناء مدينة فاس، ابن خلدون ومؤلفه الشهير العبر وديوان المبتدأ والخبر، ولسان الدين بن الخطيب صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة، وابن مرزوق الخطيب، ومؤلفه عن أبي الحسن المريني، والذي أسماه المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن وقد تهيأ لهؤلاء الثلاثة إبن خلدون، وابن الخطيب، وابن مرزوق، ما لم يتهيأ لغيرهم من المؤرخين، إذ أنهم كانوا على صلة قوية بسلاطين بني مرين والبلاط المريني، ومن ثم كانوا يراقبون أحداث العصر المريني في أيامهم عن كثب، لذا حفلت مؤلفاتهم بكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن الدولة المرينية[1] ، ولقد أهتم السلطان يوسف بن يعقوب أثناء سنوات حكمه الممتد من (685- 706هـ /1286-1306م)، بالأنساب، ويتجلى ذلك واضحاً عندما قدّم المؤرخ أبوالقاسم الملاحي للسلطان يوسف شجرة أنساب المرينيين، وهو محاصر مدينة تلمسان قدم بها عليه وقرأها بين يديه فقال له " أما هذا فقد شكرنا اهتمامك به وحمدنا لك مسعاك، وهذا شئ أن كان على ماقلته، فنرجو النفع به عند الله في العقبى، وأن كان غير ذلك فلا خير لنا في الشك بما فيه مطعن علينا".[2] ، ومن مؤرخي العصر المريني أيضاً إسماعيل بن الأحمر، الذي أوى إلى كنف بني مرين، وتضمنت مؤلفاته كروضة النسرين، والنفحة النسرينية واللمحة المرينية، كثيراً من أخبار بني مرين، كما عاش في العصر المريني، صاحب الحلل الموشية، وصاحب الذخيرة السنية، وابن عبدالملك المراكشي، وهو من كتاب السير والتراجم، وأبي عبدالله الزرعي السبتي، وله مؤلف يقع في أربعين سطراً رتبه على حروف المعجم في أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم، ومن المؤرخين أيضاً إبن القنفد، صاحب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية[3]. ومن المؤرخين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر عبدالله بن موسى الأنصاري، والمؤرخ محمد بن محمد عبدالله تلمساني الأصل أستوطن بسبته حتى وفاته وبها درس التاريخ على يد أبي القاسم العزفي، وقد كان مؤرخاً حافظاً قوي الذاكرة(ت697هـ/ 1297م)، والمؤرخ التازي أبوعلي صالح بن أبي صالح عبدالحليم نزيل نفيس، والمؤرخ العبدري صاحب رحلة العبدري، وابن

(1) محمد بن تاوت، الوافي بالأدب،ج2، ص412.
(2) إبن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 109.
(3) إبن القاضي ،جذوة الأقتباس، ص78.

رشد صاحب رحلة ملء العيبة، وابن بطوطة ورحلته المشهورة، والتي أمر السلطان أبوعنان إبن جزئ الكلبي بتدوينها وصياغتها صياغة أدبية وكانت من أعظم ما كتب في أدب الرحلات[1]، ومن الرواد المؤرخين للحضارة الإسلامية أبوالحسن علي الخزاعي التلمساني، الذي ألف كتاباً عن الحضارة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بعنوان تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحروف والصنائع والمعاملات الشرعية، وفي هذا الكتاب لم يترك أبوالحسن خطة ولا وظيفة ولا مرتبة و صناعة، أو عملاً أخر من أعمال المجتمع الإسلامي إلا وأثبت أصله في الإسلام، ودليله من السنة وعمل الخلفاء الراشدين، وأول من باشر تلك الأعمال من الصحابة، أو ممن ولاه الرسول ﷺ عليها ،والمؤرخ محمد بن أحمد بن عمر أبوعبدالله بن الدارج الأنصار التلمساني من تلمسان، نشأ بسبته وأعانه أبوالقاسم محمد العزفي على طلب العلم فدرس بفاس، ثم أصبح من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب، ومن أثاره الإمتاعوالانتفاع في حالة سماع السماع لاستثارة بالكفاية والغناء في أحكام أهل الغناء والرد على من نقض على المسلمين بتحريم ما أبيح لهم منه في فصالة المسرة والهناء أو في حاله اجتماع أرباب النهج بالسماع يتبعون أحسنه أحسن الأتباع وأولوا الاعتناء، ورتبه على ثلاثة أبواب ويقع في أربعون ورقة ألفه في مدينة فاس فيما بين سنتي (685-688هـ - 1285-1289م)[2].

(1) عبدالله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص 198.
(2) الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار، ص 37.

الفصل الرابع

العلاقات العلمية والثقافية للدولة المرينية.

المبحث الأول: العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية ومصر والمشرق الإسلامي.

المبحث الثاني: العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية والحفصية وبني عبدا لواد ومالي.

المبحث الثالث: العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية والأندلس.

المبحث الأول

العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية ومصر والمشرق الإسلامي.

تمهيد: –

امتازت الدولة المرينية منذ قيامها بالمغرب الأقصى سنة(668هـ/ 1269م)، بعدت ميزات، أهمها الرغبة الملحة الدؤبة لدى العلماء في ارتياد أماكن العلم في أنحاء المغرب الإسلامي، لنزعتهم التعليمية الساعية لتنمية معلوماتهم، والنهوض بمستوياتهم الثقافية والعلمية عن طريق الاتصال بكبار العلماء والفقهاء والشيوخ وقراءة كتبهم، واستنساخ العدد الكبير منها، ورغبتهم في التحقيق العلمي لكتب ظهرت وتحقيق إسنادها، والتمييز بين طرق للتعليم، وكان لهذه العلاقات أثرها الكبير في دعم الدولة المرينية سياسياً وعلمياً وثقافياً وحضارياً، وكانت قوة التأثير والتأثر في هذه النواحي تتوقف على مدى طبيعة العلاقات من حيث قوتها أو ضعفها ، ومن حيث ميلها للصداقة أو العداء، وكانت تلك العلاقات واسعة شملت معظم العالم الإسلامي شرقه وغربه، إذ حرص المرينيون على إظهار مكانتهم الدولية، ففي المشرق كانت للمرينيين علاقات علمية ثقافية وطيدة مع مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، وفي بلاد المغرب كانت لهم علاقة أكثر بالحفصيين وبني عبدالواد، وبلاد السودان الغربي، وبلاد الأندلس، وما فيها من قوى إسلامية تتمثل في بني الأحمر[1] .

أولاً : العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية ومصر والمشرق الإسلامي:

إن منطقة الشمال الأفريقي و المغرب الإسلامي، ترتبط فيما بينها برابط جغرافي واضح ملموس، قد ساعد على تواصلها وتفاعلها، وتوثيق صلاتها وعلاقاتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية [2]، ومن خلال ذلك تطلع سلاطين بني مرين إلى مصر والمشرق الإسلامي، باعتبار أن المغرب امتداد طبيعي لهذه البقاع من العالم الإسلامي، فقد كانت مصر محطاً لأنظارهم، باعتبارها المدخل لبلاد المغرب على جهات المشرق الإسلامي، ومن أجل ذلك سعى هؤلاء السلاطين المرينيون إلى توطيد علاقاتهم بمصر وما يليها من أجزاء المشرق الإسلامي والشام والعراق

(1) محمد عادل إبراهيم، الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين، ص 76.

(2) عمر محمد الثومي الشيباني، وشائج الثقافة الصوفية في شمال إفريقية، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، مراجعة وتقديم، عبدالحميد عبدالله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس، ليبيا، 1429م الرسول، 1998م ،ا، ص111-112.

والجزيرة العربية، وكان ازدهار تلك العلاقات بين المرينيين ومصر والمشرق الإسلامي، مرتبطاً برحلات وقوافل الحج السنوية المنتظمة التي كان يقوم بها مسلمو المغرب إلى الأراضي المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس، لتأدية فريضة الحج أو سنة العمرة أو لزيارة قبر الرسول ﷺ، أو المسجد الأقصى، وكانت هذه الرحلات الدينية بالنسبة لطلبة العلم والعلماء لا تتم فقط بقصد تأدية فريضة الحج أو سنة العمرة وزيارة الأماكن المقدسة، بل كانت تتم بقصد طلب العلم وتعليمه أيضاً، فكان الحاج من طلاب العلم والعلماء المغاربة يمر في طريقه إلى الأراضي المقدسة ببعض المراكز العلمية والتعليمية المختارة له في مناطق المغرب والمشرق الإسلامي، فيقيم بها فترة من الزمن تطول أو تقصر حسب إمكاناته وحاجته، يتلقى فيها العلم على علماء المركز العلمي الذي يمر به، و يعلم ما لديه من علم لطلاب هذا المركز، ويتعرف على ما يوجد في البلد الذي يمر به من علماء، وقد كان لهذه الرحلات فائدة كبيرة في توثيق الصلات والعلاقات العلمية والثقافية بين مناطق المغرب، وبين مناطق المشرق الإسلامي[1].

ولقد ارتبطت هذه العلاقات بحالة الأمن واستقرار الأوضاع السياسية بين بلاد المغرب والمشرق الإسلامي، وفي صدد هذه العلاقات مع مصر، يقول إبن خلدون"...ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد، يعرفون لملوك الترك بمصر حقهم، ويوجبون لهم الفضل والمزية، بما خصهم الله من ضخامة الملك، وشرف الولاية بالمساجد المعظمة، وخدمة الحرمين الشريفين، وكانت المهداة بينهم تتصل بعض الأحيان، ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الأحوال"[2].

وكان سبب عدم الاستقرار، مبرراً لتأخر قيام هذه العلاقات بصفة رسمية حتى سنة (703هـ/ 1303م)، ففي هذه السنة كان السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبدالحق المريني قد استولى على المغرب الأوسط، مهد بني عبدالواد الذين كانوا يعرقلون تقدم القوافل المرينية نحو مصر والمشرق الإسلامي[3].

(1) عمر محمد الثومي ، وشائج الثقافة الصوفية ،ص 115.
(2) ابن خلدون، العبر،ج5، ط بولاق، ص 479.
(3) المصدر نفسه،ج7 ، ص 226

ومن المعروف إن العلاقات المرينية المملوكية *[1]،بدأت في عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحي (ت 741هـ/ 1241م)، الذي كان يعاصره بالمغرب – لأول دولته–أبو يعقوب يوسف بن عبدالحق المريني، الذي ازدهرت العلاقات على عهده بين المغرب والمشرق الإسلامي وخاصة مصر، وأهم هذه العلاقات الثقافية التي قامت بين الدولتين المناسك الدينية، والتي كانت تحمل معها الهدايا الملكية إلى سلاطين مصر مع رسائل للبقاع المقدسة [2].قرر السلطان أبوالحسن المريني أن يقوم بنفسه، بكتابة نسخة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم المكي الشريف[3]، ولما أتم نسخها بيده " جمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها وضع لها وعاء مؤلفاً من الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة المرقوم أديمها بخطوط من الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالاً عينها لشراء البقاع بالمشرق لتكون وقفاً على القراء فيها"[4].وخرجت قافلة الحج المرينية التي تحمل هذا المصحف من تلمسان سنة (738هـ/ 1337م)، وأوفد معها السلطان أبوالحسن كبار رجال دولته وخواص مجلسه مثل عريف بن يحى أمير زغبه – من عرب بن هلال*[5]– وعطية بن مهلهل كبير الخولة، وكاتبه أبى الفضل بن محمد بن أبى مدين، وعريف الوزعة ببابه وصاحب دولته أبو أبن قاسم المزوار[6].

ثم كتب السلطان أبوالحسن نسخة من المصحف، بنفس الطريقة التي كتب بها نسخة الحرم المكي، ووقفها على الحرم المدني في المدينة المنورة، وبعث بها مع

---

(1)*حكم المماليك مصر والشام، وقد أنقسم المماليك الذين حكموا مصر إلى قسمين، مماليك بحرية(648-792 هـ/ 1250-1290م)، وهم المماليك الذين اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب، وبني لهم قلعة في جزيرة الروضة فعرفوا بالمماليك البحرية، لأنهم جاءوا من النيل،والصالحين والنجميين نسبة إلى نجم الدين أيوب، وكذلك بالألفي لأن الصالح نجم الدين أشترى سيف الدين بألف دينار، ومماليك الجراكسة (البرجية)،وأطلق عليهم أسم الجراكسة نسبة إلى أصولهم التي ينتمون أليها وأطلق عليهم البرجية نسبة للقلعة التي وضعوا بها، محي الدين بن عبدالظاهر،تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور تح، مراد كامل، راجعه، محمد علي النجار، دار الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961م، ص 36-37.

(2) التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج2، ص 201.

(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص 264، السلاوي، الأستقصا، ج2، ص 62.

(4) المصدر نفسه،نفس الصفحة.

(5)*وينسب بنو هلال إلى هلال بن عامر من صعصعة بن معاوية بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن نصر بن نزامن نسل هلال للمزيد ينظر إلى النويري شهاب الدين أحمد عبدالوهاب ،نهاية الأرب في فنون الأدب والسفر الثاني ،دار الكتب المؤسسة المصرية للطباعة والشرص ص336-338.

(6)المصدر نفسه، ص 265.

عدد من رجال دولته سنة (740هـ/ 1339م)[1]، وظلت العلاقات الودية قائمة بين أبي الحسن والملك الناصر حتى توفي الملك الناصر سنة (741هـ/ 1340م) [2]، وقد شهد الناصر ملكاً طويلاً، عاصر فيه خمسة من ملوك بني مرين ابتداء من أبي يعقوب يوسف إلى أبي الحسن، ونظراً للفتن الداخلية التي نشأت بين الناصر بعد وفاته، فقد ضعف بسببها الأمن، ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن المريني بعد استيلائه على إفريقية، شرع في كتابة نسخة ثالثة من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس ثم يعود فيقرر أن السلطان لم يكمل هذه النسخة، وأنه توفي قبل الفراغ منها [3]، ولكن ابن الوردي في تتمة المختصر يؤكد، أن المصحف الثالث قد أرسل فعلاً إلى بيت المقدس قبل سنة (748هـ/ 1347م)، وأن أبا الحسن أشترى أملاكاً بعشرة آلاف دينار ووقفها على خزانة وقراء هذا المصحف، وقد وقف ابن الوردي بنفسه على نسخة توقيع بمسامحة الحكومة المصرية لهذه الأوقاف من كافة الضرائب التي تفرض على أمثالها، وهذا التوقيع من أنشاء الشيخ جمال الدين إبن نباته المصري[4]، وقد أكد وجود هذا المصحف ببيت المقدس خلال القرن الحادي عشر الهجري الشيخ أبو العباس المقري، فقد رآه بنفسه ومدح ربعته بأنها في غاية الدقة والصنعة،وكان علماء الدولة المرينية يشعرون أن عليهم أن يغدوا أنفسهم بعلم المشرق، وفي سبيل ذلك رحلوا إلى مصر والمشرق العربي و غيره من المناطق والدول، فقابلوا هناك العلماء في الشام والعراق والجزيرة العربية، ومن هؤلاء أبو عبدالله بن عزوزي الصنهاجي، والذي ينتمي إلى بلدة مكناسة بالمغرب، ورحل للمشرق، وتتلمذ على يد علمائها أمثال أبي عبدالله مرزوق الحفيد أبو عبدالله القوري، توفي في رحلته الثانية للمشرق، وعبدالله المريني الذي رحل إلى الإسكندرية، وأقام بها، وأنضم إلى أقرانه من العلماء من أمثال ابن رواج والسبط، وأبوعبدالله محمد بن سعيد بن عثمان الرعيني، ينتمي إلى بلدة فاس، وكان من فقهائها ونسخ بخط يده كتباً تزيد على المائة وخمسين ومن مؤلفاته تحفة الناظر ونزهة الخواطر في غريب

(1)السلاوي،الأستقصا،ج2، ص 62.
(2) ابن خلدون ، العبر، ط بولاق، ج7، ص 265؛ السلاوي، الأستقصا،ج2،ص 64.
(3) المصدر نفسه،ج2، ص 266.
(4) زين الدين عمر ابن الوردي، تتمة المختصر من أخبار البشر، ج2، تح، أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1389هـ/ 1970م، ص 494.

الحديث والجامع المفيد في سفرين، وتعلم على يد علماء إجلاء يصل عددهم نحو ستين شيخ ، وتوفي بمدينة فاس سنة (779هـ/1377م)[1]، والحسن بن عبدالله الجزولي من أصحاب الشيخ أبوفاس عبدالعزيز التباع، وكان عالماً بفاس، وقد رحل قبلها إلى المشرق أبوالعباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي والملقب بابن البنا، العالم المراكشي، الذي برز بصفة خاصة في علوم الرياضيات والفلك والتنجيم، ولد سنة (654هـ/1256م) ، و(ت741هـ/ 1321م)، ودفن ببلدة أغمات، وينسب له 74 كتاباً، ومن تلاميذه الأبلي القلصادي، ويوسف بن إسماعيل الزويدور(ت 845هـ/ 1441م)[2]، وأبي العباس القرطبي، وابن عبدالسلام، وأبي محمد بن برطلة، وأصبح عبدالله المريني مثلهم مصدراً من مصادر الحديث، ومن الذين قرئوا على هذا الشيخ المريني جمال الدين أبوعبدالله محمد بن الربيع سليمان بن سومر الزواوي، الذي كان قاضياً لدمشق والمتوفي بها في جمادي الأولى سنة (717هـ/ 1317م)[3]، ومن العلماء المرينيين الذين زاروا مصر وتعلقت أنفسهم بها المقري (الجد)، كبير علماء المغرب الذي وصف القاهرة أيام زيارته لها بأبلغ الأوصاف فقال :" فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة، فرأيت حاضرة الدنيا، وبستان العلم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في أوجه، وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه وتضئ البدور الكواكب من علمائه" [4]، وقد سئل المقري عن القاهرة في زمانه؟ فقال :" من لم يرها لم يعرف عز الإسلام" ، وقد أجاب أبوالقاسم البرجي سفير أبى عنان المريني بقوله :" أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار: أن الذي يتخيله الإنسان فإن ما يراه دون الصورة التي تخيلها لأتساع الخيال على كل محسوس إلا القاهرة، فأنها أوسع من كل ما يتخيل فيها"[5].ومن العلماء المرينيين الذين نهلوا من فيض علماء مصر أبوعبدالله بن مرزوق الخطيب، فقد بلغ عدد العلماء الذين تتلمذ وقرأ عليهم هذا العالم المريني في مصر أكثر من أربعين عالماً ذكرهم المقري في نفح الطيب، وعاش أغلبهم في

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، القسم الأول، ص 179-180.
(2) ابن خلدون، العبر ، ط بولاق ،ص 840.
(3) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 179-180.
(4) المقري، نفح الطيب، ج5، ص 255.
(5) المصدر نفسه،ص 256.

القاهرة وبعضهم كان في الإسكندرية[1].كأحمد المرادي بن العشاب ،وأبي القاسم بن علي البراء والناصربن المنير ،وبمدينة بلبس أسد الدين يوسف بن داود الأيوبي وهو من أبناء الملوك ، ولم يترك ابن مرزوق أحد في مصر إلا وتعلم منه أو قراء عليه كما رحل إلى العاصمة المرينية فاس بعض علماء المشرق من أمثال محمد الهادي بن أبى القاسم بن نفيس الشريف، وهو جد الشرفاء العراقيين بفاس، وكان عالماً أديباً ذا منزلة كبيرة عند الخاصة والعامة من ملوك زمانه، وقد خرج السلطان أبو سعيد عثمان المريني للقاء هذا العالم العراقي الجليل بنفسه، ورحب به وأكرمه وأجزل صلته [2]، كما توافد على ولده السلطان أبي الحسن المريني كثير من القصاد من بلاد الحجاز واليمن والعراق فأوسع لهم العطاء الجزيل وأولادهم من فضله أيضاً [3]، ومن بين هؤلاء الوافدين أولاد وشرفاء العراق، وفقهاء المدينة أيضاً وفد إلى فاس فقيه المدينة أبو الحسن بن فرحون، ومعه الكثير من الناس، أصبحت الدولة المرينية محطاً لأنظار المشرق الإسلام حيث تتابعت عليها الوفود تنهل من علومها فوفد " من الشام ومصر والعراق وبلاد العجم طوائف فلا ينصرف عنه منصرف إلا وقد نال منه فوق ما أمله"[4].

(1) ابن فرحون الديباج المذهب،ص306-307
(2) المقري ،نفح الطيب،ج2 ،ص392،5.
(3) ابن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن،ص 26.
(4) المصدر نفسه، ص 26-27.

المبحث الثاني
العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية و الحفصية وبني عبدا لواد ومالي.

أولاً: -العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية والدولة الحفصية: -

الحفصيين هم فرع من دولة الموحدين أسسوا دولتهم سنة (627-981هـ/ 1229-1573م)،و استغلوا ضعف دولة الموحدين في المغرب الأدنى وأقاموا دولتهم[1]، ولقد كان بنو مرين مُنذ أول أمرهم يبايعون الحفصيون، فقد أرسلوا ببيعتهم إلى أبا زكريا الحفصي إلى أن اختلفت الكلمة بين الحفصيين، وانقسمت دولتهم إلى دولتين هما تونس وبجاية [2]. ولكن لم تتأثر العلاقات العلمية والثقافية بين المرينيين والحفصيين كثيراً بالأوضاع السياسية، بل قد زادت إلى حد كبير في عهد السلطان أبى الحسن المريني، ولا أدل على ذلك من أن أبا الحسن عندما رحل من إفريقية، أصطحب معه في سفنه التي أقلع بها من إفريقية مصطحباً معه أربعمائة عالم منهم من مدينة سبتة عبدالمهيمن الحضرمي، ومن مكناس محمد بن الصباغ الخزرجي، ومن فاس محمد بن علي بن سليمان السطي ، وأحمد بن محمد بن علي الزواوي الأصل، ومن تازا أحمد بن شعيب الجزنائي[3] ،حيث أشتهر السلطان أبوالحسن المريني باصطحاب العلماء ومجالسهم واستخدامهم والأخذ عنهم وفي معرض حديث ا عن نكبة الأساطيل المغربية وهي عائدة من تونس لم يفتهم أن يسكبوا عبرات الأسى والألم على الأربعمائة عالم وقد أتى هول الكارثة على هذا العدد الضخم ممن كانت تزدان بهم مدينة فاس،وفي هذا يقول شاعر تونس أبوالقاسم الرحوي :-

هم القوم كل القوم أما حلومهم فأرسخ من طودي ثبير وثهلان
فلا طيش يعروهم وأما علومهم فأعلامها تهديك من غير نيران
بفقه يشيم الأصبحي صاحبه وأشهب منه يستدل بشهبان
وحسن جدال للخصوم ومنطق يجيئان في الأخفى بأوضح برهان
سقت روضة الآداب منهم سحائب سحبن على (سحبان)أذيال نسيان
فلم يبق نأي (ابن الإمام)شماخة على مدن الدنيا لأنف تلمسان
وبعد نوى السطي لم تسط فاسه بفخر على بغدان في عصر بغدان

(1) ابن الأحمر، نثير الجمان، ص 119.
(2) الناصري، الأستقصا، ج3، ص 80؛ابن خلدون ، العبر ،ج7،ص224.
(3) أبوعبدالله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور،ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م،ص 89.

والأبلي استسقت الأرض وبلها ومستوبل ما مال عنه لإظعان
وهامت على عبدالهيمن تونس وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقت منى الضمائر غيره وإن هويت كُلا بحب ابن الرضوان[1].

وكان تنقل العلماء بين إفريقية والمغرب الأقصى يتم في سهولة ويسر دون أن يعترض حركتهم في سبيل العلم معترض، فأبن مرزوق الخطيب بعد أن ضاقت به الأحوال في الدولة المرينية، رحل إلى تونس في رمضان سنة(765هـ/ 1364م)، فلقي في هذه المدينة تقديره، ويذكر المقري أن ابن مرزوق قال :" ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أم المدارس فيها وهى المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلكتحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها إلى أن توفى سنة أحدى وسبعين ثم ولده وابن أخيه"[2]، وقد عمل أيضاً أبوزكريا على تشجيع العلم والعلماء وحركة التأليف والتصنيف العلمي الثقافي تبادل المنفعة في شتى مجالات المعرفة، واقتدى به في ذلك أبنه أبوعبدالله المستنصر الذي كان يطمح كوالده أبي زكريا إلى إنشاء دولة قوية [3].

وقد أثارت النهضة العلمية والثقافية بتونس إعجاب الرحالة: محمد بن محمد بن علي الحيمي العبدري، الذي خرج من بلدته حاحة أواخر سنة (688هـ/ 1289م) فقال: "... ولولا إني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق الغرب قد محى رسمه، وضاع حظه وقسمه، ولكن قضى الله بأن الأرض لا تخلو من قائم له بحجة، يرى سبيل الحق ويوضح المحجة، وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائماً، ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله واردا وحائماً، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر، يجلو الفخار بهم عن محيا سافر"[4].

- تبادل الكتب الدراسية بين الدولتين (المرينية والحفصية)

هناك العديد من الكتب نقلها العلماء والرحالة بين الدولتين كان لها أثر كبير في إثراء الحياة العلمية والثقافية أهمها: –

(1) ابن خلدون،التعريف،ص25،24.
(2) المقري، نفح الطيب، ج6، ص 408.
(3) (دور طرابلس الغرب في تأصيل الحركة الفكرية على عهد الحفصيين)عبدالحميد عبدالله الهرامة ، أعمال ندوة التواصل الثقافيبين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، عبدالحميد بن أبي الدنيا- ا نموذجاً)، محمد مسعود جبران، ص 52.
(4) العبدري، رحلة العبدري، ص 42.

1- نقل ابن رشد ديوان شعر الخضراء أبي الحسن حازم القرطاجني، والمسمى (مقصورة حازم)، فنالت إعجاب كثير من الشعراء المرينيين، مثل ابن المرحل وأبي القاسم وابن الشباط وأبو القاسم الشريف السبتي، الذي وضع شرحاً موسعاً لها وقال: فإني لما تأملت مقصورة الإمام الأوحد أبي الحسن حازم القرطاجني ألفيتها تجمع ضروباً من الإحسان، وتشمل على أفانين البيان، وتتضمن فوائد جمة من علم اللسان، ونشهد لمنشئها لما يتضامها من غائب الأنواع وعجائب الإبداع بأنه سابق الميدان وحائز خصل الرهان"[1].

2- نقل ابن رشد مؤلف رحلة ملء العيبة في طول الغيبة، من تونس الحفصية إلى مدينة سبتة المرينية، الكثير من الكتب والرسائل التي أخذها من علماء تونس أثناء إقامته بها عند ذهابه ورجوعه من الحج، وكان من بين مؤلفاته شرح رسالة لأحد أساتذة تونس في علم العروض وهذا الكتاب يسميه:" وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي" حيث شرح فيه كتاب القوافي لأبي الحسن الحازم القرطاجي[2].

أثر المؤسسات العلمية في الحياة الثقافية بين الدولتين:

1-جامع القرويين:

يرجع تأسيس جامع القرويين[3]،والأندلسيين إلى فاطمة ومريم أبنتي محمد بن عبدالله الفهري القروي، وبعد وفاة والدهما، قاموا ببناء المسجدين المذكورين من ميراث أبوهما، وذلك سنة (245هـ/ 845م). ولقد وصف الحسن الوزان جامع القرويين فقال:" وفى مدينة فاس جامع عظيم يدعى جامع القرويين، وهو غاية في الكبر، محيط دارته نحو ميل ونصف، وله واحد وثلاثون باباً كلها كبيرة والمساحة المغطاة نحو مائة وخمسين ذراعاً طولاً، وثمانين ذراعاً عرضاً" [4]، وأهتم معظم سلاطين بني مرين بترميم المسجد وإصلاحه وتزويده بكل إحتياجاته.

---

(1) العبدري ،رحلة العبدري ،ص42.
(2) المنوني،ورقات، ص 448.
(3)ينظر للملحق رقم(7) .
(4) الحسن الوازن، وصف إفريقيا، ج2، ص 224

2- جامع الزيتونة: -

يرجع تأسيسه[1] على يد الأمير حسان بن النعمان سنة (79هـ/ 680م)[2]، ويؤكد معظم المؤرخين إن أول مؤسسه هو الأمير عبيدالله بن الحبحاب سنة (114هـ / 733م)، من قبل خلافاء بني أمية، ومن ذلك العهد وقعت فيه زيادات عديدة حتى أصبح بناء ضخماً متسع الرحب والفناء وأثناء العصر الحفصي أهتم الأمراء بهذا المسجد ورمموه، ففي سنة (716هـ /1317م)، قام الأمير أبوزكريا الحفصي بعمل عوارض وأبواب من الخشب لبيت الصلاة، وكتب تاريخ ذلك العمل على أحد الأبواب، وفي سنة (676هـ /1277م)، قام السلطان الواثق بن المستنصر بصيانة المسجد وترميم الأجزاء المتضررة منه،ولهذه المراكز العلمية وخاصة جامع القرويين والزيتونة، الأثر الكبير في التبادل العلمي الثقافي وتوحيد تلك العلاقات بين الدولتين المرينية والحفصية مثل:-

1-تبادل الكتب على امتداد العصر المريني والحفصي مثل الرسالة القيروانية لمؤلفها أبي الحسن علي المجهام، وكتاب التقييد وتحليل التعقيد لأبي الحسن الصغير، وزهرة الأدب لإبراهيم الحصري، ومنظومة الحزاز في الرسم القرآني، وشرح الخلاصة للمكوى، والتخليص لأبن البنا، ونوازل البرزلي وبرنامج الوادي آشي وغيرها[3].

2-تبادل كتب الرحالة مثل: الرحالة العبدري، وابن الرشد، وابن بطوطة وغيرهم.

3- انتقال الطلبة والعلماء بين مختلف المؤسسات التعليمية في الدولتين.

ثانياً: -العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية ودولة بني عبدالواد.

أنشأ المرينيون المدارس والمساجد والقصور، كقصر النصر بالمنصورة ومسجدها الأعظم بمئذنته الضخمة، وقد شيدها أبوالحسن المريني، كما شيد أبوالحسن أيضاً مدرسة بقرية العبياد خارج تلمسان، وحذا حذوه أبنه أبوعنان فأبتنى مدرسة أخرى إلى جوار ضريح الوالي الصالح أبي عبدالله الشوذي الأشبيلي الملقب

(1)ينظر للملحق رقم (8).
(2) محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، تح، علي الرضاء التونسي، تونس، 1971م، ص 22.
(3) محمد بن عثمان الحشائشي، جامع الزيتونة، ط2، تق الجيلاني بن الحاج يحى، نشر وتوزيع مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله، تونس، 1915م، ص3-29.

بالخلوي، بناها السلطان أبوعنان المريني سنة (754هـ/ 1353م)[1]، وأهتم المرينييون كثيراً بمجالس العلم ونشر التعليم، ومجالس أبي الحسن، مشهورة بتلمسان، والتي ضمت كثيراً من العلماء والأدباء[2]، وأغرت كثيراً من طلبة العلم بالرحيل إلى فاس بعد ذلك لتلقي العلم على أئمتها وعلمائها، ومن هؤلاء أبوعبدالله محمد السلوي الذي أسس له أبوتاشفين بن أبي حمو الزياني، مدرسة يدرس بها ماحصله من علوم في فاس، كما أهتم المرينيون بإعادة تعمير مدينة المنصورة التي سبق أنشاؤها قبل ذلك بالقرب من تلمسان في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف [3].

أهم السلاطين الذين ساهموا في الحياة العلمية بين الدولتين:

أبوتاشفين الثاني(791-796هـ/1389-1393م): في عهده كانت البلاد تابعة لبني مرين، يخطب على منابره، ويؤدي لهم الجزية كل عام[4]، حيث أهتم بالعلماء وشجعهم، وكان يحتفل بالمولد النبوي الشريف[5].

أبوزيان محمد الثاني (796-801هـ/1393-1398م):فقد زين بلاطه بالعلماء الذين كان يقربهم إليه وشجعهم كثيراً، وكان محباً للعلم والعلماء، حيث يذكر أنه نسخ العديد من نسخ القرآن الكريم بخط يده، ونسخة من صحيح البخاري، ونسخاً من الشفاء لأبي الفضل عياض، وجعلها كلها في مكتبة الجامع الأعظم، كما أنه صنف كتاباً تحدث فيه عن التصوف عنوانه كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة[6].

عبدالله محمد الأول(804-813هـ/1402-1410م):يعرف بابن خوله، كان عهده عهد استقرار تحث حماية بني مرين، وكان محباً للعلم، وشجع العلماء على البحث والتأليف[7]

(1) عبدالحميد حاجيات، أبوحمو موسى الزياني حياته وأثاره،1974م، ص 62-63؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 36-37.
(2) محمد بن عمر الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، 1969م، ص 196.
(3) محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح، تونس، (د.ت)، ص 80.
(4) ابن خلدون ،العبر،ج7،ص305.
(5) التنسي،ص186-196.
(6) ابن خلدون ، العبر،ج7،ص309،308.
(7) التنسي ،ص231،230.

أهم العلماء الذين كان لهم دور في أحياء الحياة العلمية والثقافية بين الدولتين:

1- محمد بن إبراهيم بن أحمد التلمساني : أشهر علماء المغرب الأوسط في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي،ولد بتلمسان سنة (681هـ/1282م)،وعاش فيها مع جده القاضي ابن غلبون ،وأخذ من العلوم علم الأصول والمنطق عن أبي موسى ابن الإمام ، وعن جده وأبي الحسن التنسي ،وعندما دخل تلمسان السلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة (685هـ/1286م) ، طلبه في بلاطه ،فرفض ذلك وتوجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، فدخل مصر والعراق والتقى بعلمائها أمثال دقيق العبد وابن الرقعة التبريزي وغيرهم من العلماء ، وبعدها عاد إلى تلمسان ومنها إلى فاس وأخذ العلم فيها على يد خلوف الغيلي ،فتبحر في العلم ثم رحل إلى مراكش ،ونهال عليه طلبة العلم من جميع الأماكن، لينهلوا من علمه[1]. وعندما استولى أبوالحسن المريني على تلمسان سنة (732هـ/1331م)التقى بالعلامة أبي موسى ابن الأمام ،فذكر له الأبلي ، وفضله على نفسه من ناحية علمه، واعترف بتفوقه عليه ، وعلى أقرانه في بعض العلوم ،فكان من السلطان المذكور أن استدعاه إلى فاس ليضمه إلى علماء مجلسه ،فقام بالتدريس ، ولازمه وحضر معه موقعة طريف سنة(748هـ/1347م) ، ثم أنتقل معه إلى إفريقية سنة(743هـ/1342م) ، وبقى هناك إلى أن استدعاه السلطان أبوعنان (740- 759هـ/1348- 1358م) وبقى معه ،ثم بعد ذلك غادر معه إلى تونس ثم إلى تلمسان ، وذهب معه إلى المغرب الأقصى ،وواصل مهنة التدريس بفاس حتى وفاته بها سنة (757هـ/1356م)[2].

أما أشهر تلاميذه فهم: عبدالرحمن بن خلدون،ويحي ابن خلدون، والسلطان أبوعنان المريني، وابن الصباغ المكناسي،والشريف التلمساني،وابن مرزوق الجد، وسعيدالعقباني، وابن عرفة وغيرهم [3].

2-**محمد بن يحيى بن علي النجار التلمساني:**ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ العلم عن علمائها ومن بينهم الأبلي الذي قال فيه: "ما قرأ عليا أحد حتى قلت له لم يبقى

(1) التنبكتي،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ج2 ،ص61.
(2) ابن مريم،البستان،215،214.
(3) التنبكتي،نيل الابتهاج،ج1،ص7،2.

عندي ما أقول لك"[1]، ثم رحل إلى المغرب الأقصى فدرس على أبي محمد هلال شارح المجسطي بسبته، ثم أخد العلم بمراكش عن أبي العباس بن البناء، ثم عاد إلى تلمسان فدرس بها، ثم ألتحق ببلاط أبي الحسن المريني أيام سيطرته على تلمسان وصاحبه إلى إفريقية، وتوفي بتونس سنة (749هـ/1448م)[2].

3-**أبوعبدالله محمد بن أحمد الشريف الحسيني الشهير بالعلوي:** ولد سنة (710هـ/1310م)، قرأ القرآن على أبي زيد بن يعقوب، ثم أخد العلوم عن العديد من العلماء أمثال ابن الإمام، وأبي موسى عمران المشدالي وغيرهم ثم رحل إلى فاس ولازم الأبلي، وأخد من معارفه، ثم عاد إلى تلمسان [3].

وفي سنة (740هـ/1339م)،رحل إلى تونس ولازم أبا عبدالله بن عبدالسلام الهواري ،ثم رجع إلى تلمسان وأشتغل بالتدريس بها وبعد وفاة أبوالحسن المريني ، استيلاء أبنه أبوعنان المريني على تلمسان سنة (749-759هـ/1348-1358م)، قرب أبا عبدالله الشريف وأختاره لمجلسه العلمي وأخده معه إلى فاس وبعد وفاة أبوعنان المريني سنة (759هـ/1358م)،واستعادة أبوحمو موسى الثاني عرش تلمسا سنة (760هـ/1359م)،طلب منه الحضور من فاس بصحبة أسرته ، وبني له مدرسة، وقام أبا عبدالله يدرس بها علمه الموسوعي ،إلى أن توفي سنة (771هـ/1396م)[4].

وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء مثل أبي إسحاق الشاطبي، وإبراهيمالمصمودي، وعبدالرحمن بن خلدون، وأخوه يحيى، ومحمد بن علي الميدوني، وابن عتاب، وابنالسكاك، غيرهم، ولم يهتم أبو عبدالله بتأليف الكتب، ويعود السبب في ذلك لتركيزه على التعليم والبحث والمطالعة ومن أشهر مؤلفاته، مفتاح الوصول في علم الأصول [5].

4ـ **محمد بن إبراهيم بن الأمام، أبوالفضل التلمساني:** ولد بتلمسان وتربي فيها، وأخد العلم عن علمائها مثل ابن مرزوق الحفيد، ورحل إلى تونس سنة(810هـ/1407م) ثم إلى القاهرة سنة (812هـ/1309م)، وزار البيت المقدس ودمشق، وأجتمع عليه

---

(1) المصدر نفسه ،ج2،ص57.
(2) يحيى بن خلدون ،بغية الرواد،ج1،ص119.
(3) ابن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،ص 856.
(4) المصدر نفسه ،ص 858.
(5) عبدالرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام ، ج2،مكتبة الجزائر للنشر ،الجزائر ،(د.ت) ،ص221،210.

الناس هناك للاستفادة من علمه، وعاد بعد ذلك إلى المغرب، وأدخل للمغرب شامل بهرام وشرح المختصر، وحواشي التفتازاني على المعضد وابن هلال على الحاجب الفرعي وغيرها وتوفي سنة (845 هـ/1441م) [1].

5-**علي بن محمد القرشي البسطي الشهير القلصادي:** نزيل تلمسان وكان متميز في علم الفرائض والرياضيات وغيرها من العلوم، وأصله من بسطة بالأندلس أخذ العلم على علمائها، ثم غادرها إلى المغرب والمشرق، وبعدها عاد إلى تلمسان، حيث أخذ عنه العلم الكثير من طلابها، كابن عبدالله السنوسي وابن عبدالله الملالي وغيرهم، وألف القلصادي الكثير من الكتب في الحساب والفرائض [2].

6- **علي بن موسى بن علي بن هارون** ، أشتهر بالمطغري:ولد في مطغرة من عمال تلمسان ، وساهم في علم التفسير واللغة العربية والحساب وعلم الفرائض وغيرها من العلوم ،ثم أنتقل إلى فاس سنة (891هـ/1476م)،فلازم العلامة ابن غازي حوالي تسعةً وعشرون سنة، أخذ عنه الكثير من العلوم، (ت951هـ/1544م)[3].

ومن خلال ما تقدم يتبين إلينا أنه كانت هناك علاقات علمية ثقافية بين الدولتين – المرينية وبني عبدالواد-وذلك من خلال تنقل رجال العلم بين الدولتين، وانتشار مؤلفاتهم وعلومهم، وأخذ العلوم الموسوعية فيما بينهم، كل ذلك يبين لنا مدى وقوة العلاقة العلمية والثقافية بين الدولتين.

ثالثا: -العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية والسودان الغربي (دولة مالي الإسلامية): -

ارتبطت الدولة المرينية ببلاد السودان الغربي بأوثق الروابط وأمتن العلاقات الودية، وكانت إمبراطورية مالي الكبرى تمثل أكبر الوحدات السياسية القائمة في بلاد السودان الغربي أيام بني مرين[4]، وتقع مالي بين بلاد برنو شرقاً والمحيط الأطلسي

(1) التنبكتي ، نيل الابتهاج،ج2،ص 199،198.
(2) المصدر نفسه ،ج1،ص 282،281.
(3) الونشريسي ، المعيار ،ج12،ص 170.
(4) عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، القاهرة، مصر،(د.ت)، ص 29.

غرباً، وجبال البربر شمالاً[1]، وقد حدد ابن خلدون المسافة التي تفصل بين هذه الإمبراطورية، وبين أخر حدود الدولة المرينية المتاخمة للصحراء[2].

وقد ارتبطت الدولة المرينية بدولة مالي الكبرى عن طريق الطرق والمسالك التي تربط بلاد المغرب الأقصى ببلاد السودان الغربي، وهذه الطرق تخرج من بلاد السوس الأقصى إلى مصب نهر السنغال أو من جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة جنوباً[3].ومن هذه العلاقات الطبيعية الوطيدة بين بلاد السودان الغربي، وبلاد المغرب نبعت العلاقات القوية، بين الدولة المرينية ودولة مالي في بلاد السودان الغربي، ووصلت هذه العلاقات إلى درجة كبيرة من الازدهار والنمو لم تصل إليها من قبل في العهود السابقة وعلى الأخص في المجال العلمي الثقافي التي ،ارتبطت فيه مملكة مالي الإسلامية بالمغرب الأقصى حيث توافد على المؤسسات العلمية بمالي البعثات المتعددة ،من المغرب الأقصى للتعليم والتعلم ،كما تم تبادل مناهج الدراسة بين الجانبين فكانت العديد من الكتب المغربية تعج بها مراكز العلم في مالي فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب عياض وسحنون وشرح ابن القاسم وخليل الونشريسي والمدونة وموطأ مالك وكفة الحكام لأبن هشام ومما يدل على التلاحم العلمي والثقافي بين الدولة المرينية ومملكة مالي وجود أساتذة من المغرب الأقصى كانوا يدرسون أهالي مالي مختلف العلوم نذكر منهم على سبيل المثال عبدالمهين علي بن يوسف الفاسي ،كما توافد الطلبة الماليين على فاس عبر الصحراء الكبرى بداية من عهد عمر بن يعقوب المريني كما امتزجت الثقافة العربية والخط العربي بالثقافة الأفريقية ، واكتسبت اللغات الأفريقية مثل الهوسة والسوحلية والفولانية الكثير من مفردات اللغة العربية وتراكيبها وكتبت بأحرف عربية علاوة على ذلك أمتزج الدم الزنجي بالدم العربي عن طريق المصاهرة التي تمت بينهم ، تبين العديد من المصادر أن مالي عرفت نشأتها الحقيقية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وقداتسعت حدودها في نهاية القرن لتعرف أقصى مداها حيث أصبحت تشمل جل الإمارات والممالك السودانية ،مثلإمارة كوكو

(1) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، ص 59.
(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص 266.
(3) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، ص 13.

وسلطنة التكرور ومملكة غانا، وبانتصار هذه الوحدات في كيانها أصبح نقود مملكة مالي يغطي جلمناطق بلاد السودان الغربي ،وباستهلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي أخدت المملكة تتحسنطريقها نحو المجد والازدهار إبان عهد السلطان منسا موسى*[1] (712-737هـ/1312-1337)،وأخيه السلطان منسا سليمان (716-741هـ/1341-1360م) ، وبلغت مملكة مالي المسلمة أوج عظمتها وذروة مجدها حيث أخد السودانيون يبحثون لأنفسهم عن موقع متميز داخل الأمة الإسلامية لذلك وجدناهم يعملون على توثيق وتوطيد علاقاتهم بباقي الأقطار الإسلامية وقد سلك السودانيون بهذا الصدد أربع قنوات أساسية ، يمكن أن نجملها في العناصر التالية :التجارة ، والرحلة لطلب العلم، والحج،وأخيراً السفارات، ولاشك أن المجال هنا يضيق بنا لمعالجة مجموع هذه العناصر لذلك رأينا تخصيص كلاً من الجانب العلمي الثقافي ، لعلاقته المباشرة بالدراسة ، لأن عملنا يأخد طابعاً علمياً ثقافياً يبحث لنفسه عن نظرة سودانية للعلاقات العلمية والثقافية بين الدولية المرينية ومملكة مالي،في تلك الفترة من الزمن كانت العلاقات العلمية والثقافية بين بلاد المغرب الأقصى- مهد الدولة المرينية- وبين بلاد السودان الغربي علاقة قديمة تمتد جذورها إلى قرون عديدة قبل قيام الدولة المرينية، وقد حمل التجار العبء الأكبر في إيصال المؤثرات العلمية و الثقافية الأولى لهذه البقاع، وسرعان ما أقتفى العلماء أثر التجار وساروا معهم أو وراءهم ينشرون الإسلام، ومعه يبثون العلم العربي والثقافة العربية الإسلامية، حتى إن منسا موسى نفسه أصبح يجيد اللغة العربية، ويلم بكثير من ألوان الثقافة العربية الإسلامية [2]، الأمر الذي جعله يفتح بلاده للاجئين من مسلمي الأندلس وعلمائهم الفارين تحت ضغط حركة الاضطهاد المسيحي حتى لقد

(1)* منسا: وهو لقب من الألقاب التي أتخذها سلاطين السودان الغربي ،وتعني الحاكم عند الماندنجو،وفي البداية كان لقب رئيس القرية، ثم توسع دريد عبدالقادر نوري ،تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء الموصل (د.ن)،1985م،ص299.

وموسى: هو صاحب رحلة الحج الشهيرة، والتي التقى خلالها في مصر السلطان محمد بن قلاوون، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص295.

(2)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 295؛ إبراهيم على طرخان، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ، مصر 1973م، ص 32.

قيل في هذا الصدد:" أن فقد أسبانيا الإسلامية كان كسباً لأفريقية الشمالية وإفريقية السوداء" [1].

وكانت المدن في مالي مراكز ثقافية تزدخر بالفن والثقافة الإسلامية إلى جانب كونها مراكز تجارية ففي هذه المدن تجمع الفقهاء والخطباء والمفسرون للقرآن الكريم من المغاربة، وكان منه القضاة والمدرسون، وقد نال هؤلاء مكانة عظيمة في بلاط سلطان مالي فلم تخلو مجالسه السلطانية منهم، وكانت أرائهم محل تقدير هؤلاء السلاطين واحترامهم [2]. وقد بلغ من قوة التأثير الثقافي المغربي المريني أن أصبح المذهب السني المالكي هو المذهب السائد في دولة مالي، وذلك على غرار ما كان عليه أهل المغرب الأقصى في عهد المرينيين، وبطبيعة الحال كان ذلك التوافق في المذهب من عوامل قوة العلاقات بين المرينيين وأهل مالي، وكان يطلق على المالكية هناك في مالي أسم (تورى)[3] .

وقد أنعكس ذلك على تصرفات سلاطين مالي، فنجد سلطاناً كمنسا سليمان يبني المساجد والجوامع والمنارات، أقام بها الجمع والجماعات والأذان، وجلب إلى بلاده الفقهاء من المذهب الإمام وتفقه في الدين، وكان لذلك كله الأثر الكبير في مناهج التعليم في مالي، حيث ألتزم أهلها من المسلمين رجالاً ونساء وأطفالاً، الحرص الشديد على تعلم الفقه، وحفظ القرآن الكريم [4].وقد رأى ابن بطوطة– سفير السلطان أبى عنان المريني– ذلك بنفسه خلال سفارته في مالي، فقد لفت نظره "مواظبتهم – أهل مالي– للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد، لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميصاً خلقاً غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا

(1) إبراهيم علي طرخان،دولة مالي الإسلامية، ص 72.
(2) ابن بطوطة تحفة النظار،ج2، ص ص 191-192-195-198.
(3) المصدر نفسه، ص 193؛إبراهيم علي طرخان ، دولة مالي الإسلامية، ص 147؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية،ج1، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة،مصر،1963م، ص 215.
(4) ابن بطوطة، تحفة النظار،ج2،ص 192-200.

تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن" [1].وبجانب اهتمام أهل مالي بالقرآن الكريم والفقه والعبادات الإسلامية، كان اهتمامهم بلغة القرآن، اللغة العربية، التي اكتسبت مسحة من التقديس لدى مسلمي غربي أفريقيا فكتب بها جميع الوثائق الرسمية لإمبراطورية مالي، كما كانت اللغة العربية لغة الحكومة والمراسلات الدولية، ولغة التجارة، أي أنها كانت اللغة السائدة[2]، أما الكتابة في مالي، فقد كانت تعتمد على الخط العربي، وقد شاع ذلك في الرسائل التي صدرت من البلاط المالي، كتلك التي أرسلها منسا موسى إلى السلطان الناصر قلاوون في مصر [3]، إلى جانب هذا كله ظهر التأثير المغربي الوافد من بلاد المغرب، في زي أهالي مالي، وغدا هذا الزي المغربي يربط مظهرهم العام ربطاً وثيقاً بالمغاربة المسلمين في الشمال، ويذكر القلقشندي في هذا الشأن أن " لباسهم عمائم بحتك مثل المغرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسخ عندهم من نهاية الرقة واللطف تسمى الكميصا ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج"[4].

توطدت العلاقات العلمية والثقافية بين الجانبين، فقد أرسل منسا موسى البعثات من بلاده إلى مدينة فاس على نفقة الدولة، وكان من يحصل على علومه في المغرب يعود إلى بلاده ليعمل في وظائف متقدمة كالقاضي والإمام أو المعلم في مدارس المدن السودانية كتنبكتو و جني وغاو ونياني ، وقد أشتهر من بين أولئك الطلبة كاتب السلطان موسى والذي تلقى تعليمه في فاس ، كما ذكر الرحالة ابن بطوطة عدداً من العلماء المغاربة الذين يتوزعون في جهات من بلاد السودان لا سيما الغربي منها وفي دولة مالي بالذات منهم محمد بن الفقيه الجزولي كبير جماعة وقد داع صيت جامعة سنكري بما بلغته من مستوى علمي رفيع وجعلت من مدينة تمبكتو عاصمة علمية في بلاد السودان وكل ذلك يرجع فضله للعرب الذين نقلوا الإسلام إلى تلك المناطق مند القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ،فانتشرت على

---

(1) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 298؛ إبراهيم على طرخان، دولة مالي الإسلامية،ص 153.
(3) إبراهيم علي طرحان ،دولة مالي الإسلامية ،ص153؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية،ج1، ص 215.
(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 298؛ إبراهيم على طرخان، دولة مالي الإسلامية،ص 299.

نطاق واسع اللغة العربية والثقافة الإسلامية وقد انفتحت هذه الجامعة على العديد من مراكز العلم في الأندلس والشمال الإفريقي في فاس وبجاية وتونس وطرابلس وغيرها من مراكز الحضارة وما يميز جامعة سنكري أنها شابهت قريناتها من مراكز العلم في الشمال الأفريقي والشرق العربي في مواكبة العلم والثقافة وانتقال العلماء وكان ذلك زمن منسا موسى الذي جلب لها العلماء والفقهاء من أماكن مختلفة للتدريس بها إضافة لذلك فقد أوفد العديد من الطلاب للدراسة في جامعة القرويين وإلى غيرها كما أنه جلب لها أيضا الكتب من مصر والحجاز ومن بعض المدن التي مر بها أثناء فريضة الحج وهذا يدل على ثقافته الواسعة وشغفه واهتمامه بالعلم والعلماء، كما أنه أنفق الأموال على العلم والثقافة في مالي ، والقاضي أبوالعباس الدوكالي، ومحمد الفيلالي إمام مسجدهم، وأبو إبراهيم إسحاق الجاناتي قاضي مدينة تكدا[1].

لقد كانت مراحل التعليم في دولة مالي تتشابه مع ما كان يُتبع في الدولة المرينية، فقد كان التعليم على عهد السلطان المريني أبي عنان يتألف من مرحلتين الأولى يكون فيها تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، والمرحلة الثانية يتم فيها تعلم النحو واللغة والأدب والفقه وغيرها[2]، وهو ما حصل فيما بعد في السودان الغربي حينما أصبح التعليم أيضاً يتم على تلك المرحلتين، كما كان للكتاتيب والتي سميت بمدار معلم الصبيان دور كبير في التعليم في السودان الغربي فكان الطلبة يجتمعون أمام معلمهم لتلقي العلوم ، وكان المعلم يعقد مع أهل الصبي المتعلم عقداً كما في بعض نواحي المغرب يصطلح على تسميته " المشارطة" يحصل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ كل أسبوع فضلا عن هدايا تعطى للمعلم حينما يختم الطفل القرآن الكريم، أو في مناسبات دينية أخرى [3].

لقد توسعت المساجد الجامعة في بلاد المغرب فيما بعد لتصبح جامعات كجامع القرويين، وهو ما حصل فعلاً بعد ذلك في بلاد السودان حينما تحول مسجد سنكري إلى جامعة تُدرس فيها العلوم المختلفة، فضلاً عن قيامها بتدريس مواد مشابهة لتلك

---

(1) ابن بطوطة تحفة النظار،ج2،ص268.
(2) روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين،تر، نقولا زيادة ، مكتبة لبنان، بيروت،لبنان، 1967م، ص 169-170.
(3) محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي، تاريخ الفناش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور، وقف على طبعة هوداس ودولافوس، مطبعة بردين،إنجه، 1913م، ص 180-181.

التي تدرس في جامعة فاس من خلال تدريس كتاب الموطأ للإمام مالك، وصحيح مسلم والبخاري[1].

وكرد على سفارة منسا موسى تلك عمد السلطان أبى الحسن المريني على تهيئة سفارة مماثلة لتذهب إلى بلاد السودان محملة بكمية كبيرة من الهيئات والمتاع المغربية، وأرسل معها عدداً من رجاله في مقدمتهم كاتب ديوانه أبوطالب بن محمد بن أبى مدين، ومولاه عنبر المحصي يرافقهم عدد من الأعراب الذين أوعز لهم السلطان بمرافقة السفارة ومنهم علي بن غانم، أمير أولاد جارالله من عرب المعقل[2].

كما كان لرحلة ابن بطوطة إلى دولة مالي سنة (753هـ/ 1352م)، بأمر من السلطان المريني أبوعنان، إلا أنها رغم ذلك قدمت لنا الكثير من المعلومات عن المنطقة لاسيما دولة مالي، والتي وصلها الرحالة ابن بطوطة، على عهد ملكها منسا سليمان الذي أستقبله هناك، وقد وصف لنا الرحالة مجلس السلطان الذي يكاد يكون مشابهاً لما كان قد ألفه الرحالة في مجالس سلاطين الدولة المرينية، وكان الرحالة قد شارك في مجلس عزاء إقامة منسا سليمان على روح السلطان أبى الحسن المريني وهو تقليد لم يكن موجوداً فيما سبق في بلاد السودان، فلم تذكره المصادر من قبل بينما كان مألوفاً في المغرب إذ يبدو أن منسا سليمان كان قد تعلم ذلك التقليد من خلال ما نقلته تلك السفارات، كما نقل لنا الرحالة ابن بطوطة طريقة احتفال السودان بعيدي الفطر والأضحى وشهر رمضان المبارك ولقد أهتم أهل مالي بالمناسبات الدينية والأعياد ويشارك ملوكهم في ذلك ففي العيد يخرج الأهالي إلى الصلاة مرتدين ملابس بيضاء والسلطان يرتدي غطاء رأس لا يلبسه إلا في الأعياد هو والقاضي والخطيب والفقهاء الذين يلبسونه طيلة العام وذلك لتمييزهم عن العامة ومن عادات الرعية أنهم يمتثلون بين يدي السلطان حيث يتعالى تكبيرهم وتهليلهم وبأيديهم الأعلام الحمراء المصنوعة من الحرير واصفاً لنا ما كان يرتديه السلطان وحاشيته وبقية الناس خلال تلك الأيام الفضيلة، كما تدخل المدينة في جو من الأيمان وتلاوة القرآن الكريم وقراءة كتب المالكية لا سيما في ليلة القدر وبقية ليالي شهر رمضان، وتلك

(1) أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني أمبراطورية مالي 1230هـ/ 1430م، أبوظبي، 1999م، ص 58.
(2) ابن خلدون، العبر،ج7، ص266، السلاوي، الأستقصا،ج3، ص 151-152.

الاحتفالات كانت تتم بشكل أوسع في بلاد المغرب خلال العصر المريني[1] ، كما عمل حكام دولة مالي على توظيف المغاربة في بلاطهم، فضلاً عن ذلك فإن الأئمة والخطباء في المساجد كانوا من المغاربة، كما وجد طلبة العلم السودان ملاذهم في مدارس فاس والقيروان[2].

واشتملت التأثيرات الحضارية المغربية بلاطات الملوك والحكام، فكانت الطبول المستخدمة للتنبيه بخروج السلطان سليمان في دولة مالي تستخدم في المغرب تحت أسم (تربال)،كما كان بلاط سلاطين دولة مالي صورة لما كان سائداً في بلاط مراكش، وكما كان السلطان في بلاد المغرب يجلس بنفسه لقضاء المظالم ويحضر معه حشيته، حيث كان يجلس منسا سليمان لحل المشاكل والقصاص من الظالم [3]. فضلاً عن ذلك فأننا لم نسمع قبل عهد منسا سليمان أي مشاركة للمرأة في الحياة العامة لا سيما السياسية، إذ أصبحت في عهده الزوجة الكبرى الملقبة بقاسا تشارك السلطان في الحكم ، وظهور المرأة للحياة العامة في بلاد المغرب على عهد المرينيين يكاد يكون مألوفاً ، فقد ساهمت المرأة المغربية في بناء النهضة العلمية والثقافية، وظهرت منهن عالمات شهيرات كست العرب بنت عبدالمهيمن الحضرمي، فضلاً عن الأديبة صفية العزفية السبتية وهى من فضليات نساء عصرها في العلم، وربما كان لعلاقة السلطان موسى بالمغرب وتبادله السفارات مع حكامها دور في إقدامه على السماح لزوجته للمشاركة بالحكم، ونتيجة لتفوق المدن المغربية علمياً على مدن بلاد السودان، فقد تطلع الكثير من علماء دولة مالي إلى زيارة تلك المدن والدراسة فيها والالتقاء بعلمائها وفقهائها، إذ يُذكر أن عبدالرحمن التميمي القادم من الحجاز إلى دولة مالي توجه في عهد منسا موسى إلى فاس، ونهل من علومها ثم عاد ثانية إلى مدينة تمبكتو ليعلم تلاميذه هناك ما تعلمه هو في فاس [4]، فضلاً عن ذلك فقد أستخدم السودان المغربي في مخاطباتهم الرسمية، ولعل الرسالة التي وجهها منسا

---

(1) ابن بطوطة ،تحفة النظار ، ج2 ،ص279 ؛روجيه لوتورنو، فاس،ص194-207.
(2) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي،ص 51.
(3)ابن بطوطة ،تحفة النظار ،ج2،ص280.
(4) عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، هوداس، باريس،فرنسا، 1964م، ص 817؛ مزاحم علاوي الشاهري، الدولة المرينية في عصر السلطان أبى الحسن على بن عثمان (731-752هـ / 1331-1352م)، دراسة حضارية، رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة الموصل21985م، ص 73

موسى للسلطان المملوكي محمد بن قلاوون خير دليل على ذلك ، كما أن لتلك العلاقات دور في زيادة عملية انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان ،والتي تبعها عملية شراء الكتب المالكية بشكل كبير أسهم فيها حكام دولة مالي وفي مقدمتهم منسا موسى [1].

كما شملت تلك التأثيرات التي وصلت دولة مالي في نفس القرن الذي حصلت فيه تلك السفارات الملابس فكانت ملابس سكان مالي مشابها لملابس المغاربة الجلباب والذرائع فضلاً عن عمائم ذات الحنك وكان الفرسان يلبسون أساور من ذهبت ومن ميز عن غيره فإنه يكرم بلبسه معها أطواقاً من الذهب أيضاً [2].

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ،الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك ،ص 112 ،113.
(2) أحمد بن يحى بن فضل الله العمري ،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،ص 65 ؛القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج5 ،28.

المبحث الثالث

العلاقات العلمية والثقافية بين الدولة المرينية وبني الأحمر في الأندلس.

الدولة الإسلامية (بني الأحمر في الأندلس):

ازدهرت العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية في المغرب، وبني الأحمر في الأندلس، ومما تجدر ملاحظته والإشارة إليه، هنا إن العلماء والأدباء في المغرب والأندلس لم تكن أمامهم تلك الحواجز السياسية التي تمنع تدفقهم من الأندلس إلى المغرب أو من المغرب إلى الأندلس في العهد المريني، فالأديب أو العالم ينتقل هنا وهناك دون عائق أو حائل يحول بينه وبين البيئة التي يشعر إن حياته وملكاته ستنمو بها أكثر وتزداد إختصاباً، والأمثلة كثيرة ومتعددة نذكر منها، الأديب الشاعر العالم الأندلسي، الذي عاش مدة طويلة في بلاط بني مرين، وابن الحاج الغرناطي، الذي بلغ درجة كبيرة في جودة الخط والأدب، ورواية الحديث، وقد عمل ضمن كتاب الإنشاء سنــة (734هـ/ 1333م)، في عهد السلطان أبي الحسن المريني، وكذلك في عهد خليفته أبي عنان [1]، وكاتب شاعر أخر هو أبوالقاسم رضوان التجاري، وهو من مالقة، وتولى وظيفة الإنشاء بباب السلطان أبي عنان، دمج كثير من القصائد في غرض الوصف، ومنهم أيضاً الكاتب الأديب محمد بن أبي القاسم محمد إبن أحمد بن جزئ الكلبي، وهو غرناطي الأصل ، وكان كاتباً للسلطان أبى الحجاج يوسف، وأرتحل من غرناطة إلى فاس، حيث عاش بها في تلك البيئة الجديدة، وكلفه السلطان أبوعنان المريني بكتابة رحلة ابن بطوطة، ورصد أحداثها بأسلوبه فجأت كتابته لهذه الرحلة نموذجاً رائعاً لأدب الرحلات في تلك الفترة[2]، ومن علماء الأندلس الذين حصلوا علومهم من فاس عاصمة بني مرين ونقلوا ما حصلوه من علوم ومعارف إلى غرناطة، أبوالعباس أحمد بن قاسم بن البقّال، وأبوعبدالله بن البيوت المقري، والزاهد أبوالحسن بن أبي المولى وغيرهم، وهؤلاء جميعاً نهلوا العلم في فاس على يد نخبة من علمائها[3]،وكانت الزيارات التي يقوم بها سفراء سلاطين غرناطة إلى البلاط المريني، تمثل في حقيقة الأمر صلة بأثير وتأثر قوية متبادلة في مجال العلاقات العلمية والثقافية والحياة الفكرية في كل من الأندلس والمغرب

(1) المقري، نفح الطيب،ج7، ص 108-109.
(2) المصدر نفسه،ج2،ص 170-171.
(3) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تر، محمد عبدالله عنان، طبعة الخانجي واستخدمت أيضاً طبعة دار المعارف لنفس المحقق طبعة دار المعارف،القاهرة ،مصر .

الأقصى، فهؤلاء السفراء كان معظمهم أدباء وعلماء، وكان وجودهم في البلاط المريني ولو لوقت معين فرصة كبيرة للاحتكاك الثقافي بين العدوتين، فأبن الخطيب عندما جاء سفيراً عن سلطان غرناطة الغني بالله بن الأحمر إلى السلطان أبي عنان المريني ، تبادل الرسائل النثرية والقصائد الشعرية مع زملائه وأصدقائه من الأدباء والشعراء المرينيين، ومن ذلك ما دار بينه وبين الخطيب أبي عبدالله محمد بن مرزوق الذي بعث إلى ابن الخطيب رسالة من الشعر والنثر يقول في مطلعه:

يا قادماً وافى بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح

هذي ذرى ملك الملوك فلذبها تنل المني وتفز بكل سماح[1].

فراجعه ابن الخطيب برسالة فيها الشعر والنثر أيضاً مطلعها:

راحت تذكرني كؤوس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح

وسرت تدل على القبول كأنها دل النسيم على انبلاج صباح

والتقى ابن الخطيب مع ابن خلدون أيضا، وكان اللقاء بين الرجلين العظيمين حادثاً هاماً في حياة كل منهما، فمن خلال العلاقات الطيبة التي قامت بينهما تبادل الطرفان طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية تعتبر من أبدع ما أنتجته القرائح من نماذج النثر والترسل في هذا العصر[2].

وكما يكون تأثير السفراء الأندلسيين في العلماء والأدباء، يكون التأثير الثقافي المغربي واضحاً في هؤلاء السفراء، حتى في أدق الأمور المتعلقة بعلوم اللغة والأدب، فأبو إسحاق الشاطبي في كتابه الإشارة والإفادات يقول:" أفادني صاحبنا الكاتب أبوعبدالله ابن زمرك إثر إيابه إلى وطنه من رحلة العُدْوَة في علم البيان فوائد أذكر منها الآن ثلاثاً: الفقه في اللغة وهو النظر في مواقع الألفاظ وأين استعملتها العرب... والثانية تحري الألفاظ البعيدة عن طرفي الغرابة والابتذال... والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه...وأخبرني إن كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب، ويذمون ماعداها من طريقة المولديين"[3]، وهذا النص يعني إن كبار الكتاب الأندلسيين عندما كانوا

(1) السلاوي، الأستقصا، ج2، ص 94.
(2) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1، ص 26-27
(3) المقري، نفح الطيب،ج7،ص279.

يغدون لزيارة الدولة المرينية، وكانوا يعقدون صلات علمية ثقافية مع علماء المغرب وأدبائه، وينقلون منهم إلى الأندلس ما أطلع عليه علماء المرينيين من علوم العرب المختلفة لتأصلها في بلاد الأندلس وقد أفسح حق اللجؤ الذي منحه سلاطين المرينيين وسلاطين بني الأحمر لعلماء الدولتين مجالاً كبيراً لازدهار العلاقات العلمية الثقافية بين الدولتين ، فأبن الخطيب الذي كان لاجئاً في الدولة المرينية أفاد الحركة الأدبية والعلمية في ذلك الوقت، فأثرى رصيد الدولة المرينية في عالم الأدب والفكر والتاريخ ، وسجل للمرينيين سبقاً في هذه المضامير إذ أتاح له المرينييون جميع حقوق المواطنة في دولتهم، وعلى هذا فكل أنتاجه في أثناء فترة لجوئه لدى المرينيين ، هو أنتاج مريني متأثر بالبيئة الجديدة التي عاش فيها، وقد أنتج إبن الخطيب بين ربوع الدولة المرينية الكثير من الشعر والنثر، وعدداً ليس بالقليل من الكتب والمؤلفات التي أشتهر بها ابن الخطيب [1].

ولقد عرف أبناء لسان الدين ابن الخطيب مكانة أبيهم عند المرينيين فعاشوا في ظل البلاط المريني، ويذكر المقري منهم: على بن لسان الدين ابن الخطيب الذي صاحب السلطان المستنصر بالله أحمد بن أبى سالم ومن شعره في هذا السلطان:

لأوحش الله ربعاً أنت زائر يابهجة الملك والدنيا مع الدين

يأحمد الحمد أبقاك الإله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين[2].

وقد لقي الخطيب أبوعبدالله محمد بن مرزوق في دولة بني الأحمر ما لقيه إبن الخطيب في دولة بني مرين، فلجأ إلى سلطان غرناطة، الذي أجتذبه إلى غرناطة، وهناك قلده الخطبة بمسجده في السادس من صفر سنة (753هـ/ 1352م)، إلى جانب ذلك سند إليه مهمة الإقراء والتدريس بالمدرسة في حضرته بغرناطة، ولم يحدد المقري أسم هذه المدرسة [3].

وكانت فاس وغيرها من مدن الدولة المرينية ملاذاً خصباً لطلبة العلم الأندلسيين، ومن أمثال هؤلاء الطلبة الذين رحلوا إلى فاس، ابن عباد الرندي،

(1) أحمد مختار العبادي، (حياة ابن الخطيب المغربية، مجلة البيئة)، وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، المغرب، العدد الأول، السنة الأولى مايو، 1962م، ص 56-58.
(2) المقري، نفح الطيب،ج7، ص 301
(3) ابن فرحون، الديباج المذهب ،تر، محمد الأحمدي أبوالنور،ج2،ص 294

الذي ولد برندة، ثم رحل إلى فاس، وتلمسان، فقرأ بها الفقه والأصول العربية، وفي مدينة سلا صاحب الشيخ أحمد بن عاشر، ثم رحل إلى فاس، حيث تولى الخطابة بجامع القرويين خمس عشرة سنة، حتى وفاته سنة (792هـ/ 1389م)، ومن مؤلفاته: الرسائل الكبرى، والصغرى، وشرح الحكم ونظمها في ثمانمائة بيت من الزجر[1].

دور الرحلة في التواصل العلمي الثقافي بين الدولة المرينية والأندلس: -

كانت الرحلة أمراً تقليدياً عند الأندلسيين خصوصاً، في تلك الفترة- فترة الدراسة-، ولعل مسيرة قوافل الأندلسيين إلى مكة سنوياً لأداء فريضة الحج هي التي جعلتهم يولعون بالرحلة والأسفار[2].

ومنذ أن وطئت أقدام العرب أرض الأندلس لم تنقطع الرحلة بموطنهم الجديد، وموطن الأجداد حتى خروجهم منها، وكثر الراحلين الأندلسيين إلى بلاد المغرب وإلى المشرق، وقد سمع حكام كل من الأندلس والمغرب القيام بالرحلات على الرغم من العداء السياسي الموجود في بعض الأحيان، ولعل هذا يعتبر دليلاً من دلائل التدخل الغير مباشر في العملية التعليمية الثقافية، إن السماح بالرحلة وإكرام العلماء بعد العودة وإسناد الوظائف إليهم، قد شجع هذه الرحلات وسمح بتنقل علوم وكتب مختلفة بأسرع وقت، ويبدو من الكلام إن الرحلة اتخذت طرقاً متعددة، وكان نشاطها متنوعاً، ومن ميزاتها إنها أسهمت في مستوى علمي رفيع فالرحلة ظاهرة عبرت عن حرية الحياة الدينية والعلمية والثقافية الإسلامية ، فقد كان بين الأندلس والمغرب تواصل علمي ديني تمثل في العلماء والفقهاء الذاهبة والآتية بين القطرين.

(1) المقري، نفح الطيب،ج7، ص ص 344-345-347.
(2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات في الأندلس، دار المعارف، القاهرة مصر،1989م، ص 527.

الخاتمة

بينت هذه الدراسة أن الحياة العملية والثقافية بالمغرب الأقصى في عصر المرينيين شهدت حركه دءوبة ونمواً كبيراً، وقد خرجت هذه الدراسة بجملة من النتائج أهمها:

1ـ إن أي قبيلة إذا ما توفرت لديها القيادة الحكيمة التي تمتلك الإرادة السياسية، وتحسن استغلال الظروف المناسبة يمكنها أن تتحول إلى دولة مستقلة كما حدث مع قبيلة بني مرين التي أستغل قادتها ضعف دولة الموحدين في المغرب، وانهيار قواعدها في الأندلس، فتمكنوا خلال ستون عاماً تقريباً، من إقامة دولة مستقلة على امتداد أراضي المغرب الأقصى.

2ـ عمل الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي الداخلي في دولة بني مرين على توفير الظروف المناسبة للإبداع العلمي والثقافي، مما ساعد على بروز العلماء في مختلف المجالات، فقاموا بدورهم في بناء صروح حضارت دولهم.

3ـ فشل المرينيون على السيطرة وتوحيد المغرب الإسلامي، بصوره دائمة خلال سنوات حكمهم، كما كان في عصر الموحدين. رغم انفصال المغرب الإسلامي، وانقسامه إلى عدة دول، نجد أن هناك تبادل علمي ثقافي كبير، نظراً للترابط الاجتماعي القوي الذي لم تؤثر فيه حدود ولا حكومات.

4ـ ازدهرت الحياة العلمية والثقافية، بفضل رعاية سلاطين وأمراء بني مرين، وقد حظيت نخبة من العلماء المرينيين بالمكانة الرفيعة والانفاق المادي على العلماء والمتعلمين وأماكن، التعليم وأحاط سلاطين بني مرين مجالسهم دائماً بالعلماء في شتى فروع العلم والثقافة ومن مختلف البلدان مما ساعد في تكوين احتكاكات علمية ثقافية، وإن العديد من سلاطين بني مرين كانوا من الأدباء والمفكرين، شاركوا بطريقة أو بأخرى في تطوير البلاد من الناحية العلمية والثقافية.

5ـ شاعت في الحقبة موضع الرسالة الألقاب العلمية للمدرسين الذين كانوا يتمتعون غالباً بمكانة اجتماعية متميزة،كما سيطر على المناهج التدريسية المختصرات الكثيرة والشروح عليها، وازداد منح الأساتذة العلماء الشهادات.

6ـ تمتع العلماء والفقهاء في عصر بني مرين بحرية تامة في عرض أفكارهم وعلومهم، الأمر الذي ساعدهم في الإبداع في شتى ميادين العلوم التي يميلون إلى التخصص فيها أكثر من العلوم الأخرى، ويتضح ذلك بظهور العديد من المؤلفات والعلماء المتميزين من دول عديدة، والعديد من الاختراعات نذكر منها على سبيل المثال الإسطرلاب.

7ـ كان التعليم في الدولة المرينية في الغالب رسمياً من قبل الدولة،فقد خص بنو مرين رجال القرويين بالمرتبات الجزيلة، كان منها الشهري والسنوي علاوة على الهدايا التي كانت تعطى لهم من قبل السلاطين مقابل نتاجهم العلمي والثقافي فضلاً عن أوقاف الكراسي بأنواعها المختلفة العلمية الثقافية، كما كانت هناك مساهمات أهلية، نذكر منها على سبيل المثال دفع رواتب عينية أو نقدية لمعلم الكُتاب من قبل أولياء أمور الطلبة.

8ـ تعتبر مراحل التعليم والثقافة ،ونظمها من الوسائل الهامة في تقدم العلوم والتدرج بالطلبة من مستويات أقل إلى مستويات أعلى ،ثم بعد ذلك الاجتهاد والابتكار ،ذلك إن الدولة المرينية كغيرها من دول المغرب الإسلامي ،لم يكن فيها نظام تعليمي ثقافي واضح المعالم ،ولم تكن به مراحل محددة ولا مناهج مضبوطة يستطيع الطالب الالتزام بها والتدرج فيها إلى أن يصل إلى درجة العلماء والاجتهاد، فقد كان العالم أو الشيخ محور العملية التعليمية ،ولكل منهم طريقته وعلمه الذي يدرسه ،والطلبة ينتقلون من عالم إلى أخر ومن كتاب إلى غيره ،وكانت الإجازة هي الشهادة التي يتحصل عليها الطالب كدليل على كفاءته في هذا العلم أو ذلك الكتاب.

9ـ غلبت سمة الشمولية ـ العلوم الموسوعية ـ على علماء الدولة المرينية، حيث برز العلماء في أكثر من جانب من مجالات العلوم المختلفة، فنجد المؤرخ عارفاً بالحساب، والفقه، بالإضافة إلى معرفته الشرعية المختلفة، شاعراً وكاتباً وفلكياً، ومما يدل على أن طلب العلم كان مجادلة متروكاً لحرية الشخص المتعلم نفسه، وإن مراكز التعليم بعلومها المختلفة قريبة من بعضها البعض، بحيث يستطيع طالب العلم أن يحضر في اليوم الواحد عند أكثر من مدرس في أكثر من حقل من حقول المعرفة المختلفة.

10- أثبتت الدراسة أن العلماء والمثقفين يتم تعيينهم في مناصب الدولة وإدارة البلاد في عصر بني مرين،فعلى سبيل المثال اصطحاب أربعمائة عالم مع السلطان أبي الحسن المريني في مشاريعه الوحدوية التي باءت بالفشل، وشهدوا معه فتوحاته وهزائمه أبلغ دليل على استشارته لهم، وإن كان من رحل معه أربعمائة، فهذا يدل على أن هناك الكثير منهم بقي لتسيير البلاد.

11- تغذت الحياة العلمية والثقافية بدولة بني مرين من رافدين هما رافد الأندلس ورافد المشرق ،فتعمق التحصيل وتنوع الاقتباس ودخلت حلقات الدروس ومجالس العلم مختلف المؤلفات الشرقية والأندلسية والمغربية ، فتوسعت التيارات العلمية والثقافية المتعددة المشرقية والأندلسية والمغربية ،وفي إطار المذهب والسلف وتيار التصوف ، ساد المذهب المالكي، والذي رجع بسهولة للمغرب الأقصى – لتقبل الناس لهذا المذهب – وازدهرت حركة الجدل والمناظرات الشفوية والمكتوبة ،بين فقهاء بني مرين وغيرهم من فقهاء الأندلس والمغرب ومصر ،وتناولت الفقه المالكي والتفسير والتصوف والكلام واللغة والفلسفة والمنطق ،وبعض المسائل العلمية والثقافية الأخرى ،كما أهتم سلاطين بني مرين بالدراسات الدينية وبالمذهب المالكي على وجه الخصوص ،والعديد من العلوم الأخرى المختلفة ،مما ساعد على وحدة التشريع في المغرب ،وساعد على توحيد صفوف المغاربة وازدهار الحياة العلمية والثقافية في شتى العلوم.

12- بينت الدراسة تشابه طرق التعليم والثقافة ومناهجهما كذلك بعض العادات والتقاليد واللباس، بين الدولة المرينية والدول المجاورة والمعاصرة لها نذكر منها على سبيل المثال دولة مالي.

13- ساهمت الرحلات في التبادل العلمي والثقافي بشكل كبير، وقد تعددت أنواع وأهداف تلك الرحلات، وكان أهمها رحلات الحج، خاصة القادمة من المغرب الأقصى ودليل على اهتمام سلاطين بني مرين بتلك الرحلات ودعمها، قاموا بتدوينها نذكر منها على سبيل المثال رحلة إبن بطوطة.

14- وتكونت العديد من المؤسسات التعليمية في العديد من المدن المغربية، وهذا يدل على حرص المرينيين على نشر العلم والثقافة في جميع المناطق سواء بمدينة فاس وغيرها من المدن.

15- أهتم السلاطين وأهل الخير ببناء العديد من المؤسسات التعليمية والمراكز الحضارية، من مدارس، ومساجد وكتاتيب، وزوايا حيث تميزوا في علم التصوف كما أوقفوا الأوقاف الكثيرة على المؤسسات التعليمية بمختلف أنواعها، والتي درس فيها مشاهير علماء الدولة المرينية، ومدرسون من مدن الأندلس المختلفة، كما وجدت المكتبات وما قدمته من كتب قيمة لدارسين.

16- يلاحظ أن النشاط العلمي والثقافي في الدولة المرينية من نتاج فريقين من العلماء هم أبناء المغرب الأقصى أنفسهم، والفريق الثاني هو من أبناء المدن الأندلسية، الذين وفدوا إلى المغرب الأقصى وأغنوا الحياة العلمية والثقافية في التدريس والتأليف.

17- تبنت الدولة المرينية التعليم الرسمي، كما أقامت نوع من التعليم الطبي، وذلك ببناء العديد من المارستانات التي ساعدت على ذلك.

18- المساحة الشاسعة التي بسطت مملكة مالي عليها سيادتها جعلتها من أكبر دول تلك الفترة.

19- طبيعة العلاقات العلمية الثقافية الوثيقة، التي ربطت الدولة المرينية ومملكة مالي، مكنت للعروبة والإسلام وبهذا سادت اللغة العربية والثقافة الإسلامية في تلك المنطقة من غرب أفريقيا.

20- أكدت الدراسة حقيقة أن الصحراء الكبرى، قد ربطت بين المناطق الواقعة فيها، وتلك التي في جنوبها، ولم تكن حاجز بينهما، بل كانت منطقة حياة وجسراً تعبره الأجيال في حركة مزدوجة لتبادل المنفعة في مختلف المجالات والتي منها العلمي والثقافي.

21- بينت الدراسة أن المرينيين ساهموا بشكل كبير وإيجابي في الحضارة الإنسانية، ومازالت بعض أثارهم المادية كالمساجد والمدارس والجسور موجودة إلى الآن.

22ـ بقدر ما تميز المرينيون في الجانب العلمي الثقافي تميزوا أيضاً في جميع الجوانب الأخرى.

تعتبر هذه الدراسة محاولة لتوضيح فترة من تاريخ المغرب العلمي والثقافي، وإخراجها إلى حيز الوجود، نأمل أنتبنى عليها دراسات أخر.

والله ولي التوفيق.

الملاحق

ملحق رقــم (1)

جدول بأسماء السلاطين الذين حكموا الدولة المرينية

ر.م	اسم السلطان	فترة حكمه
1.	أبو محمد عبد الحق بن أبي خالد محيو بن أبى بكر إبن حمامة المريني.	(590هـ /1195م)
2.	أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (أدرغال)	(614هـ / 1217م)
3.	محمد (الأول) بن عبد الحق	(637هـ / 1239م)
4.	أبو يحى أبوبكر بن عبد الحق	(642هـ / 1244م)
5.	أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق	(656هـ / 1258م)
6.	أبو يعقوب يوسف بن يعقوب، الناصر لدين الله	(685هـ/ 1286م)
7.	أبو ثابت عامر بن أبي عامر	(708هـ / 1306م)
8.	أبو الربيع سليمان بن أبي عامر	(708هـ / 1308م)
9.	أبو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب	(710 هـ / 1310م)
10.	أبو الحسن علي بن عثمان أبو عنان فارس المتوكل بن علي أبو زيان محمد بن فارس أبي عنان (ولى ثم عزل في الحال)	(732 هـ / 1331م) (749 هـ / 1348م) (759 هـ / 1357م)
11.	محمد السعيد بن أبي عنان (وعمره خمس سنوات)	(759هـ / 1357م)
12.	أبو سالم إبراهيم بن علي	(760هـ / 1358م)
13.	أبو عامر تاشفين بن عامر	(762هـ / 1360م)
14.	عبد الحليم بن أبي علي عمر أنفرد بسجلماسة منذ ربيع الأول سنة 763)	(763هـ / 1361م)
15.	أبو زيان محمد(الثاني) المنتصر بن أبي عبد الرحمن	(763هـ / 1361م)
16.	أبو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي	(768هـ / 1366م)
17.	أبو زيان محمد(الثالث) السعيد بن عبد العزيز	(774هـ / 1372م)
18.	(أ) أبو العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم ومعه	(776هـ / 1374م)
19.	(ب) عبد الرحمن أبو يفوسن (بمراكش)	(776هـ / 1374م)
20.	موسى بن أبي عنان، المتوكل علي الله أبو فارس	(786هـ 1386م)
21.	أبو زيان محمد المنتصر بالله بن أحمد	(788هـ / 1386م)
22.	أبو زيان محمد (الرابع) الواثق	

	أبن أبي الفضل المستنصر، (للمرة الثانية)	(788هـ / 1386م)
23.	أبو فارس بن أحمد	(796هـ / 1393م)
24.	عبد العزيز بن أحمد	(799هـ / 1396م)
25.	عبد الله بن أحمد	(800هـ / 1397م)
26.	أبو سعيد عثمان(الثاني) بن أحمد	(801هـ / 1398م)
27.	أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد (الثاني)	(831هـ / 1427م)

ملحق رقــم (2)

العمل اليومي والليلي

للسلطان أبى الحسن

رأيت أن أذكر في هذا الفصل– الفصل الخامس– عمله اليومي والليلي، ليكون فصلاً جامعاً لسيرته في ذلك كان – رضي الله عنه– إذا صلى صلاة الصبح ذكر ما حضره مما كان يلازمه ثم قرأ وظيفته من محفوظة من القرآن، خمسة أحزاب كل غداة من يحضر من فقهاء مجلسه، وأكثر ما أدركته يقرأ على الفقيه أبو عبدالله السطي– رحمه الله، وعلى الأستاذ ابن خليفة الزواوي، وعلى أحياناً وإن كنت دون القوم، وربما يقرأ ربع القرآن في مجلس واحد أياماً، وكان محفوظة من سورة الأحزاب سرداً، وما عدا هذا يحتاج فيه إلى مساعدة في الاستظهار، فإذا قضى وظيفته من القراءة تحدث مع جلساته فيما يختص بيومية وتهمهم بحوائج المستضعفين وقرى الواردين وحين قراءة لا يحضر أحد إلا من يقرأ عليه، ويكون حاضراً من فقهاء حضرته، فإذا فرغ استدعى ثقته وحاجبه أبا الحسون علال ثم يستدعى الوزراء والكتاب فإذا قضى مجلسه الخاص دخل إلى منزله هنيهة ثم يخرج إما إلى ركوب وذلك يوم الاثنين والخميس غالباً ويوم الأربعاء لزيارة مقام والصلحاء وفى يوم الاثنين والخميس للمواضيع المعدة للجلوس خارج البلد، كبرج الذهب بفاس والميدان بتلماس، فيعرض أمامه الجيش وينظر فيه ويلعب بين يديه الفرسان، ليميز الفارس من غيره، ويترض له المشتكون وتعرض عليه هناك الهدايا وما يحمل من الأموال وهناك يجلس الكبراء إرسال الملوك وأبناء الملوك، إذ وفدوا عليه ثم يعود إلى منزله فيجلس لقضى ما عرض له أثناء ركوبه ثم يدخل، وفي غير يوم الركوب يخرج للجلوس

فيحضر كتابه وصاحب سره ووزرائه، فتعرض عليه القضايا ومهمات والشكايات، ثم يؤذن للناس في الدخول فيدخل أشياخ القبائل من بني مرين والعرب والوارد بن والكبراء من القبائل فيؤخذون، مجالسهم بين يديه، ثم يؤمر بالطعام يؤتى بما يكفى جميع الحاضرين وكان يعجبه الأكل بين يديه ويأمر بإسقاط الحشمة في الأكل، ويأمر المجلس وترتيب الناس، ويحضر على الأكل، ثم إذا قضى ذلك إذن لهم في رفع مسائلهم يوماً بعد يوم، مناوبة على ترتيب ونظام معروف، فإذا استوفوا حوائجهم دخل إلى منزله وفى يوم ركوبه يؤتى بالطعام إلى موضع جلوسه حيث كان ذلك فإذا حانت صلاة الظهر خرج فصلى ثم جلس لقراءة الكتب والتوقيع عليها بين يديه إلى صلاة العصر، أو لنسخ القرآن– إلى أن يذكر في موضعه إن شاء الله– فإذا فضلت من فضله كملت بعد صلاة العصر، ثم يأخذ فالأخبار والسير برهة، ثم يقرأ بين يديه من الكتب ما كان يتخير قراءته، وربما كانت القراءة بين الصلاتين إذا لم يكن منهم ولا موجب وكانت الكتب التي قرأت أنا بين يديه، البخاري وصحيح مسلم، كذلك السير، كذلك الاكتفاء لا في الربيع، كذلك سراج الملوك الفرج بعد الشدة فتوح الشام الحلية لأبى تميم إلى غير ذلك من الكتب، ومنذ خدمته كنت القارئ بين يديه غالباً، والفقيه الفاصل أبو على بن تدرارات، وقبلي بن يربوع وغيرنا ولعل الفقيه أبا القاسم ابن رضوان قرأ، فإنه ممن لازم آخر.

ثم إذا قربت صلاة المغرب دخل فإذا حانت خرج، فإذا أنقضت صلاة المغرب وفطره جلس غالباً لقراءة العلم فيقرأ بين يديه ما يتخير للقراءة فتارة الموطأ، وتارة ابن الحاجب وتارة التهذيب، وربما كانت قراءة العلم بين الصلاتين وبعد الصبح.

أخدت من ابن مرزوق، المسند، ص137–138.

خارطة العمران في العصر المريني .

ملحق رقم (3)

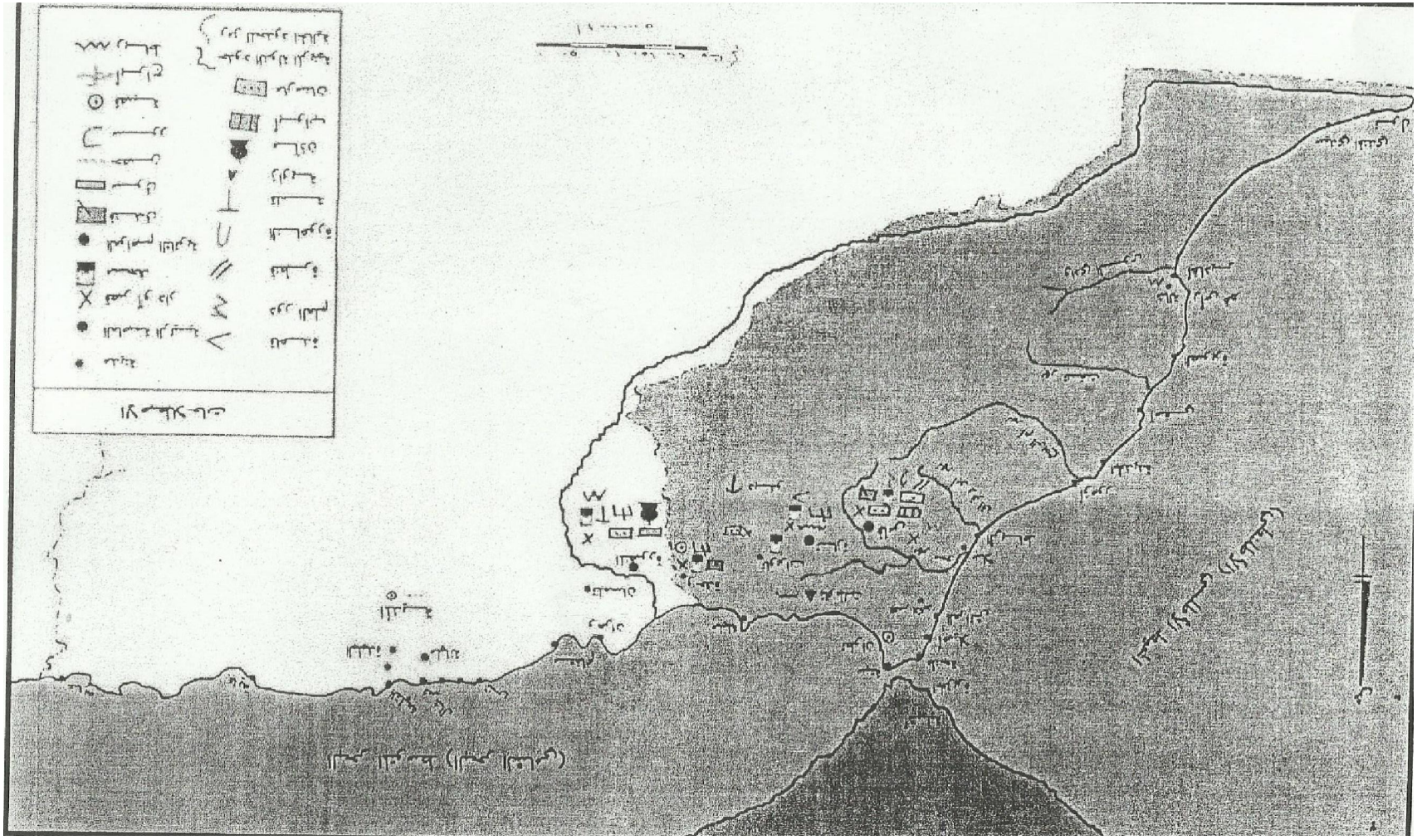

المعلومات المنقولة في الخريطة مأخوذة من : ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب : 307-340 ؛ ابن خلدون ، العبر : 211-220

الملحق رقم (3)

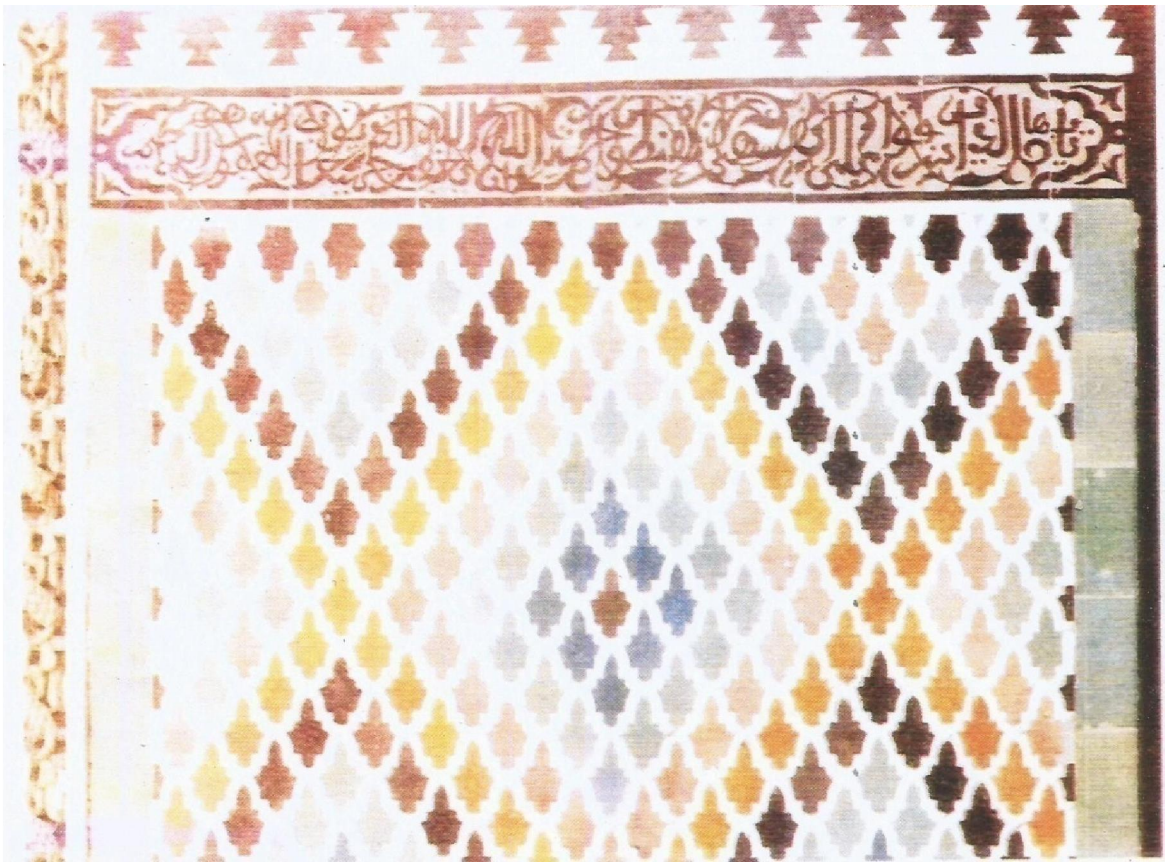

المنوني ،زخارف إحدى المدارس المرينية بفاس ، ورقات،المملكة المغربية،ص254.

الملحق رقم (4)

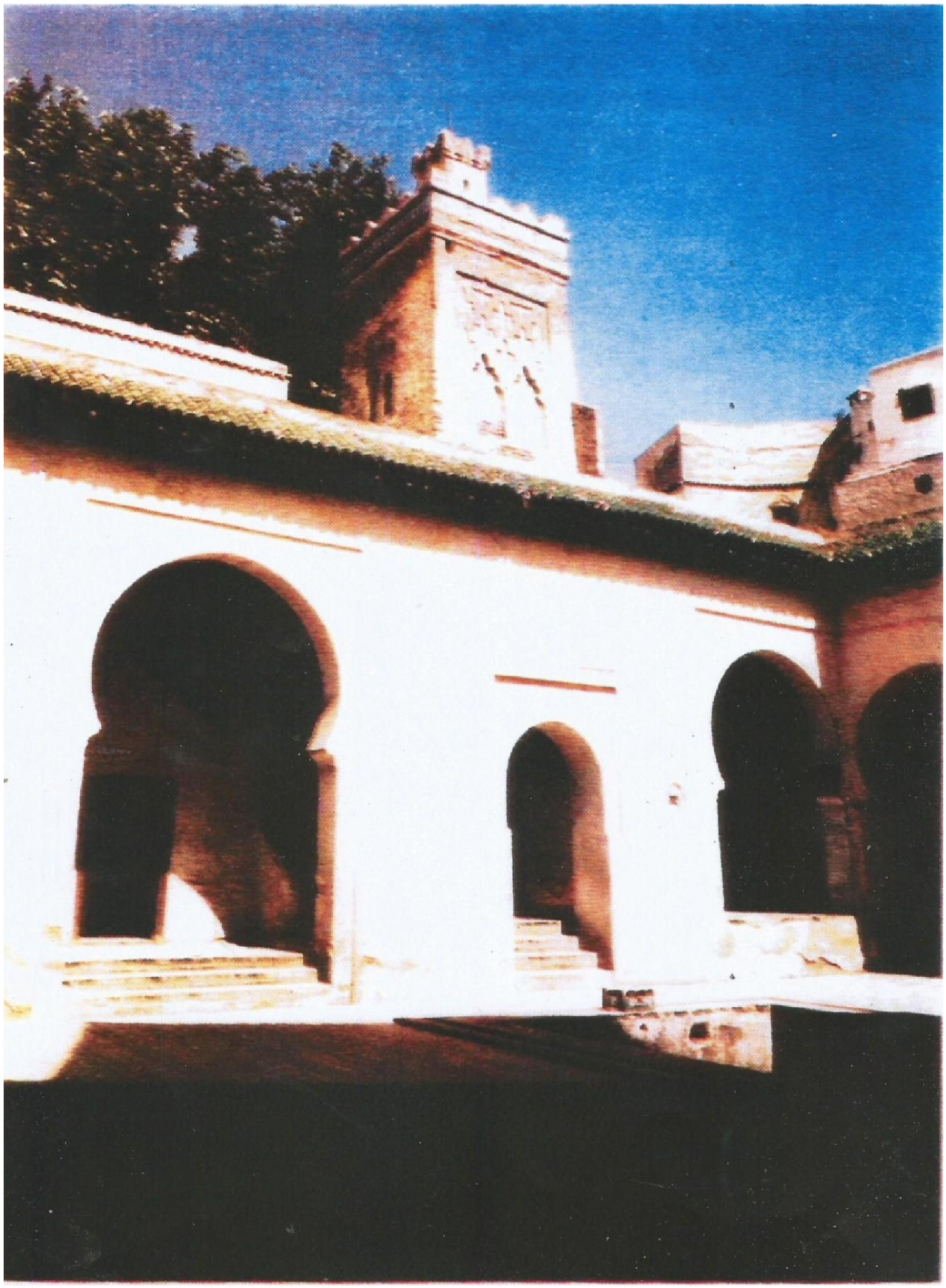

المنوني ،بهو مدرسة الصفارين بفاس ، ورقات ، الرباط ، المملكة المغربية،ص241.

الملحق رقم (5)

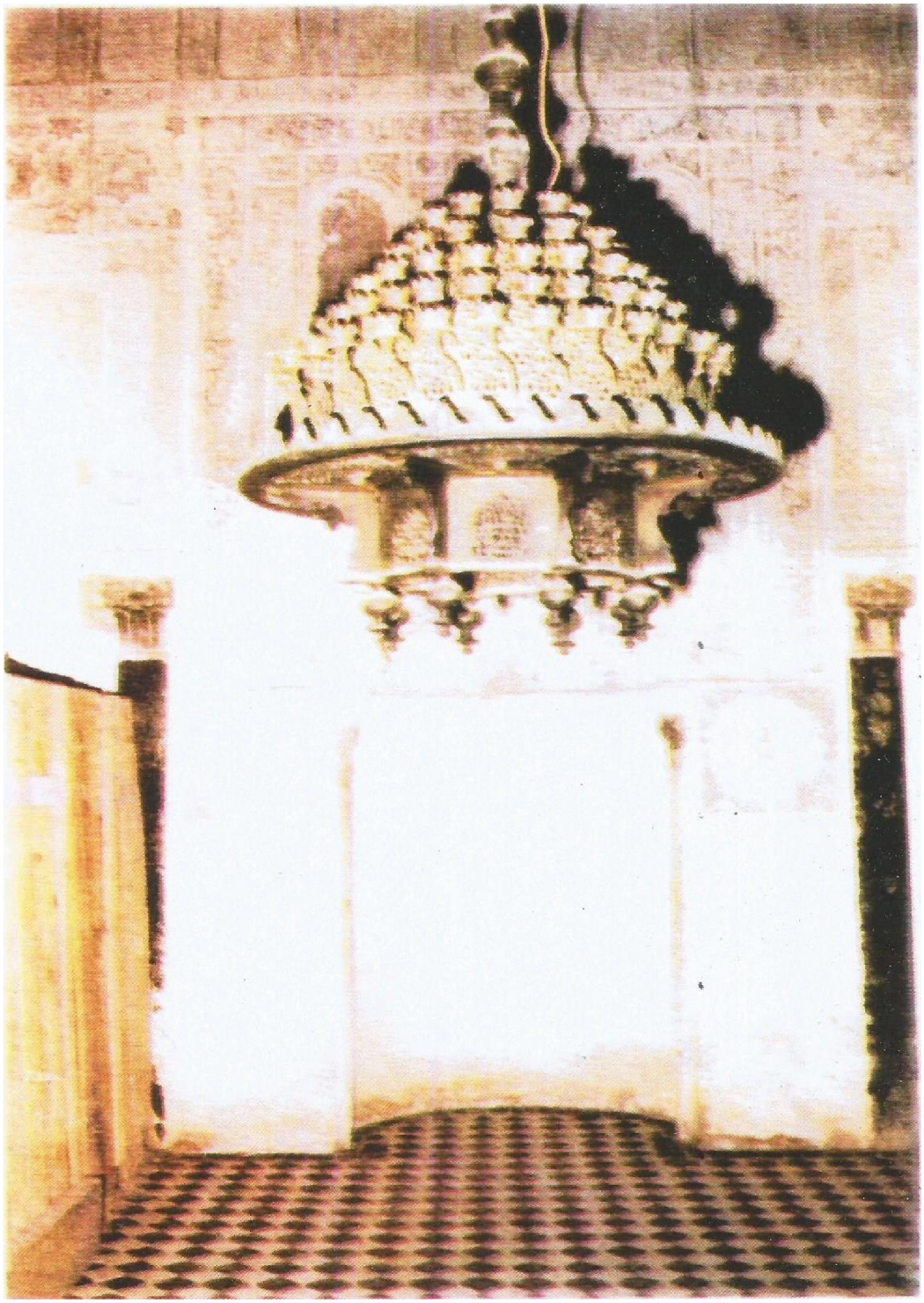

أخذت من محمد المنوني ، ثريا مصلى مدرسة العطارين بفاس

ورقات عن حضارة المرينيين ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1996م ، ص 251.

الملحق رقم (6)

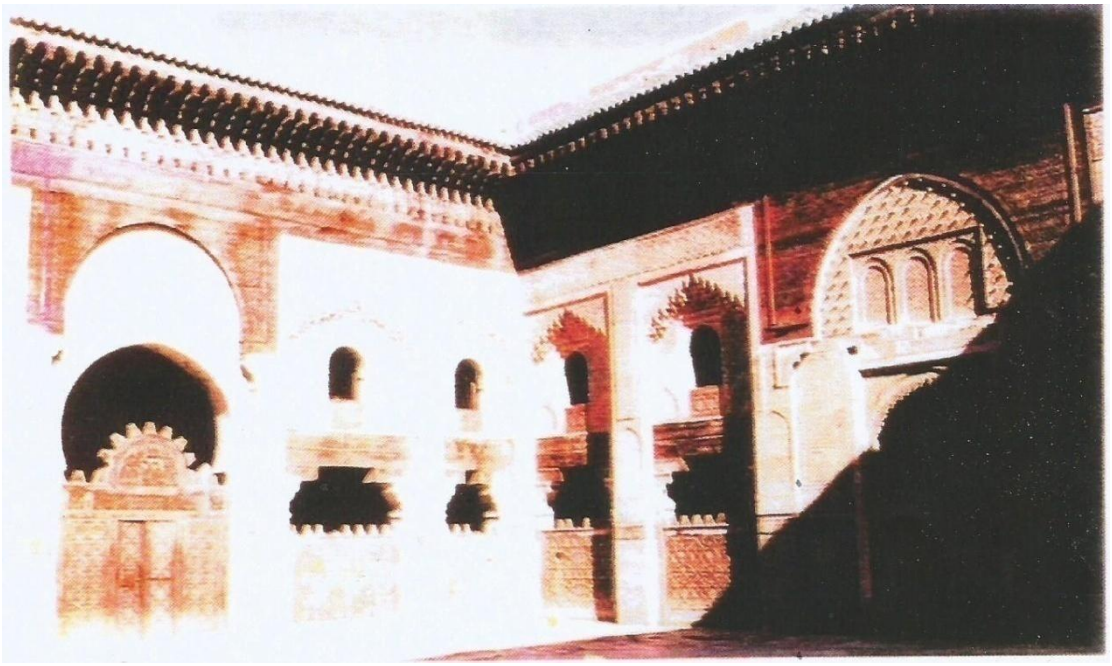

أخذت من محمد المنوني ، المدرسة البوعنانية بفاس

، ورقات عن حضارة المرينيين ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1996م،ص249.

الملحق رقم (7)

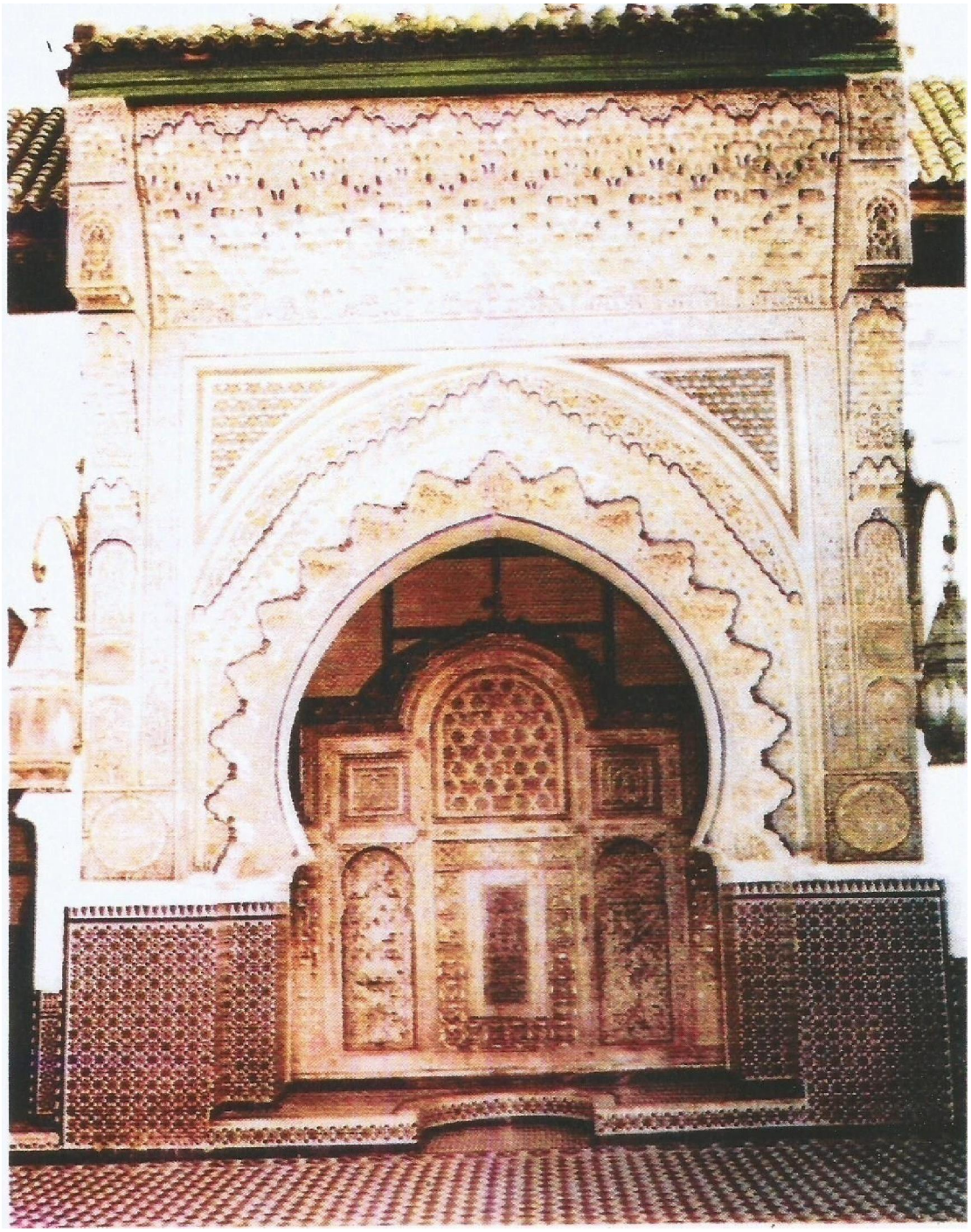

عبدالعزيزبنعبدالله ،العَنزةُ بصحن جامع القرويّين، فاس منبع الاشعاع في القارة الأفريقية ،ج1،الرباط المملكة المغربية،1422هـ/2001م، ص 21

محراب جامع القرويين بفاس

أخذت من عبدالعزيز بن عبدالله، فاس منبع الاشعاع في القارة الافريقية، ج1 ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1422 هـ / 2001 م ص 220.

الملحق رقم (8)

أخدت من وسيلة الأتصال الاجتماعي(الأنترنت)

صور للباحث أمام جامع الزيتونة بتونس تحديداً بمنطقة القصبة

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية قالون من نافع المدني.

أولاً: المخطوطات: -

1-الدوكالي ، محمد بن علي السلوي (ت 1365 هـ / 1945 م) ،

الأتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز، مخطوط بخزانة الرباط،1320، D42.

ثانياً: المصادر: -

1-ابن أبى زرع، علي بن عبدالله الفاسي (ت 726 هـ / 1325م)،

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المملكة المغربية،1972م.

.....،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،ط2، دار المنصور، الرباط، المملكة المغربية، 1972م.

2-ابن الأحمر، أبو الوليد، إسماعيل بن يوسف(ت810 هـ / 1407م)،

روضة النسرين في دولة بني مرين، تح عبد الوهاب منصور،ط2، الرباط، المملكة المغربية ، 1991م.

3-ابن الجوزي، أبو الفرج، جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد

زاد المسير في علم التفسير، ج2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، لا.ب، 1964م.

4-ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب التلمساني (ت776 هـ/ 1377م)،

.....،أعمال الأعلام، تر، العبادي والكتاني، القسم الثالث، (د.ن) ، (د.ت).

.....،الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، تح، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397 هـ /1977م.

.....،معيارالاختبار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك، المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة المحمدية، (د.ت).

.....،نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح أحمد مختار العبادي وعبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،مصر، (د.ت).

5-ابن القاضي، أبى العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت 981هـ /1636م)،

.....، تتمة المختصر في أخبار البشر، تر، رفعت البدراوي، ج2، دار المعرفة، بيروت،لبنان، 1389 هـ/ 1970م.

.....،جذوة الأقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، فاس،المملكة المغربية، 1393 هـ/ 1973م.

.....، درة الحجال في أسماء الرجال، ج2، تح، محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة بالزيتونة، تونس، دار التراث، القاهرة،مصر، 1390 هـ/1970م.

6-ابن النديم، محمد بن إسحاق بن الفرج بن يعقوب إسحاق(ت385هـ/995م)،

الفهرست دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1978م.

7-ابن بطوطة، أبو عبدالله، بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت 779 هـ/ 1377م)،

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، تح، علي المنتصر الكتاني، دار الكتب العلمية، 1407 هـ/1978م.

8-ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 380 هـ/ 990م)،

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان،1979م.

9-ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/ 1405م)،

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

.....، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، المطبعة المصرية بولاق ، مصر، 1284 هـ.

.....، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1971م، وطبعة 1979م.

.....، العبر مؤسسة أعلامي، ج1، بيروت، لبنان،1971م.

.....، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (د.ت).

.....،المقدمة، دار الأحياء التراث العلمي ط4، بيروت، لبنان، (د.ت).

.....،المقدمة، دار الأرقم ابن الأرقم، (د.ن)، بيروت،لبنان، 2001م.

10-ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبوبكر (ت 681 هـ / 1282م)،

وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، مج، تح إحسان حقي، دار صادر، بيروت، لبنان،1977 م.

11- ابن غازي، أبو عبدالله بن أحمد بن محمد العثماني(ت900 هـ/ 1500م)،

الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ط2، تح، عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المملكة المغربية،2008م.

12-ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي الخطيب (ت 810هـ/1407م)،

أنيس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، (د.ن)، 1965م.

13-ابن مرزوق، محمد بن أحمد الخطيب التلمساني (ت781 هـ/ 1381م)،

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، تحقيق ماريا خيسونبغيرا، تق محمود أبو عياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1401 هـ/1981م.

14-ابن مريم، أبو عبد الله، محمد بن أحمد التلمساني (814 هـ /1414م)،

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن أبى شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326 هـ/ 1908م.

15-ابن منظور الأفريقي أبو الفضل جمال الدين (ت711 هـ/ 1311م)،

لسان العرب، ج2،3، دار صادر، بيروت،(د.ت).

16-ابن العرب، أحمد بن محمد بن تميم (ت333هـ/944م)،

طبقات علماء إفريقية وتونس، تح علي الشامي ونعيم حسن الباجي، الدار التونسية، تونس،1968م.

17-الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد الحسيني (ت 560 هـ/ 1164م)،

نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1989م.

18-الأنصاري، أبو عبدالله، محمد بن القاسم بن محمد (كان على قيد الحياة 825هـ/1421م)،

اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المملكة المغربية، 1983م.

19-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)،

بغية الوعاة في الطبقات اللغويين والنحاة، ج2 ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان،1963م.

20-الأصفهاني ، أبو النعيم أحمد بن عبد الله(ت430هـ/1830م)،

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1،(د، ن) ، بيروت ، لبنان1970م .

21-الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل، (كان على قيد الحياة سنة 722 هـ /1324م)،

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح سعد إعراب، المطبعة الملكية، الرباط،المملكة المغربية، 1982م.

22-البكري، أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت 487 هـ/ 1094)،

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ج من كتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان، الجزائر، 1957م.

23-البيدق، أبوبكر علي الصنهاجي (ت في القرن 6 هـ/ 12م)،

أخبار المهدي بن تومرت وأبتداء دولة الموحدين، تح ليفي بروفنسال، الشركة الفرنساوية لمدينة أنجي ،فرنسا،1928م.

24-التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد (ت 717هـ/1317م)،

رحلة التجاني من سنة 706 هـ إلى سنة 708 هـ ، تح، حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1958م.

25-التلمساني، أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد (كان حياً سنة 1025هـ)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر، محمد بن أبى شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326 هـ/ 1908م.

26ـ التليدي،عبدالله،

المطرب بمشاهير أولياء المغرب،دار الأمان ،ط3 الرباط ،المملكة المغربية،1421هـ/2000م.

27-التنبكتي، أبو العباس، أحمد بابا بن عمر بن محمد (ت 1036 هـ/ 1627م)،

نيل الأبتهاج بتطريز الديباج، ج1 ، مجموعة من الطلاب بإشراف عبدالحميد الله الهرامة، الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م.

28-الجزنائي، ابن الحسن علي (ت766 هـ/ 1374م)،

جني زهرة الأس في تاريخ مدينة فاس، تر، ط2، عبد الوهاب بن منصور،المكتبة الملكية، الرباط، المغرب، 1411هـ /1991م.

29ـ الجوهري،إسماعيل،

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،ج5 ،تح،أحمد عبدالغفور عطار،ط4،دار الملايين،القاهرة ،مصر،1987م،

30-الحموي، شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي(ت 626 هـ /1228م)،

مستفاد والرحلة والاغتراب، تح، عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت).

31-الحميري، أبو عبيدالله، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900 هـ/1494م)،

الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، دار العلم للطباعة، مكتبة لبنان، بيروت،1975م.

.....، معجم البلدان،ج5، دار صادر، بيروت، لبنان،1957م.

32-الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/1790م)،

تاج العروسمن جواهر القاموس، ج5، تح، إبراهيم الترزي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2000م.

33 - الزركشي، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللؤاوي (ت 894هـ/1488م)،

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،ط2،تح، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس،1966م.

34-الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت340هـ/951م)،

الجمل في النحو، ج5، تحقيق، علي توفيق الحمد، دار الأمل مؤسسة الرشاد، ب.لا،1988م.

35-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت 902 هـ/1496م)،

الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَ التاريخ، تح، أحمد باشا تيمور، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1979.

36-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد أحمد المصري بن عثمان (ت748هـ/1347م)،

معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، ج2، تح، محمد سيد جاد المولى،(د.ن) القاهرة، مصر، 1967م.

37-العامري، أبو الحسن محمد بن يوسف (ت381هـ/991م)،

الإعلام بمناقب الإسلام، تح، أحمد عبد الحميد غراب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،مصر، 1967م.

38-العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت 988 هـ/ 1085م)،

رحلة العبدري المسماة بالرحلة المغربية، تح، محمد الفاسي جامعة محمد الخامس، الرباط،المملكة المغربية، 1968م.

39-العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى الفضل الله (ت749 هـ/1348م)،

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر، تح مصطفى أبو ضيف أحمد، لا،ب، 1988م

40-الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي (ت832هـ/1435م)،

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج4، تح فؤاد سيد ومحمود محمد الطناجي، (د.ن)، القاهرة، مصر، 1962م.

41-القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى (ت544 هـ/1149م)،

الإعلام بحدود قواعد الإسلام، تح، محمد بن تاويت الصنهاجي، الرباط،المملكة المغربية، 1964م.

42-القشري، الأمام مسلم بن الحجاج بن مسلم،

صحيح مسلم، ج5، تح، عبدالله أبوزينة، دار الشعب، القاهرة، مصر، (د.ت).

43-القلصادي، أبو الحسن علي (ت891هـ/1491م)،

رحلة القلصادي، تح، محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1398 هـ/1978م.

44-القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418م)،

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة،مصر، 1968م.

45-الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس،

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، دار الكتب السلطانية،الرباط،المملكة المغربية، (د.ت).

46-المالكي، إبراهيم بن علي بن محمد أبى القاسم ابن فرحون (ت766هـ/1396م)،

الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج1، تح محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، (د.ت).

47-المراكشي، أبو الفضل، العباس بن محمد بن إبراهيم،

الإعلام لمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام وملوك الإسلام، ج3،1، المطبعة الجديدة،المملكة المغربية، 1937م.

48-المراكشي، عبد الواحد، محي الدين بن عبد الواحد بن علي التميمي (ت 647 هـ/1249م)،

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان، نخبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،مصر،1963م.

49-المراكشي، محمد بن عبد الله المبارك الفتحي (ت1369هـ/1943)،

السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضارة المراكشية، مطبعة دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، (د.ت).

50ـ العامري،أبوالحسن محمد بن يوسف،

الاعلام بمناقب الإسلام، تح أحمد عبدالحميد غراب ، دار الكتاب العربي و النشر، القاهرة ، مصر،1967م.

51-المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1042 هـ/1632م)،

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج5، المعهد الخليفى للأبحاث المغربية، مطبعة فضالة،المملكة المغربية، 1939م.

52-المقريزي، أبو العباسي، تقي الدين أحمد بن علي (ت854هـ/1462م)،

السلوك المعرفة دول الملوك، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصطفى زيادة، القاهرة،مصر، 1941م.

.....،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، تعليق نبيل خالد الطيب، دار الكتب المصرية، بيروت،1987م.

53ـ الغراوي،أحمد بن جمعة،

جامع الجوامع مع الاختصار والتبيان،تح،جلولي رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975م.

54-الملزوزي، أبو فارس عبد الواحد بن عبد العزيز (ت697هـ/1297م)،

نظم السلوك في أخبار الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط،المملكة المغربية، 1382 هـ/1963م.

55-الناصري، أبو العباس، أحمد بن خالد السلاوي (ت 1315 هـ/1897م)،

الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2،(د.ن) مصر،1312هـ .

56-النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن(ت793هـ/1390م)،

تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت،لبنان، (د.ت) ، وأيضاً طبعة 1983م.

57-النجيبي أبوالقاسم بن يوسف السبتي (ت730هـ/1329م)،

.....،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،ج2، منشورات مكتبة الحياة،لبنان، (د.ت).

58-النميشي، أبو العباسي أحمد بن محمد،

تاريخ الشعر بفاس مطبعة أندري، فاس،المملكة المغربية 1943م.

59- ابن الحاج النميري، إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم (768هـ/1366م)،

فيض العباب وإقامة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح محمد بن شقرون، مطبعة دار الشرق، بيروت،لبنان، 1990م.

.....، فيض العباب وإقامة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1990م

.....، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج5، تح خليل عمرَان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1998م.

.....،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،طرابلس،ليبيا،1994م.

.....،نفح الطيب في غص الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح، إحسان عباس، ج5،6، دار صادر، بيروت،لبنان، 1388 هـ / 1968م.

60ـ الطواح، عبدالواحد،

سبك المقال لفك العقال تراجم وأعلام من القرنين السابع والثامن الهجريين،تح،محمد مسعودجبران،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،1995م.

61- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ/1333م)،

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، حسين نصار، مراجعة، عبد العزيز الأهواني، ج24، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،مصر، 1983م.

62-اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح (ت 284هـ/897م)،

البلدان، ط3، المطبعة الحيدرية، النجف،العراق ، 1957م.

63-الوزان الفاسي، ليون الإفريقي، حسن بن محمد (ت939 هـ/1532م)،

وصف أفريقيا، ط2، ج1، تر محمد حجي محمد ومحمد الأقصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت والشركة المغربية للنشر، الرباط،المملكة المغربية ، 1982م.

64-الوزير، محمد بن محمد الأندلسي السراج (ت1149 هـ/1733م)،

الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج1، تح محمد الهيلة، الدار التونسية للنشر،تونس، 1970م.

65-الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت 914 هـ/ 1369م)،

المعيار المعرب والجامع المعربعنفتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح مجموعة من العلماء بإشراف محمد حجي ،ج8،7،1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان 1981م.

66-الوادي آشي، محمد بن جابر التونسي، (ت749هـ/1348م)،

برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي،ط3 بيروت،لبنان،1982م

67-اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي سليمان (ت768هـ/1368م)،

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج2، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت،لبنان، 1970م.

68-بردي، أبو المحاسن جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن تغري (ت874هـ/1470م)،

الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج1، تحقيق، فهيم محمد شلتون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1983م.

69-خليفة، مصطفى بن عبد الله حاجي (ت 1067 هـ / 1656 م) ،

كشف الظنون عمن أسامى الكتب والفنون، ج2 ، تح شهاب الدين ، الحسيني النجفي المرعشي، مكتبة المثنى، بغداد،1941 م.

70- مؤلف مجهول الأسم (820 هـ/1417م)،

بلغه الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، المطبعة الملكية، الرباط،المملكة المغربية، 1404 هـ/1984م.

71- مؤلف مجهول الأسم (ت 726 هـ/1322م)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،

تح، محمد بن أبى شنب، مطبعة جول كوبونل، الجزائر، 1339 هـ/ 1920م.

72- مؤلف مجهول الأسم (كان حيا في القرن الثامن الهجري)،

الاستبصار في عجائب الأمصار، تح، زغلول عبد الحميد، جامعة الإسكندرية، 1998م.

73- مؤلف مجهول الأسم،

نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى نخبة من أخبار البربر، ج1، تح ليفني بروفنسال، المطبعة الجديدة، الرباط،1934م.

74-مؤلف مجهول الأسم،

الحلل الموشية في ذكر الدولة الاخبار المراكشية،تح،سهيل زكار عبدالقادر بازامة،الدارالرشاد الحديثة،الدار البيضاء،المملكة المغربية،1399هـ/ 1979م.

75- طولون،

شمس الدين محمد بن علي بن محمد ،مفاكهة الخلاف في حوادث الزمان' ج1،،تح،محمد مصطفى،المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ،مصر،1992م.

ثالثاً: المراجع:-

المراجع العربية: -

1-أبوزهرة، محمد أحمد،

ابن حزم حياته وعصره وأراءه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1954م.

2-إسماعيل عثمان بن عثمان،

تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1975م.

3-الأهواني، أحمد فؤاد،

التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983م.

4-التازي، عبد الهادي،

التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج2، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1988م.

5-التازي، عبد الهادي،

جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة الدراسة، بيروت، لبنان،1973م.

6-التليسي، بشير رمضان،

الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان ،2004 م .

7-الحريري، محمد عيسى،

تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، (610 هـ/1213م) (869 هـ/1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1408هـ / 1987م.

8-الحشايشي، محمد بن عثمان،

جامع الزيتونة، تقديم الجيلاني بن الحاج يحي، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط2، 1915م.

9-الرفاعي، أنور،

الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دار الفكر، دمشق، مصر، ط3، 1406هـ/ 1986م.

10-السائح، الحسن،

الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1407 هـ/ 1986م.

11-السائح، الحسن،

الحضارة المغربية البداية والاستمرار، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، ط2، 2004م.

12-السعدي، عبدالرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر،

تاريخ السودان، هوداس، باريس،فرنسا، 1964م،

13-الشاهري، مزاحم علاوي،

الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين (665 هـ / 1369-1308م)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق،2001م.

14-الشيباني، عبد الجواد الصادق،

الهجرة الهلالية إلى أفريقية الزيرية وأثارها العامة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا 2007م.

15-الشيباني، عمر محمد التومي،

وشائج الثقافة الصوفية في شمال إفريقية، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تنقلات العلماء والكتب، مراجعة وتق، عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، 1429 و.ر.

16-الشعكة، مصطفى،

المغرب والأندلس أفاق إسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، مصر،(د،ت).

17-الشكري، أحمد،

الإسلام والمجتمع السوداني، أمبراطورية مالي(1230هـ/1430م)،(د.ن)

18-الطمار، محمد بن عمر،

تاريخ الأدب الجزائري، (د،ن)، الجزائر،1969م.

19-الطوخي، أحمد محمد،

مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تق أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، 1997م.

20-العبادي، أحمد المختار،

دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،مصر، 1968م.

21. الكتاني، محمد عبدالحي،

ماضي القرويين ومستقبلها، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،1427هـ/2006م.

22-الكعاك، عثمان،

الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، مصر، 1965م.

23-الكعاك، عثمان،

محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العربية، القاهرة، مصر،1958م.

24-المعموري، الطاهر،

جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهد الحفصي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.

25-المهندس، محمد بن وهبة كامل،

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مطبعة لبنان، بيروت، لبنان، 1979م.

26-الميلي، مبارك بن محمد الهلالي،

تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المطبعة الجزائرية والسلامية، قسنطينة، الجزائر ،1350 هـ/ 1931م.

27-النميشي، أبو العباسي أحمد بن محمد،

تاريخ الشعر بفاس، مطبعة أندري، فاس، المغرب،1943م.

28-تاويت، محمد،

الوافي بالأدب العربي المغرب الأقصى، ج2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1403 هـ/ 1983م.

29- حاجيات،عبدالحميد،

أبومحيو موسى الزياني،حياته وأثاره،(د.ن)،1974م.

30-حركات، إبراهيم،

المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1993م.

31-حسن، حسن علي،

الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة، أطروحة دكتوراه، بكلية دار العلوم، القاهرة، مصر،1973م.

32-حسين، محمد الخضر،

تونس وجامع الزيتونة، تح، علي الرضاء التونسي، تونس،1971م.

33-زكي، عبد الرحمن،

الإسلام والمسلمين في غرب أفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، القاهرة، مصر، (د،ت).

34-زمامة، عبد القادر،

أبو اليد بن الأحمر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1978م.

35-زيادة، نقولا،

أفريقيا دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، رياض الريسي للكتب والنشر، 1991م.

36-سالم، السيد عبد العزيز،

المغرب الكبير في العصر الإسلامي، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية،مصر،1966م.

37-سالم، السيد عبدالعزيز،

بيوت الله مساجد ومعاهد ومدارس، ج2، كتاب الشعب للنشر القاهرة، مصر،1960م.

38- سحنون ،محمد،

كتاب آداب المعلمين ،تح،حسن حسني عبدالوهاب،محمد العروسي ، دار الكتب المشرقية،تونس،1972م،

39-شعيرة، محمد عبد الهادي،

الربطات الساحلية الليبية الإسلامية، (د . ن)، طرابلس، ليبيا، 1968م.

40-شقرون، محمد بن أحمد،

مظاهر الثقافة المغربية في القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر، مطبعة الرسالة، الرباط، المملكةالمغربية، 1982م.

41-ضيف، شوقي،

تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات في الأندلس، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989م.

42-طرخان، إبراهيم علي،

دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،1973م.

43-عاشور، محمد الفاضل،

أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح، تونس، (د،ت).

44-عبد الظاهر، محى الدين،

تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح مراد كامل، راجعة، محمد علي النجار، دار الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، 1961م.

45-عطية الله، أحمد،

القاموس الإسلامي، ج1، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1979م.

46-عبدالوهاب،محمد حسني،

شهيرات التونسيات،المطبعة التونسية بالمهدية،تونس،1336هـ/1913م.

47-غالب ،محمد بن آيوب،

نص أندلسي جديد من كتاب فرحة الأندلس ،تح ،لطفي عبدالبديع،مطبعة مصر ،مساهمة مصرية ،مصر،1956م.

48-كنون، عبدالله،

النبوغ المغربي في الآداب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1381 هـ/ 1961م.

49-محمود، حسن أحمد،

الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، ج1، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط2، 1963م.، أبوظبي،1999م.

50-مؤنس، حسين،

معالم تاريخ المغرب والأندلسي، (د. ن)، القاهرة، مصر، 1980م.

51-موسى، عز الدين عمر أحمد،

دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، مطابع السرمد، بيروت، لبنان، (د.ت).

52-نشاط، مصطفى،

الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن كتاب المغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تحرير، محمد حمام، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر، بدعم مؤسسة كونراد يناور، 1995م.

53- نوري، دريد عبدالقادر،

تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، الموصل،(د.ن)، 1958م.

54-نويهض، عادل،

معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

المراجع المترجمة: -

1-بروفنسال، ليفي،

مؤرخو الشرفاء، تر، عبد القادر الحلاوي، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977م.

2-بل، الفرد،

الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.

3-جوليان، شارل أندريه،

تاريخ أفريقيا الشمالية، ج2، تر، محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1978م.

.....، تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م،ط2، ج2، تح محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1993م.

4-كوناري،

موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج29، مادة الملكية، تر، حسين أحمد عيسى، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1418 هـ/ 1998م.

5-لاتورنو، روجيه،

فاس في عصر بني مرين، تر، نقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م.

6-وماید، ستیلمان وآخرون،

موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج28، الشارقة، مادة لباس، تر، فاروق صادق عسكر، مركز الشارقة، 1418 هـ/1998م.

رابعاً: الموسوعات: -

1-الغنيمي، عبد الفتاح مقلد،

موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج5، مكتبة مدلولي، القاهرة، مصر، 1994م.

2-شلبي، أحمد،

موسوعة الحضارة الإسلامية، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي جوانب التاريخ والنظم والفلسفة، ط8، مكتبة النهضة المصرية، ج5، القاهرة، مصر، 1987م.

3-مطلوب، ناطق صالح،

موسوعة الموصل الحضارية، الرحلة في طلب العلم والحياة والثقافة في الموصل، ج2، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق1992م.

4-الموسوعة العربية،

مؤسسة الصالحي للطباعة، سوريا، ج1، 2005م.

خامساً: الدوريات: -

1-التازي، عبد الهادي،

"الحروف المنقوشة بجامع القرويين"، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية،ج2، مصر، 1960م.

2-التواتي، عبد الكريم،

"مظاهر الثقافة والفكر لعهد بني مرين"، مجلة دعوة الحق، الرباط، المغرب، عدد 249، 1405 هـ/ 1985م.

3-الدباغ، محمد بن عبدالعزيز،

"من مجالات العمل التطوعي في المعدات العلمي والثقافي"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، عدد 309، 310، السنة السادسة والثلاثون، 1415 هـ/ 1995م.

4-الساوري، عبد العزيز،

"تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، عدد 293-34، 1413 هـ/1992م.

5-الشاهدي الحسن،

"الكشف عن الثقافة المغربية في عهد بني مرين"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد الخامس، 1396 هـ/ 1976م.

6-العبادي، أحمد مختار،

"حياة ابن الخطيب المغربية"، مجلة البيئة، وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، المغرب، العدد الأول، السنة الأولى، مايو، 1962م.

7-الفاسي، محمد،

"نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأدبية"، مجلة البيئة، وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، المغرب، العدد الثامن، السنة الأولى، 1382 هـ/ 1962م.

8-القابسي، نجاح،

"المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي"، مجلة كلية التربية، العدد الرابع عشر، 1980م.

9-الكتاني، يوسف،

"ظاهرة الكراسي العلمية"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، عدد 244، 1405 هـ/ 1985م.

10-بنعبدالله، عبد العزيز،

"مساجد المغرب في روعتها المعمارية"، دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد الخامس، السنة السابعة عشر، 1396هـ /1976م.

11-بنبين، أحمد شوقي،

"وظيفة القيم في تاريخ الخزانة المغربية"، دعوة الحق، الرباط، المغرب، عدد 249، 1405 هـ/ 1985م.

12-حجي، محمد،

"مصادر التاريخ المغربي في المكتبات"، مجلة دعوة الحق، الرباط، المغرب، عدد2-3، السنة العشرون، 1399 هـ/ 1979 م.

13-دنبه، ناصر الدين،

"فصول من كتاب أئمة خاصة بنور الإسلام"، ترجمة، راشد رستم، مجلة الهداية، ج1، عدد 20، 1995م.

14-شبانة، محمد كمال،

" المدن الثقافية والإسلامية"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فاس، المغرب، عدد 245، 1406 هـ/ 1986م.

15-شبانة، محمد كمال،

"فاس المدن الثقافة الإسلامية"، مجلة دعوة الحق، الرباط، المغرب عدد 253، 1985م.

16-عثمان، عثمان إسماعيل،

"منطقة رباط الفتح"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،المغرب، عدد 242، 1405 هـ/ 1985م.

17-عزوزي، أدريس،

"الكراسي العلمية بجامعة القرويين أيام ازدهارها وإشعاعها الفكري"، مجلة الحضارة الإسلامية، بكلية الشريعة فاس، المملكة المغربية، 1414 هـ/ 1993م.

18-نوح، محمد،

"مراكز التعليم في عهد بني مرين"، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد، 9، المغرب، 1991م.

سادساً: الرسائل العلمية: -

1-إبراهيم، محمد عادل عبد العزيز،

الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر،1982م.

2-أبو دياك، صالح فياض،

دولةبني مرين ووطاس ودورها السياسي والحضاري في المغرب فيما بين (876-861 هـ/ 1472-1554م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، غير منشورة،1982م.

3-السعيد، لمليح،

المدارس المرينية ودورها الفكري في المغرب بحث لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بغداد، العراق، 1986م.

4-الشاهري، مزاحم علاوي،

الدولة المرينية في عصر السلطان أبى الحسن علي بن عثمان (731-752 هـ/ 1331-1352م)، دراسة حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، العراق،1985م.

5-المعلول، أنبية،

المسجد بين الأمس واليوم، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الفاتح، 1995م.

6-حسن، حسن علي،

الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، 1973م.